ISSN:2707-8183
ISSN:2707-8191

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية

العدد 14 شباط فبراير 2021

مجلة علمية محكمة تصدر عن الاتحاد الدولي للمؤرخينً

ISSN:2707-8183
ISSN:2707-8191

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية

INTERNATIONAL JOURNAL OF HISTORICAL AND SOCIAL STUDIES

العدد 14

شباط فبراير 2021

HISTORICAL.MAGAZINE2015@GMAIL.COM

WWW.INT-HISTORIANS.COM

هيئة التحرير واللجنة العلمية الاستشارية

رئيس التحرير
الاستاذ الدكتور ابراهيم سعيد البيضاني

نائب رئيس التحرير
الدكتور عثمان برهومي / تاريخ / تونس

مديرة التحرير
الدكتورة وفاء سمير نعيم /اجتماع / مصر

الهيئة العلمية الاستشارية

الأستاذ الدكتور ناهدة حسين علي الاسدي / تاريخ / العراق
الأستاذ الدكتورة جنان عبدالجليل هموندي / تاريخ / العراق
الأستاذ الدكتور ميلاد مفتاح الحراثي / علوم سياسية / ليبيا
الأستاذ الدكتور حاجي دوران / اجتماع / تركيا
الأستاذ الدكتور حسين جبار شكر / تاريخ / العراق
الأستاذ الدكتور محمد سالم الطراونة / تاريخ / جامعة السلطان قابوس
الأستاذ الدكتور علي علام / تاريخ / المغرب
الدكتور لحسن اوري / تاريخ / المغرب

التصميم الداخلي للصفحات وغلاف المجلة

م. آثار حيدر عباس جاسم الداوودي
Heidar.aldaoudi@gmail.com

المحتويات

كلمة العدد 15

التاريخ.. قراءات وافكار..... - 17 -

الاستاذ الدكتور ابراهيم سعيد البيضاني

المدارس السريانية وتأثيرات الفكر المسيحي _مدرسة الرها إنموذجاً_ ..... - 27 -

الدكتورة هدى علي كاكه يى الجامعة العراقية/ كلية الآداب

علم التاريخ وفلسفته عند الإغريق رؤية في التحولات الفكرية من التاريخ الى فلسفة التاريخ... - 47 -

م.م. هند فائز آل مجيد/ جامعة بغداد / كلية الآداب

أسئلة المعرفة التاريخية بين المنوغرافيا وابستيمولوجيا ..... - 63 -

أ.د. محمد البركة

في إنتاج المعرفة التاريخية بالمغرب الأوسط قبل القرن السابع الهجري(13م) 73

أد.بلعربي خالدقسم التاريخ/ كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية/ جامعة سيدي بلعباس- الجزائر-

صناعة المؤرخ في أفق التكامل المعرفي مقاربة فكرية..... 83

الدكتور نجيب بن خيرة/ قسم التاريخ و الحضارة الإسلامية /كلية الاداب /جامعة الشارقة

المعرفة التاريخية - طبيعتها وإشكالاتها 103

الحاج بن يوسف/ جامعة سيدي بلعباس

ضريح شهداء المسيحية بتيبازة ، دراسة وصفية أثرية 126

شيباني محمد السنة الثانية دكتوراه تخصص : أثار قديمة معهد الآثار جامعة الجزائر

أبو قاسم سعد الله

الثورة في سورية ودور جماعة الإخوان المسلمين 2011-2017م.....147

حسام نعيم عبد العزيز شخشير

الأستاذ الدكتور محمد سالم الطراونة

البيوغرافيا التاريخية لموحى أوحمو الزياني : من خلال كتاب فرانسو بيرجي (موحى أوحمو الزياني : مملكة معاصرة في المغرب (1877-1921)) 187

المعطي بريان/ جامعة ابن طفيل كلية الآداب والعلوم الانسانية القنيطرة

علاقة التاريخ بالجغرافيا 203

السياسات والقواعد والاجراءات

ترحب المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية البحوث العلمية المكتوبة وفقا للمعايير العلمية في اي من الحقول الدراسات التاريخية او العلوم المساعدة ذات العلاقة ويشمل ذلك كل العلوم نظرا لطبيعة التاريخ كعلم يتناول النشاطات الانسانية كافة مع مراعاة عدم تعارض الاعمال العلمية المقدمة للنشر مع العقائد السماوية، والا تتخذ ايه صفة سياسية والا تتعارض مع الاعراف والاخلاق الحميدة، وان تتسم بالجدة والأصالة والموضوعية وتكتب بلغه سليمه واسلوب واضح.

سياسات النشر

تسعى المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية الى استيعاب رو افد كل الافكار والثقافات ذات البعد التاريخي ويسعدها ان تستقبل مساهمات الافاضل ضمن اقسام الدورية البحوث والدراسات عروض الكتب عروض الاطاريح الجامعية وتقارير اللقاءات العلمية.

هيئه التحرير

تعطي هيئة التحرير الأولوية في النشر والعروض والتقارير حسب الأسبقية الزمنية الواردة للمجلة، ووفقا لاعتبارات علمية و فنية تراها هيئه التحرير.

وتقوم هيئه التحرير بالقراءة الأولية للبحوث العلمية المقدمة للنشر بالمجلة للتأكد من تو افر مقومات البحث العلمي وتخضع البحوث والدراسات والمقالات بعد ذلك للتحكيم العلمي والمراجعة اللغوية.

يحق لهيئة التحرير اجراء التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر لتكن وفق المعيار تنسيق النص في عمودين مع مراعاة تو افق حجم ونوع الخط مع نسخه المقال المعياري.

هيئه التحكيم

يعتمد قرار قبول البحوث المقدمة للنشر على توصيه هيئه التحرير والمحكمين، اذ تجري عملية التحكيم السري للأبحاث المقدمة وفقا لاستمارة خاصة بذلك.

يستند المحكمون في قراراتهم في تحكيم البحث الى المدى ارتباط البحث بحقل المعرفة والقيمة العلمية لنتائجه ومدى اصاله افكار البحث وموضوعيه ودقه الادبيات المرتبطة بموضوع البحث وشمولها، فضلا عن سلامه المنهج العلمي المستخدم في الدراسة ومدى ملاءمة البيانات والنتائج النهائية لفرضيات البحث وسلامه تنظيم اسلوب العرض من حيث صياغة الافكار ولغة البحث وجوده الجداول والاشكال والصور ووضوحه

البحوث والدراسات التي يقترح المحكمون اجراء تعديلات جذريه عليها تعادل الى اصحابها لأجرائها في موعد اقصاه اسبوعين من تاريخ ارسال التعديلات المقترحة الى المؤلف اما اذا كنت التعديلات طفيفة فتقوم هيئه التحرير بإجرائها.

تبذل هيئه التحرير الجهد اللازم لإتمام عمليه التحكيم من متابعه اجراءات التعديل والتحقق من استيفاء التصويبات والتعديلات المطلوبة حتى التوصل الى قرار بشأن كل بحث مقدم من قبل النشر بحيث يتم اختصار الوقت الازم لذلك الى أدني ممكن.

في حاله عدم مناسبه البحث للنشر تقوم الدورية بأخطار الباحث بذلك، اما بالنسبة للبحوث المقبولة والتي اجتازت التحكيم وفق الضوابط العلمية المتعارف عليها واستوفت قواعد وشروط النشر بالمجلة فيمنح كل باحث افاده بقبول بحثه للنشر.

البحوث والدراسات العلمية

تقبل الاعمال العلمية المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية التي لم يسبق نشرها وتقديمها للنشر في مجله الكترونيه او مطبوعة اخرى.

يجب ان يتسم البحث العلمي بالجودة والأصالة في موضوعه ومنهجه وعرضه متو افقا مع عنو انه.

التزام الكتاب بالأمانة العلمية في نقل المعلومات و اقتباس الافكار وعزوها لأصحابها وتوثيقها بالطرق العلمية المتعارف عليها.

اعتماد الاصول العلمية في اعداد وكتابه البحث من توثيق وهوامش ومصادر ومراجع مع الالتزام بعلاقات الترقيم المتنوعة.

اعطاء مساحة واسعة للتحليل والاستنباط والقراءات الفكرية والتوقعات المستقبلية بالنسبة للموضوعات التي تأخذ بعدا تاريخيا سياسيا.

ارشادات المؤلفين (الاشتراطات الشكلية والمنهجية)

ينبغي الا يزيد حجم البحث على ثلاثين 30 صفحه ولا يقل عن 12 صفحة حجم A4 ،مع الالتزام بالقواعد المتعارف عليها عالميا بشكل البحوث بحيث يكون المحتوى حسب التسلسل ملخص مقدمه موضوع البحث خاتمه ملاحق الاشكال الجداول الهوامش المراجع

عنوان البحث

يجب ان لا يتجاوزعنوان البحث عشرين 20 كلمه وان يتناسب مع مضمون البحث ويدل عليه او يتضمن الاستنساخ الرئيسي.

نبذه عن المؤلف والمؤلفين

يقدم مع البحث نبذه عن كل مؤلف في حدود 50 كلمه تبين اخردرجة علمية حصل عليها واسم الجامعة والكلية والقسم التي حصل منها على الدرجة العلمية والسنة والوظيفة الحالية والمؤسسة او الجهة او الجامعة التي يعمل لديها والمجالات الرئيسية لاهتماماته البحثية مع توضيح عنوان المراسلة العنوان البريدي وارقام التليفون الموبايل الجوال والفاكس.

صورشخصية

ترسل صوره واضحة لشخص الكاتب لنشرها مع .

ماذص البحث

يجب تقديم ملخص باللغة الانكليزية للبحوث والدراسات باللغة العربية في حدود 100 الى 150 كلمة، اما البحوث والدراسات باللغة الإنجليزية يرفق معها ملخص باللغة العربية في حدود 150 الى 200 كلمة.

الكلمات المفتاحية

الكلمات التي تستخدم للفهرسة لا تتجاوزعشره كلمات يختاره الباحث بما يتواكب مع مضمون البحث وفي حاله عدم ذكرها تقوم هيئه التحرير باختيارها عند فهرسة المقال وادراجه في قواعد البيانات بغرض ظهورالبحث اثناء عملية البحث والاسترجاع على شبكه الانترنيت.

مجال البحث

الإشارة الى مجال تخصص البحث المرسل العام والدقيق.

المقدمة

تضمن المقدمة بوضوح دواعي اجراء البحث والهدف وتساؤلات وفرضيات البحث مع ذكر الدراسات السابقة ذات العلاقة.

موضوع البحث

يراعي ان تتم كتابة البحث بلغة سليمه واضحه مركزة، وبأسلوب علمي حيادي وينبغي ان تكون الطرق البحثية والمنهجية المستخدمة واضحه وملائمه لتحقيق الهدف وتتوفر فيها الدقة العلمية مع مراعاه المناقشة والتحليل الموضوعي الهادف في ضوء المعلومات المتوفرة بعيدا عن الحشو تكرار السرد.

الجداول والاشكال

ينبغي ترقيم كل جدول شكل مع ذكر عنوان يدل على فحواه والإشارة اليه في متن البحث على ان يدرج في الملاحق ويمكن وضع الجداول في متن البحث اذا دعت الضرورة الى ذلك., وبالنظر الى ان المجلة في الجانب الفني تنظم على عمودين لذا نرجو من الباحثين تنظيم الجداول والرسوم بما يتناسب ذلك او وضعها كمرفقات في نهاية البحث.

خاتمة البحث

تحتوي على عرض موضوعي للنتائج والتوصيات الناتجة عن محتوى البحث على ان تكون موجزه بشكل واضح ولا تأتي مكرره لما سبق ان تناوله الباحث في اجزاء سابقه من موضوع البحث .

الهوامش

تنظم الهوامش بطريقة الكترونية ويكون الهامش بتسلسل اسفل كل صفحة بالنسبة لدليل شيكاغو. ووفقا للالية المعتمدة في اسلوب APA.

تعتمد المجلة في تنظيم الهوامش اسلوبين الاول دليل شيكاغو والثاني APA)).حجم ونوع الحروف,

مراعاة التنظيم الالكتروني والفني للبحث وفق ما يلي:

نوع الحرف المطلوب sakkal Majalla وبحجم 20 بخط عريض للعنوان وحجم 18 عادي للمتن وحجم 14 عادي للهوامش، وتكون هوامش الصفحة من جميع الجهات 2 سم.

عروض الكتب

تنشر المجلة المراجعات التقييمية للكتب العربية والأجنبية حديثه النشر.

يجب ان يعالج الكتاب احدى القضايا او المجالات التاريخية المتعدة ويشتمل على اضافه علميه جديده.

يعرض الكتاب ملخصا و افيا لمحتويات الكتاب مع بيان اهم اوجه التميزواوجه القصورو ابراز بيانات الكاتب كامله في اول عرض اسم المؤلف المحقق المترجم الطبعة الناشر مكان النشر سنه النشر السلسلة عدد الصفحات .

الا تزيد عدد الصفحات العرض عن ستة صفحات.

عروض الاطاريح الجامعية

تنشر الدورية عروض الاطاريح الجامعية رسائل الدكتوراه والماجستير التي تم اجازتها بالفعل ويراعي في الموضوعات المعروضة ان تكون حديثه وتمثل اضافة علمية جديدة في احدى حقول الدراسات التاريخية والعلوم ذات العلاقة. وخاصة التي تعالج موضوعات فكرية تاريخية تسهم في وضع اطار نظري لمدرسة تاريخية جديدة.

ابراز البينات كما وردت في اول العرض اسم الباحث اسم المشرف الكلية الجامعة الدولة سنه الإجازة.

ان يشمل العرض على مقدمة لبيان اهمية موضوع البحث مع ملخص لمشكلة موضوع البحث وكيفية تحديدها.

ملخص لمنهج البحث وفروضه وعينته وادو اته وخاتمة لاهم ما توصل اليه الباحث من نتائج.

ولا تزيد عدد صفحات عرض الاطروحة او الرسالة عن 8 صفحات.

تقارير اللقاءات التعليمية

ترحب المجلة بنشر التقارير العلمية عن الندوات والمؤتمرات والحلقات النقاشية سينمار الحديثة الانعقاد والتي تتصل موضوعاتها بالدراسات التاريخية والاجتماعية والانسانية.

يشترط ان يغطي التقرير فعاليات اللقاء نوه مؤتمر ورشه عمل سينمار مركزا على الابحاث العلمية واوراق العمل المقدمة ونتائجها واهم التوصيات التي يتوصل اليها اللقاء.

لا تزيد عد صفحات التقرير عن 6 صفحات.

قواعد عامة

ترسل كافه الاعمال المطلوبة للنشر بصيغه وورد, ولا يلتفت الى اي صيغ اخرى .

المساهمون للمرة الاولى من اعضاء هيئه التدريس بالجامعات يرسلون اعمالهم مصحوبة بسيرهم العلمية وفقا أحدث نموذج مع صورة شخصية واضحة.

ترتيب الابحاث عند نشرها في المجلة وفق اعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث او قيمة البحث.

حقوق المؤلف

المؤلف مسئول مسئوليه كامله عما يقدمه للنشر بالمجلة وعن توفر الأمانة العلمية به سواء لموضوعه او لمحتواه ولكل ما يرد بنصه وفي الاشارة الى المراجع ومصادر المعلومات.

جميع الآراء والافكار والمعلومات الواردة بالبحث تعبر عن راي أحد غيره وليس للمجلة او هيئة التحرير ايه مسئوليه في ذلك.

ترسل المجلة لكل صاحب بحث منشور نسخة الكترونية متكاملة للعدد الصادر يحق للكاتب اعاده نشر البحث بصوره ورقيه او الكترونيه بعد نشره في المجلة دون الرجوع لهيئة التحرير ويحق للمجلة اعاده نشر المقالات والبحوث بصوره ورقية لغايات غير ربحية دون الرجوع للكاتب.

يحق للمجلة اعاده نشر البحث المقبول منفصلا او ضمن مجموعه من المساهمات العلمية الاخرى بلغتها الأصلية او مترجمة الى ايه لغة اخرى وذلك بصوره الكترونيه او ورقية لغايات غير ربحيه.

لا تدفع المجلة ايه مكافئات ماليه عما تقبله للنشر فيها وبعد ما ينشر فيها اسهاما معنويا من الكتاب في اثراء المحتوى الرقمي العربي.

الاصدارات والتوزيع

تصدر المجلة الدولية للدراسات التاريخية بشكل دوري فصلي، ومن الممكن ان تصدر شهريا وفقا للأبحاث المقدمة والملفات العلمية.

المجلة متاحة للقراءة والتحميل عبر موقعها الالكتروني على شبكه الانترنيت.

ترسل الاعداد الجديدة الى كتاب المجلة على بريدهم الالكتروني الخاص.

يتم الاعلان عن صدور الدورية عبر المو اقع المتخصصة والمجموعات البريدية والشبكات الاجتماعية.

المراسلات

ترسل الاعمال المطلوبة للنشر الى رئيس التحرير

historical.magazine2015@gmail.com

كلمة العدد

الاتحاد الدولي للمؤرخين وصناعة المستقبل

أ.د ابراهيم سعيد البيضاني

إذا كنا في الاتحاد الدولي للمؤرخين نبحث ونسعى الى ان يكون لنا دورا ايجابيا في تطوير مناهج التاريخ والارتقاء بدور المؤرخ يجب ان نولي الاهتمام بمناهج تدريس التاريخ واعتماد منهج نوعي للدراسات التاريخية، لكي نسهم في صناعة مدرس تاريخ من جهة ومؤرخ من جهة ثانية ونخلق وعي تاريخي من جهة ثالثة.

وكون التاريخ سجل لاحداث الماضي قد عفا عنها الزمن، فاننا نبحث ونفكر ونتطلع الى ان نجعل منه طريقة تفكير في كافة شؤون الحياة والمستقبل، ونهدف الى ان نرسم صورة مستقبلية، ونقدم تقرير تقريبي محتمل لما سيحدث في المستقبل على ضوء تجارب وحقائق التاريخ.

ولكي نصنع تاريخا ونترك اثرا كمؤرخين من خلال مواقف وافكار ونشاطات بان نهئ سبل الارتقاء والتطور ونصنع تاريخا لابد ان نجهز للعوامل والشروط التي تساعدنا في ذلك، ولعل اول شروط ذلك ان نحدد اهدافنا ومنهجنا في التاريخ، ثم نمتلك دراية وفهم وتحليل للاحداث التاريخية، زيادة على ان نمتلك الاليات والادوات والقواعد والاصول التاريخية.

يمكن ان نجعل الاتحاد الدولي صانعا للتاريخ بمقدار ما نقدمه من افكار وقراءات ودراسات تسهم في جعل المؤرخ اداة للبناء وصياغة الحياة من جديد، فالفكر الواعي الثاقب هو سلاح للدفاع وهو اداة للبناء وهو تصور للمستقبل، لذلك فالنشاطات العلمية النوعية كفيلة بان تجعل الاتحاد الدولي للمؤرخين قادرا على توفير الادوات والاليات وقادرا على بناء وصياغة الاصول والقواعد في الفكر التاريخي، وبالتالي صناعة التاريخ وفق اهداف ورؤى محدد

علم التاريخ.. قراءات وافكار

الاستاذ الدكتور

ابراهيم سعيد البيضاني

التاريخ هو سجل حوادث الأمم وفقا للعصور والأزمنة وتحديدها بشكل دقيق، وهو فرع من فروع المعرفة الإنسانيّة يجمع المعلومات عن الماضي ويقوم بدراستها وتسجيلها وتدقيقها ومن ثمّ تفسيرها، ويبيّن العلاقة السببيّة ويفسّر التطوّر وبيان أسباب الاخفاق أو النجاح، وبالتالي فإن التاريخ يضطلع بدور تأريخ حياة الأمم والمجتمعات والحضارات.

ويقدّم التاريخ خلاصات للعبر والدروس وأحوال الأمم السالفة، وبالتالي فإنّ تجاوز المطبات والأزمات والتحدّيات يمكن أن يتحقّق من خلال دراسة التاريخ. وأصبح المؤرّخ قادر على رؤية المستقبل وصناعته، وأنّ استراتيجيّات فهم التاريخ يجب أن تكون ضمن منظار مستقبليّ، فالتاريخ لن يقف عند دراسة الماضي، بل هو الحاضر والمستقبل.

فالتاريخ حقيبة العلوم وخزانتها ويوصف بأنّه بيت الخبرة الانسانيّة، وهو سجل لتطوّر العلوم وحقلا تجتمع فيه العلوم. وعلاقة التاريخ بالعلوم الأخرى منحته مكانة هامّة وجعلت منه علما مثل بقيّة العلوم، فالجغرافيّة منحته الخريطة وعلومها ومنحته دراسة المكان والأرض، والوثيقة منحته الدقّة والموضوعيّة، فضلا عن الآثار واللغة وبقيّة العلوم، وبالتالي فإنّ التداخل بين العلوم وارتباطها الوثيق جعل من التاريخ علما.

فالتاريخ علم يمتلك أدوات وآليات حفظ الذاكرة، مع العلم أنّ آليات وأساليب البحث فيه متنوّعة المصادر، فضلا عن أنّ مكانته يستمدها من الأهميّة التي يحظى بها عند الأمم والشعوب، فالتاريخ يعني الدرس والعبرة والهويّة، فهو علم وفنّ، ويُخضع علم التاريخ مصادره ومعلوماته للفحص والنقد والتحليل.

Readings and ideas in the science of history

History is a record of nations' accidents, according to the ages and times and determining them accurately, and it is a branch of human knowledge that collects information about the past, studies, records and checks it, and then explains it, and shows the causal relationship and interpretation of development and the reasons for failure or success, and therefore history records the lives of nations, societies and civilizations.

History provides summaries of the lessons, lessons, and conditions of previous nations, and thus overcoming pitfalls, pains and challenges can be achieved through the study of history. Rather, the historian has become better able to see and create the future, and strategies for understanding history must be within a future perspective. History will not stop studying the past, but rather is the present and the future.

History is the bag of science and its treasury, and it is described as the house of human experience, and it is a record of the development of science and a field in which sciences meet. The relationship of history with other sciences gave him scientific and made him a science like the rest of the sciences, for geography gave him the map and its sciences and gave him the study of place and land, and the document gave him accuracy and objectivity, as well as the effects, language and the rest of the sciences, and therefore the overlap between the sciences and their connection with each other made history a science.

History is a science that possesses the tools and steps of scientific research. The methods and mechanisms of research in it have evolved and its sources have varied, in addition to that its knowledge derives from the importance it enjoys among nations and peoples. History means lesson, lesson and identity, so it is science and art, and history, science subjects its sources and information for examination, criticism and analysis.

يعد الخوض في الفكر التاريخي وفلسفة التاريخ مشروع فكري ممتع ومفيد يسهم في تنشيط الفكر والعقل ويزيد الباحث رصانة ويزيد من امتلاكه مواصفات وعناصر المؤرخ الناجح والمؤرخ العالم، لذلك على الصعيد الشخصي وعلى صعيد الاتحاد الدولي للمؤرخين اعطينا مساحة مناسبة ستزداد مع الوقت لمجالات البحث في ميدان الفكر والمعرفة التاريخية، واليوم نخوض في ميدان شغل الباحثين والمؤرخين والعلماء طيلة قرون عديدة، لتاكيد علمية التاريخ، ولننهل من مناهج بحثه والياته واهميته في الحياة الانسانية.

التاريخ كمفهوم

وهو لفظ عربي بمعنى العهد او الحساب او التوقيت، أي تحديد الزمن، وعلى هذا القياس يكون معنى كلمة تاريخ هو التوقيت أي تحديد الشهر، ثم اتسع نطاق اللفظ فشمل من جهة معنى تحديد عهد حادث ما و روايته، ومن جهة اخرى بمعنى تحديد الوقت او العصر او التاريخ المدون بحسب السنين.[1]

ويعرف التاريخ بانه تسجيل اهم حوادث الامم، وبمعنى تسجيل الحوليات أي تدوين الحوادث عاما بعد عام، مرتبة بحسب العصور، تحديد بداية الاخبار الخاصة بعصر من العصور، وبالتالي حساب الازمان وحصرها. و تحديد زمن وقوع الحوادث تحديدا دقيقا.[2]

علم التاريخ هو ذلك الفرع من المعرفة الانسانية الذي يستهدف جمع المعلومات عن الماضي وتحقيقها وتسجيلها وتفسيرها، وهو يسجل احداث الماضي في تسلسها وتعاقبها عن طريق ابراز الترابط بين هذه الاحداث وتوضيح علاقة السببية بينهما، ويفسر التطور الذي طرا على حياة الامم والمجتمعات والحضارات المختلفة، وبيان كيف ولماذا حدث.

اهمية علم التاريخ

يؤكد القران الكريم في آيات وسور عديدة الى اهمية دراسة التاريخ، اذ ان السير في الارض وسيلة لاكتشاف القوانين، والقرآن الكريم يدلنا على مجال رحب لاكتشاف الظاهرة البشرية، واستخلاص العبر، ومعرفة هذه القوانين تجعل الانسان صلبا في التعامل مع الاوضاع القائمة، والقران الكريم يحيل الى احوال الامم ، ويأمرنا ان نسير في الارض لأجل اجتلائها ومعرفة حقيقتها. وبالتالي فان اختلاف حال العصور دفع الى الحاجة لتدوين الاحكام وعلم العقائد والى

1 كب (H.A.R. GIBB). علم التاريخ، ترجمة ابراهيم خورشيد واخرون. بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1981،27.

2 المصدر نفسه ، 23.

تدوين العلم. ان دراسة التاريخ والبحث في السنن الكونية مطلب رباني، وهو مطلب عقلي ايضا، فالتاريخ هو بيت الخبرة الانسانية. ومن لا يعرف التاريخ يتعثر في مطبات كبيرة، اما من استفاد واتعظ ممن قبله، وابتعد عن التجارب الفاشلة فانه وضع لبنات جديدة في بناء التجارب الناجحة.[1] التاريخ علم بتاريخ تطوره وتنوع الاساليب التي ارتقى اليها بالبحث وبتنوع مصادره، الرواية المجلس،القصة،الشعر،التدوين، وهذه كلها مصادر حفظت لنا تاريخ الامم والشعوب. والتاريخ علما بأهميته للشعوب والامم، فهو يعطي التجربة والدرس والهوية للأمم والشعوب،

هل التاريخ علم ام فن

ويقول ابن خلدون ان فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية، اذ هو يوقفنا عن احوال الماضيين من الامم في اخلاقهم والانبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في احوال الدين والدنيا.[2] وابن خلدون يسمي التاريخ علما واحيانا اخرى فنا، والعرب اطلقوا على التاريخ علما واحيانا فنا.

وعلى الرغم من ان علم التاريخ لا يملك نفس ادوات وخطوات البحث في العلوم الصرفة، الا انه جزء من علوم انسانية واسعة تمتلك معايير البحث العلمي، زيادة على انه يحفظ سجلا لتطور العلوم ، بل اصبح التاريخ حقلا تجتمع فيه العلوم، واصبح حقيبة لها.

التاريخ يدرس الزمان والمكان والانسان

كون التاريخ علم ، فان ذلك لكونه يشتمل على معارف كثيرة، وله قواعده واصوله ومنهجه ، للوقوف على العلل والاسباب وبيان النتائج، وهو علم يدرس التطور البشري في جميع مجالاته، فضلا عن انه اعتمد على خطوات منهج بحث علمية، كالتجريب الاستقرائي ومقارنة حصيلة من الاحداث وحصر ظاهرة واحدة لدراستها ويمكن ان يتوصل الى احكام يمكن الاستفادة منها في المستقبل.

والمؤرخ ينظر الى الحوادث بانها كل ما طرا من تغيير على حياة البشر، وكل ما يطرا من تغيير على الارض او في الكون، متصلا بحياة البشر، والحوادث كلها مهمة سواء كانت نتائجها واثارها واسبابها قصيرة المدى او طويلة المدى، اذ ان هناك حوادث مهمة تحدث تغيير وتجعل ما قبلها يختلف عن ما بعدها، فولادة طفل قد يصبح يوما من الايام قائدا كبيرا او مفكرا عظيما، ويصبح من صناع التاريخ. وبالتالي فان الحوادث هي تغييرات، وبما ان التغييرات هي وليدة الزمان

1 المصدر نفسه.

2 المصدر نفسه.

وسيره، فالتاريخ هو الزمان، والتاريخ يدرس كل تغيير طرا على الكون والارض، وكان له تأثير على حياة البشر، ومنهجه يستمد عناصره من المكان والزمان والانسان.[1]

التاريخ علما من خلال منهج البحث الذي يعتمده

وعلى العموم فان المنهجية العلمية التاريخية لا تستقيم الا اذا توافرت لها ادواتها وهي المفاهيم والادلة والفهارس وكشافات ومصطلحات ودوائر معارف.[2]

المشتغلون في علم التاريخ على اختلاف المدارس التاريخية بحثوا عن وضع آليات وقواعد للبحث في التاريخ للخروج بنتائج سليمة غير متحيزة ولا تخالف العقل والمنطق. ويشترط في تحقيق العلمية التاريخية تدقيق المصادر واجراء الفحص والنقد للمصادر التاريخية، فالدراسة التاريخية تشترط الموضوعية وتسجيل الحدث التاريخي كما مثبت في الوثائق والمصادر، مع الاشتراط في ان يسجل المؤرخ احداث التاريخ وسردها مع ضرورة بيان الدوافع والاسباب وراء ذلك الحدث والنتائج التي الت اليها الاوضاع من جراء ذلك الحدث، فالحدث التاريخي يترك اثار ومتغيرات سياسية واجتماعية كبيرة.

فقد اعتمد المنهج التاريخي من الناحية العملية على تجميع مصادر الماضي واثاره، وعلى نقد هذه المصادر وتحقيقها وضبطها واستخلاص الحقائق ومن ثم اعادة تركيبها، ولذلك لم يعد ممكنا فصله عن بقية العلوم الانسانية، [3]

والمؤرخ مطالب بان يرتقي بعلمه ويؤكد علمية منهجه من خلال ما يقدمه من قراءات فكرية وتحليلية للحدث التاريخي وادوات ومعايير البحث الكفيلة بالارتقاء بالعلوم والمعرفة، اذ ان اهم معايير البحث العلمي اعتماد المصادر الموثوقة، واعتماد الوثائق واستخدامهما وفحصها ونقدها، فضلا عن ما يتضمنه البحث من قدرة على التحليل والاستقراء واكتشاف ومعرفة الحقائق، فالمؤرخ الباحث العالم هو الذي يمنح التاريخ علميته ورصانته ويجعله علما ومنهجا وفكرا.

1 حسين مؤنس. *التاريخ والمؤرخون .. دراسة في علم التاريخ*. القاهرة: دار الرشاد، ط/2، 2001. 23.

2 المصدر نفســــــــــــــــــــــــــــــه. 58.

3 (كوثراني ط/2، 2013)، 387.

يعتمد التاريخ في الحقائق التي يتوصل اليها على الكتب والمصادر والصحف والوثائق والاوراق الشخصية والمستندات وسجلات الارشيف وكتب التاريخ، وبالتالي فالمؤرخ من خلال هذه المراجع والمصادر المتنوعة قادر على تقديم وكتابة سجل بالماضي الانساني وتقديم حكاية وقصة وراي ونتيجة وتحليل، فالتاريخ يؤكد ان الاحداث السابقة تقدم نتائج وقراءات ونتائج مترابطة، والمؤرخ ايضا هو لوحده يجيد التعامل مع كل مصادر المعلومات ويقوم بتحليلها ونقدها وتمحيصها واستخلاص النتائج والقراءات والحقائق منها.

علاقة التاريخ مع العلوم الاخرى تؤكد انه علما وانه حقيبة العلوم والتاريخ حقلا متجددا للعلوم ، ووفقا لمدرسة الحوليات الفرنسية فقد تعددت وتوسعت وتعمقت حقول المعرفة الانسانية على مناهج العلوم الاجتماعية التي ارتكزت بدورها على معطيات التجربة الراهنة للواقع، وعلى رصد حالات وعينات ميدانية في المجتمع. وبالتالي فان التاريخ كعلم اخذ مساره كبقية العلوم، وهذا التطور هو بذاته حقل للتواصل بين المنهج التاريخي ومناهج العلوم الانسانية والاجتماعية الاخرى، كما هو حقل تلاقي للدراسات في موضوع يخص التاريخ او غيره من العلوم.[1]

يوصف التيار المنهجي الذي يدعو الى التكامل بين التاريخ والعلوم الاجتماعية بانه تيار كامل يهدف الى ان يجعل من التاريخ علما قائما على اساس التعبير الكمي والبينات، وعلماء اخرون جعلوا من التاريخ البعد التطوري لعلم الاجتماع او الاقتصاد، هذا التداخل بين التاريخ والعلوم الاجتماعية والانسانية المساعدة من زاوية الحاجة المنهجية ساعد على اعادة ترتيب الحقائق التاريخية، وبما ان مجال اهتمام المؤرخ الرئيسي هو الكون الماضي فهو لا يستطيع ان يتناول مادته بالترتيب والتركيب بغير وسائل فكرية وعملية معاصرة، ولان العلوم الاجتماعية لا تستطيع تناول الظواهر الا في الزمان ، لذلك تحتاج الى التاريخ، كما ان التاريخ يحتاج اليها،وبالتالي فان الفواصل بين علم التاريخ والعلوم الانسانية تبدو نسبية.[2]

علم التاريخ عند مدرسة الحوليات

---

1 المصدر نفســــــــــــــــــــــــــــــــه، 387.

2 (كوثراني ط/2، 2013)،388.

ساد اعتقاد في القرن التاسع عشر لدي اصحاب فلسفة الوضعية التجريبية او الفلسفة المادية التاريخية يحصر المعرفة التاريخية في قوانين مشابهة لقوانين الطبيعة، ويبالغ في تفاؤله بمستقبل العلم الطبيعي وامكان انسحاب قوانينه على كل مجالات الحياة الانسانية وامكانية تطبيقها في علم التاريخ. وقد اخذ التصنيف الوضعي الذي يقوم على مبدا استقلالية كل علم يضعف لمصلحة فكرة التداخل بين العلوم، وتخلت النظريات العلمية وخاصة في الدراسات الانسانيات عن صفة ادعائها الاطلاقي وتموضعت في مرحلتها التاريخية كمجرد نظرية من بين النظريات. وبالتالي استدعى هذا التطور تعددا كبيرا في حقول الاختصاص واخذت المسارات تنحى نحو تداخل المناهج فيما بينها في طرائق البحث وفي استخدام معطيات معلوماتية شتى لتعميق الدراسة في موضوع معين.[1]

وظهور حقل المعرفة الجديدة يتمثل بثلاث مظاهر، الاول هو التأكيد على علمية بعض حقول البحث، وهي اما علوم جديدة او انها برزت منذ عقود، مثل علم الاجتماع والديمغرافيا والانثروبولوجيا، وعلم الاخلاق وعلم الاعراض(السيميولوجيا) وعلم البيئة(الايكولوجيا)وعلم استشراف المستقبل. والمظهر الثاني شمل العلوم التقليدية مثل الالسنة الجديدة والتاريخ الاقتصادي الجديد ، واما المظهر الثالث يتمثل في تداخل الاختصاصات مثل التاريخ الاجتماعي والديمغرافيا التاريخية والانثروبولوجيا التاريخية.[2]

يتميز التاريخ بوصفه حقلا متجددا للعلوم، وهناك تاريخ جديد وكان اول رواده هنري بار الذي استخدم هذه التسمية سنة 1930،وهذا الحقل المتجدد للعلوم ظهر في خاصتين الاولى في تجدده الكامل والثانية تمثلت في تجذره في صلب تقاليد قديمة وصلبة. ومن العلوم التي تجددت علم الجغرافية وهي اول العلوم الانسانية بفضل تطور الجغرافية البشرية. وقد اثر علماء الجغرافيا كعلم للانسان في رواد التاريخ الجديد مثل لوسيان فافر ومارك بلوخ وفرناند بروديل، واكد لوسيان على هذا التحالف بين الجغرافية البشرية والتاريخ الجديد، وطالب الجغرافي ان يفكر كمؤرخ وجغرافي في الوقت نفسه، وقد فتح لوسيان فافر من خلال كتاب الارض وتطور الانسانية، مقدمة جغرافية للتاريخ، والبحث عن الزمان والمكان في الوقت نفسه.[3]

1 المصدر نفسه، 386.

2 (لوغوف ط/1، 2007)،76.

3 المصدر نفسه، 77.

وقد ترتب على ذلك ايلاء التاريخ الجديد اهمية كبيرة لعلم الخرائط، فهو ينتج ويستعمل الخرائط لا مجرد وسائل للاستدلال والايضاح، وانما خرائط للبحث والتفسير، وسيكون دور التاريخ في نحت المشهد الطبيعي وانظمة الزراعة ، فالمزارع المغروسة بالاشجار والمسيجة ليست من انتاج التربة وانما من ابداع الانسان، فاعتماد المؤرخ للخرائط كمصدر مهم من مصادره والاستعانة بعلم الجغرافية كعلم مساعد مكمل يعزز المنهج العلمي للتاريخ ويؤكد انه علما من العلوم.[1]

في كتابه الجغرافية توجه التاريخ اظهر جوردن ايست ارتباطا علميا دقيقا بين الدراسات الجغرافية والدراسات التاريخية، وأن كلاهما يلتمس الضوء من الاخر ، والتاريخ وحدة يملك حلا للمشاكل التي تواجه الجغرافي الذي يدرس الحاضر، فالتاريخ يتعامل مع مشاكل حاضرة لكن في يدِ الماضي مفاتيح حلها. و نستعين بقول جوردن ايست الذي يؤكد فيه (أن دارس التاريخ يجب أن يغادر مكتبه وفي يده خريطة ليفهم العالم المحيط به) فهنالك علاقة تبادلية بين الجغرافية والتاريخ . وبما ان للموقع الجغرافي اهمية في قيام الحضارة ومعرفة مظاهرها، فضلا عن ان الأرض التي تعد مسرحا للأحداث الجغرافية هي التي تحدد الأماكن التي وقعت عليها الأحداث، ان المناخ كعنصر متغير في البيئة اكد أهميته في التأثير على حياة البشر .

زيادة على ذلك وفقا لجوردن ايست هناك أهمية للظروف الطبيعية في تحديد الطرق، والايحاء للانسان بإنشائها، واستخدامها، وقد استدعى الانتباه إلى بقاء الكثير من الطرق القديمة في العصور الغابرة إلى أهميتها، وإعادة إحيائها في عصر كطرق للتجارة العالمية. فالجغرافية التي تهتم بانشاء المدن ودراسة مراكز المدن وعلاقاتها مع تخومها تعطي تفسيرا لاسباب قيام المدن وتطورها، وتقدم الفرضيات الدقيقة للمؤرخ. فالحدود التي فرضتها الطبيعة تؤثر بشكل حتمي على الثقافات بحكم الاتصال الجغرافي والسياسي. وتزداد الاهمية في وصف العلاقة بين التاريخ والجغرافية بالقول ان للجغرافية تاثير في تطور العلاقات وانتقال التجارة وفي تطور مظاهر نشاط الانسان، فضلا عن اهميته في تفسير الحوادث التاريخية.

والمؤرخ عندما يسجل التجربة ويكتبها وفق حقيقة مفادها ان التاريخ علم بمنهجه وفن بأسلوب عرضه، فالمؤرخ يعتمد في دراسته كل اصول البحث العلمي وقواعده في جمع الاصول واستخراج

1 المصدر نفسه.

المادة العلمية السليمة منها، ثم يبدا الجانب الفني او التأملي او الكمي، وهو طريقة العرض والصياغة.[1]

فالتاريخ علم يهتم بتسجيل احداث الماضي ويحدد ملامحها وازمنتها وتطوراتها، ويستخلص دروسها والعبر والتجارب التي تقدمها للمجتمع في حاضره ومستقبله، والتاريخ علما يعتمد مناهج واليات البحث في الدراسات الانسانية بالتدقيق والتمحيص والنقد، وان علاقة التاريخ مع العلوم الاخرى المساعدة والمكملة يجعل منه يمتلك معايير البحث العلمي، فالتاريخ معني بالماضي والحاضر والمستقبل، وهو حقيبة وخزانة العلوم.

وبموجب ما تم ذكره عن ما يؤكد اهمية علم التاريخ وامتلاكه مناهج واليات البحث العلمي، فان ذلك يفرض على المؤرخين ان يرتقوا الى حجم المسؤولية الفكرية بضرورة امتلاك المعايير التي تؤهل المؤرخ لان يتعاطى مع حاضر الامم والشعوب بما ينفع من خلال استلهام العبر والدروس لبناء المستقبل.

وان امتلاك المؤرخ لمؤهل اخر للنجاح واداء المهمة بما يستحقه من اهمية من خلال امتلاك منهجية البحث العلمي التي تتوافق مع التطورات العالمية، فضلا عن اهمية الانفتاح على العلوم الاخرى والاستفادة من خبراتها وادواتها لاستكمال تقديم القراءة التاريخية وتقديم الدراسات الموضوعية الرصينة للاحداث واستلهام دروسها وخبراتها.

فالمؤرخ قيمة عليا في المجتمع وما قدمه من فكر ودراسة هي خلاصة لقيم وتضحيات ومواقف واحداث المجتمع، وبالتالي فان دراسة الماضي هي من اجل ضمان المستقبل.

1 حسين مؤنس. المصدر السابق، 58.

المدارس السريانية وتأثيرات الفكر المسيحي
مدرسة الرها إنموذجاً

الدكتورة هدى علي كاكه يى
الجامعة العراقية/ كلية الآداب

ملخص البحث:

من الأمور المعترف بها، أن اللغة السريانية شكلت الحلقة الرابطة، التي سمحت للشرقين الأدنى والأوسط، بامتلاك منجزات العلم اليوناني، بحيث أن هذا العلم استطاع أن يبلغ في مرحلة معينة تطوراً إبداعياً جديداً على أرضية عربية وفارسية.

ومنذ عهد السلوقيين أدخلت في منطقة أنطاكية والساحل السوري العناصر الإغريقية في الوسط الثقافي السرياني، حيث أن أنطاكية أصبحت منطقة تقاطع وتلاق، وتأثيرات ثقافية متبادلة، وقد جعل المستوى التعليمي الرفيع أنطاكية منافسة قوية للإسكندرية. وكانت أنطاكية في فجر المسيحية مدينة دولية، سكانها الأصليون من السريان، وهم عامة الشعب، وكانت السريانية لغتهم الخاصة.

وإلى جانب السريان، جاليات يهودية ويونانية، وكان اليهود أيضاً يتكلمون اللغة السريانية، إذ تعلموها واستعملوها لمّا كانوا في الجلاء البابلي في القرن السادس قبل الميلاد، وبقوا يستعملونها بعد الجلاء أيضاً حتى أيام المسيح ودعيت بالآرامية.

وعندما قدم (بطرس الرسول) إلى أنطاكية وعمل على ترسيخ الكنيسة المسيحية الأنطاكية وتوطيدها، واستعمل اللغتين الآرامية والعبرية، واستعملت الكنيسة السريانية الأنطاكية الطقس السرياني.

وعندما فترت أمجاد البتراء وتدمر، شغلت أنطاكية بعدهما مكانة مركزية، فأصبحت اللغة اليونانية هي لغة المحادثة اليومية، ولغة الأدب في سواحل سوريا. ولكن حوفظ في أنطاكية على اللغة السريانية التي كتب بها الكثير من المؤلفات في القرن السادس الميلادي، إلا أن مهد السريانية، وموطن مجدها، وازدهارها كانت بلاد ما بين النهرين التي صارت الآرامية فيها لقرون طويلة لغة المراسلات والوثائق والعقود والتقاليد منذ عهد الأخمينيين، في كل من الرها، ونصيبين وآمد وقنسرين، ثم اكتسبت هذه اللغة صفات نوعية جديدة، فحولت إلى اللغة السريانية المتطورة التي أصبح بإمكانها التعبير عن أية مفاهيم ومصطلحات سواء كانت

فلسفية، أم علمية، أم دينية وعقائدية، وقد لعب انتشار المسيحية دوراً كبيراً في هذا المجال، فازدهر الأدب السرياني في الجزيرة الفراتية السورية وبلاد الرافدين، التي أمدّت البشرية بروائع أدبية قديمة، سارت على نهجها الآداب في سوريا ممثلة بمركزها الثقافي الشهير في أنطاكية.

هذا وقد كانت معرفة الأحرف والقراءة والكتابة ضرورية جداً في حياة السريان بغية امتلاك مجمل المعلومات الضرورية لهم في حياتهم العملية، فكان نظامهم التعليمي يقوم على تعليم الفرد القراءة والكتابة، وكذلك فهم ما يقرأ. وهنا لابد من التأكد من هذا السياق على السهولة النسبية في تعليم الكتابة السريانية بفضل أبجديتها السهلة، ونظام الحركات للنص، وخصائص تركيب الجمل السريانية فقد ساعد كل ذلك انتشار اللغة السريانية بشقيها اللفظي والكتابي في كل أرجاء الجزيرة الفراتية وبعض المناطق الآسيوية وغيرها. وقد لعبت المدرسة التي كانت المكان المخصص لتعلم القراءة والكتابة السريانية دوراً رائداً في تكوين تقاليد راسخة لاكتساب مجموعة من المعارف الأولية، وبالنتيجة في تقرير مصير اللغة السريانية وآدابها المختلفة.

أنشأت المدارس عند السريان بشكل فعّال، منذ دخولهم في المسيحية، فانتشرت في بيئتهم انتشاراً كبيراً جعلتهم في طليعة شعوب الشرق ثقافة وبلاغة، فضلاً عن ما أنجبته تلك المدارس من العلماء والأعلام والمؤلفين، الذين ذاعت شهرتهم شرقاً وغرباً.

وقد كانت القرون الوسطى من القرن الخامس إلى القرن السابع الميلاديين مرحلة ازدهار فعلي للمدارس السريانية، واستمرت هذه المدارس تلعب دور المراكز التعليمية الرئيسة حتى القرن الثاني عشر الميلادي.

Syriac schools
and the Influences of Christian Thought
Al –Raha School As A model

Dr. Huda Ali Haider
Iraqi University / College of Arts
Department of History / Christian Thought

Research Summary

It is recognized that the Syriac language formed the link between the two countries, which allowed theorientalists in the Near East to acquire the achievements of Greek science, in a way this science could have developed a new creative development on Arabic and Persian ground.

Since the Seleucid era, the Greek elements in the Syriac cultural center have been introduced in Antioch and the Syrian coast as Antioch has become a cross-cultural area, with a mutual cultural influence and the high level of education has made Antioch a strong competitor to Alexandria. At the dawn of Christianity, Antioch was an international city, its original inhabitants wereSyriac, whom they were the common people, and Syriac was their own language.

Besides the Syriac, Jewish and Greek communities, as the Jews also spoke the Syriac language. They learned and used it when during the Babylonian exile in the 6th century BC, and they continued to use it after the evacuation until the days of Christ and were called Aramaic.

When (Peter the Apostle) came to Antioch and worked on the consolidation of the Antiochian Christian Church as well as he used the Aramaic and Hebrew languages, and the Syriac Church used the Syriacritual.

When the glory of Petra and Tadmur was lost, Antioch occupied a central position, then Greek became the language of everyday conversation and literature on the coast of Syria.

But in Antioch the Syriac language was preserved in in which many books were written in the sixth century AD, but the cradle of Syriac, the home of its glory and prosperity, was Mesopotamia, where Aramaic had been the language of correspondence, documents, Al-Raha, Naseebin, Amad and Qansrinfor centuries. This language acquired new qualities, changed to the adavancedSyriac language that could express any concepts or terms, whether they wre philosophical, scientific, religious or ideological, Where the spread of Christianity played a major role in this field. The Syriac literature flourished on the Syrian island of Euphrates and Mesopotamia, which provided humanity with ancient literary wonders, followed by literature in Syria represented by its famous cultural center in Antioch. Literacy was essential in the life of the Syrians in order to have all the necessary information for them in their practical life. Their educational system was based on teaching the individual to read and write, as well as to understand what he read is reading.This is due to the relative ease of teaching Syriac writing thanks to its easy alphabet, the system of movements of the text, and the characteristics of the structure of the Syriac sentences. All this helped to spread the Syriac language in both pronounced and written forms throughout the island and some Asian areas. The school, which was the place for literacy in Syriac, played a leading role in the formation of a well-established tradition of acquiring a collection of primary knowledge and consequently in the self-determination of the Syriac language and its various literatures.

Since their entry into Christianity, the schools have been established. Therefore, their culture has spread widely in their society, making them the forefront of culture and eloquence among the peoples of the East, as well as the scholars, scientists and authors, whom they were well knownin east and west.

The Middle Ages from the 5th to the 7th century were an actual flourishing of Syriac schools, and these schools continued to play the mainrole of the educational centers until the twelfth century AD.

نشأة المدارس السريانية:

أنشأت المدارس عند السريان بشكل فعّال، منذ دخولهم في المسيحية، فانتشرت في بيئتهم انتشاراً كبيراً جعلتهم في طليعة شعوب الشرق ثقافة وبلاغة، فضلاً عن ما أنجبته تلك المدارس من العلماء والأعلام والمؤلفين، الذين ذاعت شهرتهم شرقاً وغرباً.

وقد كانت القرون الوسطى من القرن الخامس إلى القرن السابع الميلاديين مرحلة ازدهار فعلي للمدارس السريانية، واستمرت هذه المدارس تلعب دور المراكز التعليمية الرئيسة حتى القرن الثاني عشر الميلادي[1].

ومما يجدر ذكره هنا، انه قد وصلت من تلك الأزمنة معلومات حول بعض المناطق التي تحولت إلى منارات للعلم والثقافة، ومصادر للمعرفة السريانية في أقاصي الأقاليم الشرقية من الجزيرة الفراتية، فأتاحت بذلك انتشاراً واسعاً للمسيحيين شمل مجمل مناطق بلاد ما بين النهرين. وكانت المدارس الأولى والأكاديميات تشكل مراكز الحصول على المعارف العلمية العليا، وتشير الكثير من المؤلفات السريانية إلى المدارس التي قامت في تلك الأزمنة، مثل كتاب الرؤساء لـ(توما المرجي)، وكتاب العفة لـ(أيشو عنداح البصري)[2].

والمدرسة السريانية العليا هي جامعة القرون الوسطى، التي عرفتها بيزنطة والغرب اللاتيني، متأثرة بالتقاليد والمناهج الإغريقية القديمة، فالمدارس السريانية يذكرها بصورة دائمة مؤرخو القرون الأولى للمسيحية، ليس السريان منهم فحسب، إنما اليونان أيضاً[3].

وقد اشتهرت تلك المدارس كمراكز للتدريس والثقافة والتعليم، أما المدارس من المرحلة العالية، فكانت تتميز بأهمية استثنائية خاصة، حيث كانت مهمتها الرئيسة، تدور حول قراءة

1 نينا بيغو ليفسكيا، ثقافة السريان في القرون الوسطى، ترجمة: د. خلف الجراد، ، (سورية، مط. دار الحصاد للنشر والتوزيع، 1990م)، ص76؛ موسى مخول، نصيبين ومار أفرام، المؤتمر السرياني الحادي عشر، مار أفرام السرياني شاعر لأيامنا، (أنطلياس، مط. مركز الدراسات والأبحاث المشرقية،2007م)، ص13.

2 نينا بيغو ليفسكيا، ثقافة السريان في القرون الوسطى، ص ص338_339.

3 موسى مخول، نصيبين ومار أفرام، ص2.

الكتاب المقدس وشرحه وتأويله، بغية تسهيل الآراء العقائدية وترسيخها، وكذلك الاتجاه الفلسفي الذي أيّده السريان. كما أن تقليد المسيحيين الأوائل كان يدرك معنيين للكتاب المقدس: الأول حرفي، والثاني رمزي، والأخير هو مسيحاني.

تاريخ المدرسة السريانية:

إن تاريخ المدرسة السريانية والتعليم السرياني يسمحان فعلاً بالغوص عميقاً في عملية انتقال المعارف العلمية والتعرّف الحقيقي بطبائع الناس، الذين عاشوا في الماضي البعيد، وكانوا في عصرهم حملة مشاعل ثقافية عظيمة، حيث استطاعت الكتابة والقراءة والتقاليد المدرسية المتوازنة، أن تيسر استيعاب اللغة السريانية وتساعد في استخدامها كلغة عالمية لعبت دور الوسيط الفعّال بين الغرب الإغريقي واللاتيني، والشرق العربي_ الفارسي. فقد لجأ كلا الطرفين، الشرق والغرب إلى عون السريان كنقلة وعلوم ومعارف ومترجمين. لهذا أصبح السريان أعضاء بعثات دبلوماسية، ووفوداً أرسلت إلى بيزنطة باعتبار أن الذين عاشوا عبر أراضي فارس اعتنقوا دين القيصر، فأرسلوهم من بيزنطة إلى إيران، وذلك لأنهم كانوا على معرفة عميقة باللغة والعادات، إذ كان عدد كبير من السريان موجوداً باستمرار في البلاط الفارسي، وعلى مقربة من الملوك بالذات، فقد كان السريان نافعين لكلتا الإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية، سواء بالتوسط بينهما، أو بالاتصال مع قوة ثالثة، برزت ناهضة في الشرق، وهي الدولة العربية الإسلامية.

والانتشار الواسع للثقافة السريانية مرتبطة بتاريخ مدن ما بين النهرين، والتي تشغل مدينتا الرها ونصيبين المكانة الأكثر ريادة وطليعية بينها، سواء كمواقع اقتصادية ومنشآت حرفية، أو كمراكز تجارية وتعليمية على مستويات رفيعة من الدقة والتعليم[1].

وكان الرهبان في أديرتهم هم مصدر العلم والتهذيب. ويصف (يوحنا التلي) في قوانينه السلوك المتبع آنذاك:

"إن على الأولاد الذين سيصبحون أبناء العهد، أن يُرسلوا إلى الأديرة ليقرأوا الكتب، ويتعلموا السلوك الورع، ذلك لأنه إذ كان في سبيل العلم، ومن أجل هذه الدنيا، يرسل العديد أبناءهم

1 القمص تادرس يعقوب ملطي، نشوء الفكر المسيحي_ المسيحية عبر تاريخها في المشرق، الفكر اللاهوتي في مدرسة الإسكندرية (د.م، ، د.مط، د.ت)، ص117.

إلى البلاد النائية، فكم هو أليق بأولئك الذين عزلوا أولادهم وقدموهم لله، بأن يرسلوهم إلى الأديرة المقدسة في سبيل الحكمة الروحية"[1].

ويبدو أن المدارس في المدن كانت داخل الأسوار، حتى ولو أن الدير الذي تنتمي إليه المدرسة كان خارج المدينة. والإشارة الوجيزة الوحيدة عن التدريس في الرها ترجع إلى عهد المطران (رابولا)[2].

التعليم في المدارس السريانية:

حفظت لنا المصادر التاريخية المتوفرة معلومات جمّة عن كيفية سير الدروس، وكيف كان التعليم، وكم من الوقت تستمر المرحلة التعليمية. إن المعطيات المتوفرة عن المدارس السريانية في القرنين الرابع والخامس الميلاديين ناقصة إلى حد ما، إلا أنها مع ذلك تدور حول نقاط ارتكاز جوهرية، بهذا الشأن، وأن المدارس وطرائق التعليم بقيت إلى مدى طويل من القرون تتابع تقدمها، حتى أنها ارتدت طابعاً عالمياً أيضاً.

كان التعليم الابتدائي يجري ضمن الكنائس التي تدار من قبل رجال الإكليروس المثقفين. ومما يذكر أنه وجدت سلسلة منظمة من التعليم الابتدائي لابد من اجتيازها قبل الانتقال إلى حلقة دراسية أعلى، الأمر الذي يؤكد أن التعليم المذكور كان يجري وفق برنامج لافت للانتباه بشكل خاص، وأنه في عدد من الحالات لم تكن المدرسة تابعة للدير، وإنما بنيت مستقلة في القرية، ولم يكن المعلمون يخضعون لسلك الرهبانية مباشرة، لكنهم كانوا يتمتعون بوضع خاص واحترام كبير.

وفي تاريخ المدارس السريانية توجد معلومات عن إحصاءات خاصة بعدد المدرّسين والدارسين في هذه المدارس، وهنا يروي (توما المرجي) أن (مارون) عمه، مطران حدياب ما بين سنة (753_772م) غادر مرة أبرشيته ليزور قرية بيت يداري، حيث كانت فيها مدارس صغيرة تضم إثني عشر تلميذاً ومعلمهم[3].

وإن قواعد أكاديمية نصيبين وأنظمتها تعد من أروع أنظمة التعليم السرياني، وهذه القوانين أو اللوائح، تجسد أقدم نظام داخلي لجامعات القرون الوسطى؛ وقد دوّنت في تلك اللوائح قواعد محددة تنظم سلوك الدارسين وتصرفهم، ومعطيات دقيقة عن ظروف حياتهم

1 نينا بيغو ليفسكيا، ثقافة السريان في القرون الوسطى، ص ص89_90.

2 موسى مخول، الحضارة السريانية حضارة عالمية، (بيروت، مط. بيسان، 2009م)، ص83.

3 نينا بيغو ليفسكيا، ثقافة السريان في القرون الوسطى، ص65.

ومعيشتهم، فضلاً عن الأقسام الرئيسة للمدرسة، وتحدد هذه القواعد واللوائح النظام الداخلي للمدرسة، كما تحمل سمات وخصائص معيارية_ أخلاقية، فتكشف بالدرجة الأولى عن الملامح السلبية التي لا تنسجم مع قوانين المدرسة واللوائح الدراسية والمسكن الداخلي. وتعطي هذه اللوائح مع بقية المصادر والوثائق الخاصة الممتدة من القرن الخامس حتى القرن السابع الميلاديين فرصة عملية لتصور واقعي حول نشاط عدد من الشخصيات، وحول حياة المدرسة والوضع السياسي بصورة عامة[1].

ونجد أن بعض المصادر السريانية تستعمل عبارة "اجتماع مجلس" بدلاً من كلمة مدرسة، وهذا الاستبدال اللغوي لم يكن وليد الصدفة، فالمدرسة والاجتماع، أو مجلس المدرسة تشير إلى اختلافات في المستويات التنظيمية وفي مستوى التكوين وتشكيل الهيئات العلمية، إذ أن لفظة مدرسة تتضمن معنىً عاماً من جهة، أو معنىً خاصاً من جهة ثانية، أي المدرسة مع عدد معين من الدارسين أو المدرسة الابتدائية التابعة لأحد المعابد أو الأديرة[2].

أما الاجتماع و(الهيئة) (المجلس)، فأنها تتضمن تنظيماً اجتماعياً، أو اجتماعاً عمومياً للدارسين والمدرسين كافة؛ والمعروف أن عدد الدارسين في الرها ونصيبين كان يصل إلى مئات عدة وكان لابد لتنظيم هذه الجلسة أو المجلس من وضع مجموعة لوائح وقوانين تضبطها وتحدد سير العمل والعقوبات والمكانات في حاضرها ومستقبلها.

وفي عهد الأسقف (برصوما) المتوفى بين سنة (492_495م) وبعد نقل المدرسة العليا من الرها إلى نصيبين، ثم وضع أولى القوانين والقواعد التي يجب السير وفقها، ولاسيما فيما يتعلق بالأرضية الجديدة للمدرسة المذكورة، وقد صادق (برصوما) على هذه القواعد التي يجب أن تشكل أساساً متيناً في إدارة المدرسة ومعايير سلوك الدارسين وتصرفاتهم اليومية. وقد وافق على هذا النظام الداخلي أعضاء المدرسة كافة، وذلك من خلال توقيعهم جميعاً على اللائحة[3].

وينقسم بحث سبب تأسيس المدارس الذي تركه (برحذ بشبا عربايا) أسقف حلوان، إلى جزئين متميزين تماماً، يتكلم في الجزء الأول عن مناهج التعليم وطرائقه التي وهبها مبدع الكون

1 نينا بيغو ليفسكيا، ثقافة السريان في القرون الوسطى، ص78.

2 موسى مخول، الحضارة السريانية حضارة عالمية، ص85.

3 موسى مخول، الحضارة السريانية حضارة عالمية، ص86.

لمخلوقاته غير المرئية (الملائكة) وإلى الإنسان، وتعاليم يسوع المسيح إلى تلامذته وحواريه وأتباعه، وتضمن هذا الجزء تحليلاً فلسفياً لمسألة معرفة العالم[1].

الرها ومدرستها:

عرفت الرها (أورهي أو أورهاي) "بمدينة أور الكلدانيين"، ولكن كتّاب حياة الشهداء المسيحيين وشعراء أورهي في القرون المتوالية لم يذكروها. ويبدو أن أقدم مؤرخ سرياني عرّف مدينة أورهي بمدينة "أور" كان المطروفوليط (باسبل بارشوما). لكن كانت هناك مدن أخرى في بلاد ما بين النهرين تدعى قديماً (أورو) أو (أور)، وبموجب ملاحظة المطروفوليط (باسيل)، فإن كلمة أور لم تكن تعني أكثر من مدينة[2].

وفي العهد السلوقي، وتحت حكم (سلوقس نيكانور) (355_280 ق.م)، أعطيت الرها اسم (أوديسا)، وأن الكتابات المنقوشة بخط تدمري في دير مار يعقوب، تبرز العلاقات الوثيقة بين قادة المجتمع الرهاوي والإغريقي. وكانت هناك حركة تجارية بين الرها وحدياب من طريق نصيبين.

ومهما يكن من الأمر، فأن الثقافة اليونانية التي نقلها (الإسكندر الكبير) وخلفاؤه، هي التي تركت طابعها على الرها، في المرحلة الأولى والثانية من النفوذ الغربي على الجزيرة الفراتية، فنقود الرها كانت تحمل كتابة يونانية، وفي الوثيقة الرهاوية سنة (243م)، يوقع المفتش اسمه باليونانية، وكانت العائلات الثرية الرهاوية في زمن الملكية الأبجرية في مراحلها الأولى، ترسل أبناءها ليتثقفوا في البلاد التي تتكلم باليونانية غربي الفرات، إلى أنطاكية وبيروت والإسكندرية، أو إلى بلاد اليونان نفسها[3].

لكن الحضارة اليونانية في عصر الملكية وما بعدها، لم تؤثر إلا في جزء صغير من أهالي الرها، والمعروف عن الفيلسوف الرهاوي (برديصان)، الذي أرسل ابنه إلى المدارس اليونانية، أنه هو نفسه، كانت معرفته باللغة اليونانية قليلة، كذلك ما (أفرام السرياني) في القرن الرابع الميلادي

1 موسى مخول، الحضارة السريانية حضارة عالمية، ص86.

2 ج.ب.سيغال، الرها المدينة المباركة، ص6.

3 غريغوريوس يوحنا إبراهيم، المراكز الثقافية السريانية، (حلب، مط. دار ماردين، 1997م)، ص15 وما بعدها؛ الشحات السيد زغلول، السريان والحضارة الإسلامية، (القاهرة، مط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975م)، ص73.

أيضاً، كان لا يتقن هذه اللغة، وكان ما احتفظ في الرها بالتقاليد الهيلينية المرعية حول القوانين والتنظيم المدني، والتاريخ السلوقي بعد انسحاب السلطة السلوقية[1].

فقد تأثر السريان تأثراً ملموساً بالثقافة اليونانية، فالأساليب اليونانية كانت تبعاً لذلك ذات أثر فيما وصلت إليه اللغة السريانية، فقد حاكى السريان الأبنية اليونانية في بعض كتاباتهم، وقلّدوهم في طريق استعمال الكلمات، بل أنهم نقلوا إلى لغتهم كثيراً من الكلمات اليونانية، كما أسسوا علم النحو في لغتهم على غرار النحو اليوناني، واتخذوا من الأصوات اليونانية حركات يستعملونها في كتاباتهم[2].

وفي الصراع الناشب بين روما والفرثيين على السلطة في بلاد ما بين النهرين، كانت الرها عادة تقف إلى جانب الفرثيين، ومن وجهة نظر روما كان الملك (أبجر الرهاوي) فرثياً، واستمرت هذه الفكرة إلى زمن البيزنطيين، إذ نجد أن الشعراء السريان يصفون الرها بأنها فرثية أو ابنة الفرثيين، وألقاب ذوي المناصب العليا في المملكة مثل (باسفاريبا وزنوهدرا) فرثية، وكان في جدار قصر الملك (أبجر) في الرها برج يدعى بـ(برج الفارسيين)[3].

في حين ينسب البعض ملوك الرها إلى أصل عربي كما تدل على أسماؤهم معن، وائل، أبجر...، إذ يظن أن بعض رؤساء العرب دخلوا مدينة الرها كما دخل غيرهم حمص وتدمر، وصاروا ملوكاً على الشعب الآرامي، فنسوا لغتهم على مرور الزمن، وتعلموا لغة الشعب (الآرامية)، فلما دخلت المسيحية الرها في القرن الأول الميلادي، وتبع ذلك بناء الكنائس فيها، واتخاذ المسيحيين لغتها كلغة لهم، وترجموا إليها الكتاب المقدس، أصبح للّغة السريانية مركز ممتاز، وصارت الرها منذ ذلك الحين مركز الحياة الثقافية المسيحية باللغة السريانية[4].

مدرسة الرها وتأثيرات الفكر المسيحي:

انتزعت الرها أسبقية لغوية وثقافية على سائر دويلات الآراميين الذين أخذوا يسمون سرياناً، وتصاعد الأمر بعد أن أعلنت الرها مسيحيتها كأول مملكة في العالم تعلن المسيحية

1 ج.ب.سيغال، الرها المدينة المباركة، ص41.

2 الأب يوسف حبي، أصالة السريانية ومساهمتها في البناء الحضاري، (د.م، د.مط.، د.ت)، ص160؛ مراد كامل، تاريخ الأدب السرياني من نشأته إلى العصر الحاضر، (القاهرة، مط. دار الثقافة للطباعة والنشر،1974م)، ص25.

3 ج.ب.سيغال، الرها المدينة المباركة، ص41.

4 مراد كامل، تاريخ الأدب السرياني، ص37.

ديانة رسمية لها، وذلك في القرن الثالث الميلادي، أما انتشار المسيحية فيها وفي بلدان الجزيرة الفراتية فقد تم منذ القرن الأول الميلادي[1].

ورد ما نصه: "إن الرها باعتبارها مركز كنيسة الشعوب المتكلمة بالسريانية، وباعتبارها موطن الجانب السرياني من الحياة العقلية اليونانية في الشرق، قد أصبحت مركز انتشار ضياء النهضة الكبادوقية"؛ ويقصد بالآباء الكبادوقيين_ الكبادوكيين_ الذين كان لهم التأثير الكبير على العلوم الدينية قديماً، وهم كل من (باسيليوس النيصي) و(غريغوريوس النيصي) و(غريغوريوس النازاينزي)[2].

وكان التنظيم الإداري في الرها ذا صفة هلينستية، تبدو فيه تأثيرات فرثية، ولكن إذا عدنا إلى التاريخ الحضاري لبلاد ما بين النهرين (من سومر إلى بابل) ثم إلى تاريخ الفراعنة المصريين، نجد أن أصول هذا التنظيم يمتد إلى هاتين الحضارتين رغم بعدهما.

وخزانة الرها الملكية الخطية ووثائقها من أنفس الآثار الخطية السريانية القديمة، فهي من القرون الميلادية الأولى مكتوبة بآرامية سريانية[3].

ولكن الرها والممالك الآرامية_ السريانية الأخرى، لم تصبح مسيحية كلها في القرون الأولى الميلادية، فثمة آثار وثنية واضحة، كما كانت فيها جاليات يهودية مستحكمة، وقد كان آخر قرن من قرون المملكة الرهاوية، القرن السادس تحديداً، حافلاً بانتشار المسيحية فيها بشكل كبير، وكذلك في المنطقة بأسرها[4].

ويمكن وصف الفكر المسيحي الذي شاع في أوساط الرها بأنه أرثوذوكسي، مع نزوع نحو المرقيونية، والغنوصية، والديصانية، الأمر الذي أعد مادة جاهزة لكي يصوغ (ماني) مذهبه الخليط من الوثنية واليهودية والمسيحية، متأثراً بالزرادشتية الفارسية ومبدأيها الخير والشر، لكي يتجسد في الكسائية التوفيقية النزعة، وقد انتشرت المانوية في رقعة كبيرة من البلاد، وعرفت في نصوص آرامية وسريانية، بل تبنى مبتدعها أسطورة أبجر_ أدي، فسمى تلميذيه (أدي) و(توما)، بينما انتشرت الغنوصية بالآرامية واليونانية[5].

---

1 يوسف حبي، أصالة السريانية، ص160.

2 دي لاسي أوليري، علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، ترجمة: وهيب كامل، (القاهرة، د.مط.، 1962م)، ص9.

3 يوسف حبي، أصالة السريانية، ص161.

4 يوسف حبي، أصالة السريانية، ص163.

5 ناجي التكريتي، الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام، (د.م، د.مط.، د.ت)، ص ص36_141.

إن تقاطع تياري الحضارتين الغربية والشرقية أوجد مداً نشطاً وحيوياً في الرها، ومن الواضح أن الكتابة والأدب كانا شائعين في زمن الملكية، فشهرة المدينة في الأزمان المسيحية كمركز لأكاديمية شهيرة، كانت مبنية على تقليد راسخ طويل، والكتابة السريانية المنقوشة على التماثيل، وعلى جدران الأضرحة ولوحات الفسيفساء مكتوبة كتابة أنيقة؛ فقد شهدت الرها نشاطاً أدبياً مليئاً بالحيوية في السنين الأخيرة للملكية، لكن القليل هو ما تبقى من المؤلفات التي بالإمكان تحديدها واعتبارها رهاوية.

لقد نسخ كتبة أديرة الرها مخطوطات هامة، وتوافد الطلاب إلى هناك ليتعلموا الخط وعلم النسخ الصحيح، أمثال (ماروتا التكريتي) وكاتب سيرة حياته (دنحا) في بداية القرن السابع الميلادي، ومنذ تاريخ قديم، شغلت عملية الترجمة إلى اللغة السريانية طليعة علماء الرها، وكان اهتمامهم الرئيس في المرحلة الأولى ترجمة التوراة إلى السريانية، أما الأناجيل المنفصلة، والكتب المختلفة، من البشيطا (البسيط) والنسخ الأخرى من التوراة، ربما ألّفت في الرها[1].

ومما لاشك فيه، أن رغبة المسيحيين في شكل نموذجي موحد لنص التوراة في السريانية، نشأت من المجادلات اللاهوتية التي قامت بصورة واسعة في محيط هيلينستي، ومن الحاجة إلى تعبير واضح جلي للدوغما المعترف بها. وأن البشيطا، التي هي من عمل أيد متعددة تظهر في بعض النقاط اتكالاً على النسخة اليونانية. وقد أوجد (فيلوكسينوس المنبجي) الذي ولد في (غارمي) ولكنه تلقى علومه في الرها، الباعث على ترجمة جديدة للتوراة من اليونانية إلى السريانية، وذلك نحو سنة (508م)، ويقال أن نسخة سريانية للعهد القديم بأكمله، ومن المحتمل للعهد الجديد أيضاً، أنتجها الكاثوليكي النسطوري (ما آبا) في منتصف القرن السادس الميلادي، وكان قد تمكن من اللغة اليونانية وأصبح فيها علماً في أمرها[2].

وكانت المقالات اللاهوتية تترجم من اليونانية إلى السريانية في الرها، ويبدو أن التواريخ الإكليركية لـ(يوسابيوس القيصري) وكتابات (كليمنت) و(طيطس البوسطري)، كانت قد ترجمت إبان حياة هؤلاء المؤلفين، أو بعد ذلك بزمن وجيز. ونصوص هذه الكتابات تظهر في مخطوطات رهاوية، يرجع تاريخها إلى سنة (411م) و(462م)، وكانت من الرها وما جاورها قد ترجمت إلى السريانية أعمال (ديودورس الطرسوسي) و(ثيودورس الموبسوستياتي)، وكلاهما قبل

1 سيباستيان بروك، نشوء الفكر المسيحي في المشرق_ مدارس أنطاكية والرها ونصيبين اللاهوتية، المسيحية عبر تاريخها في المشرق، (د.م، مط. مجلس كنائس الشرق الأوسط، 2001م)، ص153.

2 ج.ب.سيغال، الرها المدينة المباركة، ص203.

سنة (425م)، و(نسطور) و(بولس السميساطي) و(ساويروس الأنطاكي)، وعديد من الكُتّاب اليونان الآخرين. وترجم المطران (رابولا) مقالات (كيرلس الإسكندري)، الدينية، بناءً على طلب (كيرلس) الخاص[1].

وكانت مدرسة الفرس نشيطة بصورة خاصة قبل إغلاقها سنة (489م)، ولم تكن تترجم الأعمال اليونانية اللاهوتية فقط إلى السريانية، بل كانت تؤلف بها كتابات أصيلة في النثر والشعر أيضاً. وكان علماء الرها على اتصال دائم بالعلماء المجاورين لهم في حرّان ذلك بعلماء أنطاكية وقورش[2].

ومهما يكن من أمر، فأنه ليس هناك دليل على أن الأدب الأصيل في الرها في هذه الفترة كان يؤلف بغير السريانية.

أما الترجمة العكسية، ترجمة السريانية إلى اللغات الأخرى، فقد بدأت منذ عهد متقدم، وقد تكون قصة أهل الكهف الشهيرة، قصة الأفسسيين السبعة النائمين ألّفت بالأصل بالسريانية، وبعدئذ ترجمت إلى اليونانية، وهكذا أيضاً كان الحال تقريباً من أعمال القديس (توما) المبكرة. كما أن كتابات مار (أفرام السرياني) ترجمت إلى لغات عدة، ومن ضمنها اليونانية بعد وفاته بوقت قصير؛ واستمد المؤرخ (سوزومين) عن اضطهاد المسيحيين في فارس من مصادر شرقية أرجحها السريانية، وكان يعرف سيرة مار (أفرام السرياني). وترجمت الآداب السريانية إلى الفارسية أيضاً.

وتبنّت المسيحية الشرقية سريانية الرها وأطرافها، وكان ما يزال ثمة من يفضل اليونانية على السريانية، فهي لغة السلوقيين البيزنطيين. أما لغة الفرثيين، الأدبية فهي الآرامية. وقد تعددت وتطوّرت في هذه المرحلة الحاسمة بالذات من تاريخ المنطقة، مرحلة انتقالها سياسياً ودينياً ولغوياً، ولسنا نخطئ في تعميم ذلك على الثقافة أيضاً، لكننا نلمس في مجمل هذا التحول نزعة مشرقية أصيلة، تجلّت بـ(ما إفرام) أيضاً، و(برديصان)، الذين لم يجيدوا اليونانية[3].

ونشير في هذا السياق إلى أن مدينة الرها كانت مرتبطة بطريق مهم يصلها بنصيبين وحدياب فأرمينيا باتجاه الشرق، بينما يصلها بسنجار والحضر في الجنوب الشرقي، وبميسان حتى الهند

1 سيباستيان بروك، نشوء الفكر المسيحي في المشرق، ص153.

2 ج.ب.سيغال، الرها المدينة المباركة، ص203.

3 ج.ب.سيغال، الرها المدينة المباركة، ص31.

عبر الخليج إلى الجنوب، وبمنبج إلى الغرب ومنها إلى فلسطين، وبتدمر إلى الشرق الأقصى. وهذا دليل على أهميتها التجارية والاقتصادية[1].

أبرز أساتذة مدرسة الرها وعلومها:

أما بالنسبة لمدرسة الرها التي يسميها المؤرخ (ثيودوس) مدرسة الفرس أو "الديداسكوليون المسيحي"، ويعد (مار إفرام) أعظم أساتذتها، كما يعد البعض أن (مار إفرام) هو المؤسس لهذه المدرسة، غير أن الواقع التاريخي يثبت عكس ذلك، ويبين أن (مار إفرام) رفع مستواها إلى مصاف عال، ذلك لأن تأسيسها أقدم من ذلك بكثير، هذه المدرسة كانت تعد من أولى الأكاديميات المشرقية[2].

وفي منتصف القرن الخامس الميلادي، كان هناك ثلاث مدارس في الرها: مدرسة الأرمن، ومدرسة الفرس، ومدرسة السريان. سميت كل مدرسة تخميناً بموجب التبعية العرقية أو الإقليمية لأعضاء الإدارة والتلاميذ في المدرسة. ومن البيّن أن صفة الفارسية أطلقت على أكاديمية الرها التي نحن بصددها، نسبة إلى عدد من التلامذة القادمين من وراء الحدود من الإمبراطورية الفارسية، والذين اجتذبتهم المدرسة[3]. كما أن تفوق أساتذة مدرسة الفرس ونتائجها، وتعدد الفروع فيها وحسن إدارتها وقوانينها الصادرة أكسبت المدرسة أكثر من شهرة محلية.

وأول مدير لمدرسة نصيبين اسمه مسجل في القسم الباكر من القرن الخامس الميلادي، كان اسمه (قيورا)، ومن الواضح أن المدرسة في ذلك العهد كانت صغيرة، وكان المدير هو المسؤول ليسعن شرح وتفسير الكتاب المقدس فحسب، بل عن التلاوة أيضاً وطريقة اللفظ، وعلم الوعظ والإرشاد. وبعد جيل كان (نرساي) مديراً، زيد أعضاء هيئة الإدارة، وعينت المحاضرات لتعليم الإلقاء وطريقة اللفظ وقواعد اللغة، وعلم والوعظ والإرشاد والكتابة، واحتل المدير نفسه كرسي شرح وتعليم الكتاب المقدس، وكانت الدروس مبنية على تعليقات القديس (إفرام السرياني)، وبعد ذلك استعملت كتابات (ثيودورس المصيصي) التي كان عدد منها قد ترجم إلى السريانية في المدرسة نفسها بالإضافة إلى ترجمات الفلسفة اليونانية إلى السريانية.

1 يوسف حبي، أصالة السريانية، ص165.

2 سيباستيان بروك، نشوء الفكر المسيحي، ص152.

3 ج.ب.سيغال، الرها المدينة المباركة، ص203.

كان التعليم في مدرسة الرها يبدأ بتعليم المزامير قراءةً ولفظاً، ثم تعلم الكتابة والخط، فقراءة العهدين، القديم والجديد، فطقوس الكنيسة وآباء الكنيسة الأوائل، وأهم مركز في المدرسة كان للمفسر، لأن تفسير الكتاب المقدس كان بمثابة العلم الأسمى، ويشتمل على الفلسفة، ولاسيما المنطق، واللاهوت، وسائر العلوم الدينية بالإضافة إلى الأدب واللغة، والصرف والنحو، والشعر والتاريخ، والخطابة، والمعاني ومبادئ الحساب والفلك لاستخدامها في احتساب الأعياد والصوم[1].

عنصر بارز من عناصر التعليم في غربي بلاد ما بين النهرين، شدد على عزل البلد عن بقية العالم المسيحي. كانت لغة التعليم السريانية، ومن الغريب أن هذا أشعل نار الحسد في صدور معلمي الثقافة المعاصرين في الغرب. فالأكاديميات الغربية التي كانت تستعمل اللغتين اليونانية واللاتينية، واجهت حراجة استيعاب ومقارنة الدراسات الجديدة للتوراة واللاهوت مع البلاغة والفلسفة والآداب الرفيعة الوثنية، وكان علم اللاهوت في المدارس المتكلمة بالسريانية، بالإمكان دراسته من جميه وجوهه، ويذكر (جو نيليوس) التقائه بفارسي تلقى علومه في مدارس السريان، "حيث يعلم الشريعة السماوية بطريقة منسقة... أساتذة عموميين كما نعلم نحن القواعد والبلاغة في الدراسات العلمانية: ... وأسس (كسيدورس) في القرن السادي للميلاد، كلية لاهوتية في الغرب تقليداً لكليات الرها ونصيبين، ولكنها لم تدم طويلاً"[2].

هذه النظرة عن فائدة اللغة السريانية، كوسيط للتدريب الشامل في اللاهوت، لم يشاركها الشباب الرهاويون المتشوقون لكسب بعض المعرفة عن ثقافة العالم الخارجي. كانت الدراسات في الجامعات الخارجية كجامعات أنطاكية، والإسكندرية، وبيروت جزءً جوهرياً في تثقيف أبناء العائلات النبيلة.

كان هؤلاء الشباب يرجعون من رحلاتهم ولهم معرفة صحيحة باللغة اليونانية، وكان هذا في الناحية الغربية من الجزيرة الفراتية علامة الرجل المثقف[3]، ولكن هؤلاء الأشخاص المثقفين كانوا قلّة، وبقية الشعب لم يكن يعرف اليونانية ومع هذا كله، فحتى الرجل المثقف في إقليم الرها (أوزروين) كان يقنع باللغة السريانية[4].

1 يوسف حبي، أصالة السريانية، ص171.

2 الشحات السيد زغلول، السريان والحضارة الإسلامية، ص77.

3 موسى مخول، الحضارة السريانية حضارة عالمية، ص97.

4 سيباستيان بروك، نشوء الفكر المسيحي، ص153.

إن مدرسة الرها بدأت مبكرة بالعناية بدراسة الفلسفة اليونانية وخاصةً فلسفة أرسطو وكان ذلك في القرن الخامس الميلادي، لكن الباحث _المؤرخ_ (سيباستيان بروك) يستبعد هذا الشيء[1].

وقامت مدرسة الرها على أكتاف أساتذة مدرسة نصيبين الأولى، الذين هجروها سنة (363م)، بعد سقوطها في أيدي الفرس، وكان (مار أفرام السرياني) أحد هؤلاء الأساتذة، وكان عالماً غزير المواد، بليغ الكتابة، فكان ذلك دافعاً للناس كي يحملوه على معاودة التعليم، فأضطلع بإدارة مدرسة الرها.

ورافق (مار أفرام) إلى الرها (أور هاي) جميع معلمي مدرسة نصيبين وبعض أشرافها، وفتحوا فيها مدرسة لبني جلدتهم عوض مدرسة نصيبين، ومن البديهي أن (مار أفرام) قد جمع حوله على غرار (برديصان) و(لوقيانوس)، و(ديودورس)، و(ثيودورس) في أنطاكية حلقة من التلامذة[2].

ومع أننا لا نعرف إلا القليل من التفاصيل، فمن الممكن أن يقال أن من أهم مساهمات مدرسة الرها دمجها العلم اللاهوتي اليوناني بالتراث السرياني المحلي، مرسية بذلك الأسس للكثير مما سيأتي في التراث السرياني اللاحق كافة، داخل الإمبراطورية الرومانية، وداخل الإمبراطورية الفارسية الساسانية[3].

وفي أواخر القرن الخامس الميلادي، راحت الرها تغرق في الظلام بينما راحت نصيبين تتألق، ومن الجائز أن من بقي من أساتذة وموظفين من مدرسة الرها قد التحقوا بـ(نرساي) في مدرسة نصيبين، التي كانت تقع على الحدود مباشرة في الإمبراطورية الفارسية الساسانية[4].

وقد لاقى (نرساي) الترحيب من قبل (برصوما) متروبوليت نصيبين، الذي كان من قدامى المدرسة الفارسية في الرها. وبعد وصوله بفترة، أحيى (نرساي) مدرسة كانت قديمة، وقيض لها بعد ذلك، أن تغدو خليفة المدرسة الفارسية في الرها.

---

1 أدي شير: تاريخ كلدو وآشور، (بيروت، مط. الكاثوليكية، 1913م)، ج2، ص6 وما بعدها؛ موسى مخول، الحضارة السريانية حضارة عالمية، ص97.

2 موسى مخول، الحضارة السريانية حضارة عالمية، ص97.

3 موسى مخول، الحضارة السريانية حضارة عالمية، ص ص95_99.

4 بترس: أبحاث في التاريخ وأصول اللغة المشرقية، (د.م، د.مط.، د.ت)، ج1، ص139؛ ألبير أبونا، أدب اللغة الآرامية، (بيروت، مط. ستاركو، 1970م)، ص110.

وقد علّم في مدرسة الرها مدرسون ينتمون إلى مختلف الاتجاهات العقائدية ومن هؤلاء (رابولا) أسقف الرها، وهو من قنسرين، ولد في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي في (7/آب/435م)، كان ابناً لكاهن وثني وأم مسيحية، وتزوج هو أيضاً من مسيحية[1]. وكانت له مقدرات شخصية عالية، أهلّته ليصبح معلماً في اللغة والدراسات اليونانية، فشغل منصباً إدارياً في بادئ الأمر، وعندما اعتنق المسيحية حجّ إلى الأماكن المقدسة في فلسطين وبعد عودته من الحج، وزّع كل ثروته وممتلكاته، وهجر أسرته وأصبح ناسكاً معتزلاً، فبلغ في ذلك ذروة التقشف، وأعلى مقامات الزهد المسيحي، وقد أهلّته صفاته الرفيعة لشغل درجة عالية في الكنيسة، ولم يبن (رابولا) كنائس جديدة كأسلافه، بل بنى عوضاً عن ذلك ملاجئ ومستشفى للرجال والنساء، كان يجيد اللغة اليونانية والسريانية، فترجم عن اليونانية عدداً من الكتابات أهمها ترجمة العهد الجديد، لاسيما الرسالة التي وجهها إلى (ثاودوسيوس الثاني) في ناسوت المسيح وترجمها (رابولا) عن نسخة أرسلها إليه (كيرلس) نفسه[2].

وترجم أيضاً (حروم) (كيرلس) الأثني عشر، وأضاف إليها شرحاً ومقدمة عنها[3].

وقد بقي لنا بعض من رسائل (رابولا) باليونانية واللاتينية، وثلاث مجموعات من الرسائل والقوانين، والأوامر الموجهة للرهبان، عنوان الأولى "قوانين"، والثانية "قوانين الرهبان"، والثالثة "أوامر الرهبان"[4].

وبعد وفاة (رابولا) بوقت قصير قام مؤلف رهاوي مجهول يرجح أنه أحد شمامسة أسقفيته بتسجيل سيرة (رابولا) في رسالة تعد من روائع الأدب السرياني، أبرز فيها صورة واضحة تمثل شخصية (رابولا)، وما عرف عنه من عطف على المساكين وإنكار للذات، وحياة كلها حرمان وتقشف، ينسب إلى (رابولا) ثلاثمائة ابتهالات[5].

وقد أطلق عليه (كيرلس الإسكندري) عمود الحق، وينسب إليه شرح سفر الأعمال، وتراجم، ومداريش، وجدال المينوفيزيين، ولكن لم يصلنا منها إلا النذر اليسير، كما ينسب إليه الترجمة

---

1 ليفسكيا، نينا بيغو، ثقافة السريان في القرون الوسطى، ص ص91_92.

2 أبونا، ألبير، أدب اللغة الآرامية، ص112.

3 فيليب دي طرازي، عصر السريان الذهبي، (سوريا، مط. دار ومكتبة العائلة، د.ت)، ص22 وما بعدها؛ مراد كامل، الأدب السرياني، ص135.

4 موسى مخول، الحضارة السريانية حضارة عالمية، ص98.

5 موسى مخول، الحضارة السريانية حضارة عالمية، ص99.

البسيطة التي أجريت في عهد (رابولا)، أما رسالته الشهيرة إلى (أدي شير ماري)، والتي حرّمها المجمع الخليقيدوني، فكانت تشتمل على أربعة فصول وجاءت محفوظة في أعمال هذا المجمع[1].

أما (هيبا الرهاوي) فكان يدير مدرسة الفرس بالرها في الزمان الذي كان فيه (رابولا) أسقفاً عليها، وقد ترجم من اليونانية إلى السريانية كتب (ثيودورس المصيصي)، وكتب (ديودورس الطرسوسي) و(أرسطو)، وقد دعي عند الشرقيين بالمترجم، وساعده في هذه الترجمة (كوماي وبروبا)[2].

ولكن بعد مجمع أفسس، بعد الاتفاق الذي حصل بين أنصار (كيرلس الإسكندري) وأنصار (يوحنا الإنطاكي)، أحرق (رابولا) كتب (ثيودورس المصيصي)[3].

وكان (هيبا) محبوباً في الرها ومحترماً بفضل علمه وسعة اطلاعه، فلقب بالكبير والفاضل، وهي ألقاب أنفرد عنها دون أساقفة الرها[4].

أما (برصوما) (415_496م)، فقد ولد في بيت قردو[5]، ودرس في الرها على (هيبا الرهاوي)، وأصبح فيما بعد مطراناً على نصيبين، وأن كل ما وصلنا عن سيرته هو ما كتبه (سمعان الأرشمي)، ونشره (السمعاني) في المكتبة الشرقية. وفي سنة (484م) رأى (برصوما) مجمعاً في بيت لافاط، قرّر المجتمعون فيه السماح للكهنة والرهبان بالزواج إن لم يضبطوا أنفسهم[6]. وقد تزوج (برصوما) بعد هذا المجمع براهبة اسمها (ماموي) واستشهدوا بعملهم هذا بقول (بولس الرسول) في رسالته إلى أهل كورنتس: "إن الزواج خير للإنسان من الاحتراق بالشهوة، لأن التزوج أصلح من التحرّق، وقد لاقى هذا السماح معارضة كبيرة من خصوم برصوما"[7].

وتدور أعمال (برصوما) الأدبية كلها حول الجدل في سياسة الكنيسة وبعضها يشمل مواعظ جنائزية، وميامر ومداريش ورسائل، وتنسب إليه التسبيحة التي تقال عن الكلدان في صباح كل

---

1 أدي شير، أدب اللغة الآرامية، ص116.

2 أدي شير، أدب اللغة الآرامية، ص114.

3 أدي شير، أدب اللغة الآرامية، ص ص114_115.

4 ج.ب.سيغال، الرها المدينة المباركة، ص ص114_115.

5 بيت قردو: قرية على الضفة اليسرى لنهر دجلة، قبالة جزيرة ابن عمر. ينظر: موسى مخول، الحضارة السريانية حضارة عالمية، ص100.

6 رسالة بولس إلى أهل كورنتس، (7:10).

7 أدي شير، تاريخ كلدو وآشور، ج2، ص143؛ شابو: كتاب المجامع الشرقية، (باريس، د.مط، 1902م)، ص528؛ ألبير أبونا، أدب اللغة الآرامية، ص ص122_123.

يوم من الأيام العادية، التي مطلعها "لا يكفي العلى والعمق"، كما وصلت إلينا مقتطفات من القوانين التي صدرت عن مجمع بيت لافاط بسنة (484م) برئاسته، والصلاة التي تقال في القداس لدى الشرقيين والتي مطلعها: "المجد لك يا موحد الضالّين". وتنسب إليه ليتورجية للذبيحة الإلهية، ويعتقد انها دمجت في مجموع الصلوات التي ألّفها (ايشوعيات الثالث الحديابي)، لتقديس المذبح، وله ست رسائل محفوظة في المجامع الشرقية، وقد نشرها وترجمها إلى الألمانية (براون) في أعمال المجمع الشرقي للمستشرقين في جنيف سنة (1894م)[1].

إن طبع (برصوما) الحاد والميال إلى المجادلة، قاده غير مرة إلى المصادمات مع بعض اللاهوتيين ورجال الدين، وقد عرف كيف يكتسب بدهائه السياسي عطف الحكام، فقد كان مطلعاً على الشؤون الرومانية، وكان من رعايا الإمبراطورية الفارسية فارتبط بروابط الصداقة مع مرزبان المقاطعة، وتمكن من التفاهم مع الإمبراطور الفارسي (فيروز) (457_484م)، ونال حظوة لديه، وأصبح من مستشاريه، ومنحه الشاه الفارسي صلاحيات ومهام دنيوية بحتة كمراقبة قوات الفرس الحدودية[2].

ومما يؤكد ذلك أن (برصوما) اشترك مع كل من مرزبان المنطقة، وملك العرب اللخميين في رسم الحدود بين فارس وبيزنطة، وفي سنة (457م) بعد أن توفي (هيبا الرهاوي)، ترك (برصوما) الرها بسبب الخلافات بين المينوفيزيين والديوفيزيين، وانتقل إلى نصيبين[3].

1 ميخائيل الكبير: تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، بطريرك أنطاكية، ترجمة: غريغوريوس صليبا شمعون، (سوريا، مط. دار ماردين، 1996م)، ص ص435_440؛ ألبير أبونا، تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية، (د.م، مط. دار المشرق، ط4، 1999م)، ص78.

2 موسى مخول، الحضارة السريانية حضارة عالمية، ص101.

3 نينا بيغو ليفسكيا، ثقافة السريان في القرون الوسطى، ص ص92_93؛ ميخائيل الكبير، تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، ص 239؛ ألبير أبونا، تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية، ص77.

علم التاريخ وفلسفته عند الإغريق
رؤية في التحولات الفكرية من التاريخ الى فلسفة التاريخ –

م.م. هند فائز آل مجيد
جامعة بغداد / كلية الآداب

الملخص:

تتأسس حياة الإنسان، حسب أدبيات الفكر، على منظومات قيمية ومعرفية ومنهجية، تعد ترجمة واعية مقصودة لتساؤلات الواقع وما يفرضه على وعي البشر من تحديات وإكراهات، فيعمدون إلى الإجابة عن تلكم التساؤلات بوحي من تفاعلاتهم مع العناصر الأساسية التي شكلت وجودهم التاريخي، من مرجعيات عقدية، وإبداعات فكرية ومنهجية وفنية وقانونية سالفة؛ أي إنها تفاعلهم مع جُماع ما يحمل وعيهم إزاء الحياة وتقلباتها، وهنا ينشأ فهم خاص، ويتولد سلوك متفرد، وانتظام حياتي يعكس رؤيتهم ويلخص تجاربهم، ولا يتبادر إلى الفهم، أن المثاقفة الفكرية حالة وعملية بسيطة سطحية أفقية، وإنما هي تراكب متدامج، تتدخل في التهيئة لها وتفعيلها والإثمار منها، قوى ضخمة، تبدأ من الحضارات وتنتهي إلى الفرد ذاته، وكيف يتجاوب مع الآخر تبعًا لنظرته إليه، ويعتمد على تراكمات نفسية ومعرفية وسياسية واجتماعية متنوعة، مما يجعل السهولة في التعاطي معها تسطيح للعلاقات، واستسهال للعملية التواصلية بين الثقافات والحضارات.

وقد حفل التاريخ الإغريقي بعدة متغيرات لعبت دوراً كبيراً في توجيه وانطلاق الإشعاع الحضاري لهذه المنطقة، ولعل من أبرزها رؤية الاغريق للتاريخ، فهل أدرك الإغريق معنى التاريخ؟ وهل جددوا في النظرة الإنسانية إلى التاريخ؟ وبعبارة أخرى هل نجحوا في بلورة رؤية متكاملة حول التاريخ كما نجحوا في وضع أسس الفلسفة الطبيعية وتطوير مبادئ العلوم المختلفة؟!

وانطلاقا مما تقدم سنعمد في قادم الصفحات الى بيان ذلك، مع معالجة للرؤى والتحولات الفكرية التي رافقت عملية تطور المساقات والمسارات التاريخية في بلاد الاغريق .

History and philosophy of History for the Greeks
A vision of intellectual transformations from history to the philosophy of history

Ass.T. Hind Faiz Majeed
University of Baghdad / College of Arts
Ancient History / Ancient Greek civilization and thought

Summary:

According to the literature on thought, human life is based on valuable, epistemological and methodological systems that are considered conscious intentional translation of the questions of reality and what it imposes on human consciousness of challenges and constraints, so they answer these questions inspired by their interactions with the basic elements that formed their historical existence, from nodal references, Previous intellectual, methodological, artistic and legal creations; That is, their interaction with a group of people carries their awareness about life and its fluctuations, and here a special understanding arises, and a unique behavior is generated, and the regularity of my life reflects their vision and summarizes their experiences. It has energizing and benefiting from it, huge powers, starting from civilizations and ending with the individual himself, and how he responds to the other according to his view of him, and depends on accumulated psychological, cognitive, political and social accumulations, which makes the ease in dealing with them flattening relations, and facilitating the communication process between cultures and civilizations.

The Greek history has witnessed several variables that played a great role in directing and launching civilization radiation for this region. Perhaps the most

prominent of which was the Greek view of history. Did the Greeks realize the meaning of history? Are they renewed in the human view of history? In other words, did they succeed in crystallizing an integrated vision about history, just as they succeeded in laying the foundations of natural philosophy and developing the principles of various sciences ?!

Based on the foregoing, we will intend, in the next pages, to explain this, with a treatment of the visions and intellectual transformations that accompanied the process of developing courses and historical paths in the countries of the Greeks.

_هوميروس وبداية الوعي التاريخي عند الاغريق:

يعد هوميروس حسب ما يرى غالبية المؤرخين أول من وعى أهمية التاريخ في الفكر الاغريقي؛ فقد رصد في ملحمته الشهيرة "الإلياذة" الأحداث الأخيرة للحرب الطروادية، وعلى الرغم من أنه أصبح من المؤكد أن هوميروس قد روى هذه الأحداث التاريخية اعتماداً على الروايات الشفهية التي سمعها، واعتمد في وصفه لمظاهر الحياة الاغريقية في ذلك العصر على الآثار التي شاهدها في ربوع الاغريق، وذلك لأنه من المعروف الآن استناداً على روايات المؤرخين الثقات أمثال هيرودوت وثيوكيديدس التي أكدتها الأدلة اللغوية والأثرية أنه عاش حوالي منتصف القرن التاسع قبل الميلاد وليس في زمن الحرب التي روى جانباً منها[1].

وقد عبر الشعراء الرومان عن ذلك حينما قال: "أن الإلياذة بتقديمها الأمثال عن عظماء وهم يعملون، تعلم ما هو شريف وما هو شائن، وما هو لائق وما هو غير لائق أفضل مما يعلم كل الفلاسفة النظريين"[2]

ويرى توينبي أن "الفكر التاريخي عند الاغريق قد بدأ بالفعل وقت أن تشكلت الأصول الأولى لأشعار هوميروس"[3].

فقد عالج هوميروس الأحداث التاريخية بعيداً عن المنظور الأسطوري البحت، كما كان يحلو للكثيرين من قبله، وإنما رواها بمنظور إنساني لدرجة أنه خلع على الآلهة نفسها صفات البشر، فمحاولة هوميروس أنسنة التاريخ الأسطوري لليونان في "الإلياذة" و"الأوديسا"، تتجلى في تلك المعاني الخلقية السامية التي ضمنها أشعاره حتى يبرز المنفعة الحقيقية لرواية الأحداث الماضية؛ فهو يبرز الحب الخالص والوفاء العظيم اللذين كانا يسودان جو الأسرة الاغريقية في ذلك الزمان ويبدو ذلك في حب اندرماخا لهكتور وحب بنيلوبا لأوديسيوس، وحب بريامو لزوجته وأبنائه، كما يبرز مكانة المرأة في المجتمع وضرورة أن تتمتع بالحرية لأهمية الدور الذي

1) هوميروس، الإلياذة، ترجمة: سليمان البستاني،(القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2015م)، ص ص9_10، مقدمة المترجم؛ خفاجة، محمد صقر: هوميروس، (القاهرة: مكتبة نهضة مصر، د.ت)، ص ص16_19.

2) هوميروس، الألياذة، ص10.

3) توينبي، آرنولد، الفكر التاريخي عند الإغريق، ترجمة: لمعي المطيعي، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1966م)، ص9.

تقوم به[1]، كما استنكر العبودية واعتبرها أبشع مصيبة تحل بالإنسان "لأنها تفقده نصف رجولته"[2].

وبذلك يمكننا القول أن هوميروس قد نجح إلى حد ما في أنسنة التاريخ الاغريقي، من خلال جعل الأحداث التاريخية السابقة حية في أذهان معاصريه بعبقريته الشعرية أولاً، وبقدرته الفائقة على ربط الماضي بالحاضر وتمجيد الأسلاف من الأبطال السابقين وجعلهم مثلاً أعلى يحتذيه الناس في كل زمان ومكان، وعلى الرغم من إدراك هوميروس لأهمية التاريخ ومنفعته، فأننا لا يمكن أن نعده مؤرخاً أو فيلسوفاً للتاريخ، بل أنه كان في المقام الأول شاعراً عبقرياً ينطق ككل الشعراء الممتازين، "عن موهبة قدسية تأتيهم من لدن الآلهة"[3].

_هيرودوت وثوكوديديس وتأسيس علم التاريخ:

يرى البعض أن أول من يذكر بصفته مؤرخاً يونانياً هو (هيكتايوس الملطي_ Hecataeus of miletus) الذي ولد حوالي عام (546ق.م) في ملطية، وكتب عن أصل الشعب الاغريقي، كما كتب عن مصر بعد أن زارها ضمن جولاته العديدة، ولكنه كان على حد تعبير هرنشو "كثير الخطأ وإن كان من ذوي الروح السليم والعقلية العلمية"[4].

وفي واقع الأمر ترجع البداية الفعلية لاهتمام الاغريقيين المباشر بالتاريخ إلى كتابات (هيرودوت) الذي عاش فيما بين عام (484و426ق.م)، فإذا كان التاريخ على حد تعبير عملية تفاعلية أو عملية حوار بين الأحداث التاريخية الحاضرة وبين الأحداث أو الوقائع التي حدثت في الماضي، فضلاً عن أنها كانت علمية التاريخ تقاس بأنه: "مجموعة من المعارف المحصلة عن طريق منهج وثيق للبحث في نوع معين من الوقائع هي تلك التي تتصل بالأحياء من الناس في مجتمع ما خلال توالي الأزمنة في الماضي"[5].

1) هوميروس، الإلياذة، (11: 67_69)، ص58.

2) هوميروس، الأوديسا، ترجمة: دريني خشبة، (القاهرة: دار التنوير،2013م)، فق (17: 322)، ص59.

3) أفلاطون، أبون، أو عن الإلياذة، ترجمة: محمد صقر خفاجة ود. سهير القلماوي، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1956م)، ص40.

4) جورج، علم التاريخ، ترجمة: عبد الحميد العبادي، (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1944م)، ص18.

5) Carr, E.N., What is history, (New Yourk: Penguin Books, 1980), p.109.

وإذا صح ذلك فإن (هيرودوت) يعد بحق أول من حقق بعض الشروط العلمية في تأريخه، فقد استخدم لفظ (Historia) الاغريقي الذي يعني بحث أو استقصاء للدلالة على هذا العلم[1]، و حدد هيرودوت هدفه من التاريخ فقال في مقدمة كتابه: "أنه يأمل أن يحقق من تأريخه هدفين؛ أولهما حفظ ذاكرة الماضي بتسجيل الإنجازات المدهشة سواء التي قام بها الاغريق أو التي قامت بها الأمم الآسيوية الشرقية. وثانيهما أن نرى على وجه الخصوص كيف تم الصدام بين هاتين السلالتين"[2].

إن الوعي التاريخي عند هيرودوت بلغ حداً ارتبط فيه التاريخ بالجغرافيا ودراسة الأجناس البشرية من جهة، كما ارتبط بإيمانه بنوع من الفلسفة الإنسانية من جهة أخرى، فمن الناحية الأولى لم يكن التاريخ عنده مجرد أحداث تروى ويتحرى عنه المؤرخ عن مدى صحتها عن طريق البحث عن مصادرها ووثائقها وإنما كان عادة ما يدعم روايته للحدث التاريخي بالوصف الجغرافي سواء للأرض التي يقع عليها الحدث أو للبشر الذين صنعوا هذه الأحداث، وقد ذهب جورج سارتون إلى وصف كتاب هيرودوت انطلاقاً من هذه الزاوية بقوله أنه ليس "أول مصنف في التاريخ فحسب، بل هو أيضاً أول مصنف في الجغرافيا البشرية"[3].

ومن الناحية الأخرى، كتب هيرودوت مصنفه التاريخي متأثراً بنشأته الأيونية، حيث كتبه بلهجة أيونية واضحة، كما تأثر فيه بالفلسفة العلمية_الطبيعية التي كانت قد بدأت في الظهور في ملطية وبعض المدن الأيونية الأخرى قبل مولده بحوالي قرن من الزمان، إذ لا نستطيع بحال أن نغفل ما للفلاسفة الأيونيين الأوائل من أثر على نزعته العلمية في سرد الأحداث التاريخية، تلك النزعة التي بدت في محاولته إخضاع الأساطير التاريخية التي تناقلها الاغريقيون شفاهة أو تلك التي وردت في الأشعار الاغريقية لهوميروس وهزيود وغيرهما للتمحيص التاريخي[4].

ومما لا شك فيه، أن طريقة هيرودوت في استقراء وكتابة التاريخ إنما تكشف عن الحس الحضاري للمؤرخ، كما توضح أنه يدرك أن التاريخ هو تاريخ الشعوب وانجازاتها في مختلف

---

1) Osborn, E.B., Our debt to Greece and Roome, (London: Hodder and Stoughton, without date), p.3.

2) هيرودوت، تاريخ هيرودوت، ترجمة: عبد الاله الملاح، ط2،(ابو ظبي: هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث،2007م)، ص ص 21–22 .

3) تاريخ العلم_العلم القديم في العصر الذهبي لليونان، ترجمة: جورج حداد وآخرون، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2010م)، ج2، ص ص164_165.

4) Osborn, E.B., Our debt to Greece and Rome, p.34.

المجالات وليس فقط تاريخاً لانجازات الزعماء السياسيين أو القادة العسكريين، أي أنه ذلك التفاعل القائم بين الفرد بذاته وطبيعة مجتمعه وتكوينه الفكري.

وما لبث الوعي التاريخي الاغريقي أن تطور كثيراً على يد ثاني المؤرخين الاغريق (ثوكوديديس_Thucydides) الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، ويختلف المؤرخون في ذكر فترة حياته بين عامي (471_401ق.م) أو بين عامي (460_395ق.م) في رواية أخرى، أو بين عامي (455_399ق.م) في رواية ثالثة[1]، وعلى الرغم من أن ثوكوديديس لم يذكر هيرودوت بالاسم مطلقاً، إلا أنه يوجد فيما كتب إشارات كافية تدل على أنه قد اطلع على سلفه بعناية[2].

وقد نجح ثوكوديديس في تأكيد علمية التاريخ حينما اختار موضوعاً محدداً لتاريخه وهو الحرب البيلوبونيزية التي دارت رحاها بين مدينتي أثينا وإسبرطة فيما بين عامي (431_404ق.م)، وامتدت لتشمل كل المدن الاغريقية تقريباً، وقد اختار أن يؤرخ لهذه الحرب لأنه عدها "ستصبح أعظم الحروب وأكثرها استحقاقاً للكتابة عنها من كل الحروب السابقة_وبنى اعتقاده ذلك على حقيقة مؤداها أن كلا الجانبين قد استعد لها بكل ما استطاع من قوة_وأن بقية العالم الهلليني قد وقف متضامناً مع أحد الطرفين"[3].

ومن الجدير بالذكر أن ثوكوديديس قد اعتمد في أسلوب تسجيله للأحداث على العلمية والموضوعية، فقد كتب تاريخه بصورة أشبه ما تكون بالكتابات الأبقراطية الطبية؛ إذ خلى كتابه من أي تمجيد للآلهة أو المعجزات أو للأمنيات أو ما شابه ذلك، كما أنه استبعد نفسه تماماً من رواية الأحداث سرداً، بل عمد إلى الأحداث التي رواها تحقيقاً علمياً، وكان أكثر تركيزاً في روايتها ولم تأخذه دوامة الاستطرادات والتفصيلات التي رأى أنه لا داعي لها وأن أدى به ذلك التركيز إلى قصره التاريخ على تسجيل الأحداث السياسية والعسكرية، وقد شهد الجميع بحياديته وموضوعيته لأنه لم ينحاز لأثينا ولا لزعيمها بريكليس رغم أنه كان أثينياً مخلصاً لبريكليس؛ فقد كان في تاريخه متأثراً بالتعاليم السوفسطائية التي تربى عليها، كان مستعداً دائماً

1) ديورانت، ول، قصة الحضارة_حياة اليونان، ترجمة: محمد بدران، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1968م)، ط3، مج5، ج2، ص331.

2) تونبي، أرنولد، الفكر التاريخي عند الإغريق، ص38.

3) Thucydides, History of the Peloponnessian war, B I.I, P.35.

لسماع وجهات نظر كل الأطراف بأمانة لعبر عنها وينقلها ويشرحها ناظراً إلى الموضوع من زواياه المختلفة تبعاً لوجهات النظر المتباينة حوله دون أن ينتصر لوجهة نظر معينة[1].

وهذه بلا شك درجة من الموضوعية والتجرد لا يكاد يبلغها إلا القليل النادر من المؤرخين في أي عصر.

استند ثوكوديديس في تاريخه على عدة مصادر تمثلت بـ[2]:

أولاً: معايشته الخاصة للأحداث التي عاصرها.

ثانياً: المعلومات التي استمدها من الرواة.

ثالثاً: بعض الوثائق التي حصل عليها، فقد اعتمد مثلاً على نصوص معاهدة انيكياس وعلى نصوص الحلف بين الأثينيين وحلفائهم.

رابعاً: الشواهد الأثرية مثل اعتماده على الشواهد في بحثه عن أصول الاغريقيين لدرجة دعت البعض أن يدعوه "أباً لعلم الآثار"[3].

ومما تجدر له الإشارة أن ثوكوديديس كان واعياً للمسائل المنهجية التي استند عليها واستخدمها في تاريخه، فهو يعبر عن بعضها حينما يقول "أنه قد استخدم في تاريخه بعض الخطب التي ألقيت قبل وأثناء الحرب، وأنه وجد صعوبة في تذكر الكلمات التي استخدمت فيها وكذلك وجد الرواة الذين اعتمد عليهم فيما لم يسمعه بنفسه نفس الصعوبة التي واجهها. ولذلك فقد اتبع منهجاً يتلخص في صياغة هذه الخطب بطريقة أكثر ما يمكن أن تكون مطابقة للكلمات التي استخدمت في الخطبة بالفعل، وذلك ليجعل المتحدثين يقولون ما يمكن أن نسميه القول الملائم لكل موقف. أما فيما يختص بتسجيل الأحداث الفعلية في الحرب، فإنني لم أكن أكتفي بتصوري الخاص لرواية الأحداث أو بما أسمعه من روايات يرويها لي الآخرون من شهود العيان، بل كنت أعمد إلى اختبار كل ذلك بأكبر قدر من الدقة الممكنة ولم تكن الحقيقة تكتشف بسهولة؛ فكل حدث كان يروي بروايات متعددة تختلف باختلاف الذين شاهدوها من جانب، وباختلاف قدرتهم على التذكر من جانب آخر"[4].

---

1) سارتون، جورج، تاريخ العلم، ج2، ص177، ص183؛

Osborn, E.B., Our debt to Greece and Rome, p.38.

2) Finley, M.F., An Introduction to Eng. Trans. Of Thucydides History of the Peloponnessian war, (London: Penguin Books, 1985), p.10.

3) سارتون، جورج، تاريخ العلم، ج2، ص157.

4) Thucydides, History of the Peloponnessian war, B .I_22, pp.47_48.

وعليه يمكننا القول أن ثوكوديديس يعلم تماماً_كما عبر عن ذلك في كتابه_أنه يقدم لقرائه تاريخاً جافاً خالياً من المتعة والتسلية التي ربما كانوا يجدونها في الكتابات التاريخية الأخرى، فالتاريخ في نظره لا يكتب للتسلية أو لمجرد الحكي وسرد القصص وإنما يكتب لتنتفع به كل الأجيال التالية، فمن واجب المؤرخ أن ينقل لهم حقيقة الأحداث التي وقعت بكل دقة وأمانة.

_ماهية التاريخ _ طرق تطور الكتابة والبحث التاريخي عند الاغريق:

إن النظرة الاغريقية للتاريخ قد تطورت من التناول شبه الأسطوري للتاريخ كما يبدو في أشعار هوميروس، وأن كان قد حاول قدر استطاعته أنسنة التاريخ والنظر إلى الماضي على أنه مليء بالعبر والمبادئ التي يمكن الاستفادة منها في الحاضر، إلى التناول العلمي له على يد هيرودوت وثوكوديديس، فإذا كان هوميروس قد وعى ضرورة التاريخ لأحداث بعينها فقد جاء تناوله لهذه الأحداث بخلط بين ما هو إنساني وما هو إلهي، فلم يكن التاريخ عنده صناعة إنسانية خالصة، بل تدخلت، الآلهة بقدراتها غير المحدودة وبما تملكه من قوة نافذة في صنعه، فكان التاريخ الإنساني عنده لعبة في يد (القدر_ Moira) يوجهه كيفما شاء عن طريق تدخل الآلهة في مجرى الأحداث وتغييرها وتوجيهها لتحقق العدالة الإلهية المنشودة[1]، إلا أن ذلك خلافاً لما أصبح عليه التاريخ لاحقاً، من كونه علماً يحاول المؤرخ فيه الكشف عن طبيعة الحدث وأسبابه بطريقة استقرائية، فكان التاريخ بذلك "محاولة للإجابة عن أسئلة تتعلق بأمور يعتقد الإنسان أنه يجهلها، أي أنه لم يعد ذلك التاريخ الديني بل تاريخ إنساني وأصبحت المشاكل التي يتصدى لعلاجها ليست من قبيل الإلهيات وإنما هي من قبيل أعمال الإنسان ونشاطه"[2].

ومن المؤكد أن ذلك التطور لم يحدث بشكل مفاجئ أو مطلق، بل تم بتأثير ظهور البحث الفلسفي الذي اتسم منذ البداية بطابع الحس التجريبي، وإذا كان البحث الفلسفي رغم طابعه الحسي التجريبي لم يخلو في نشأته أو في تطوره من وجود بعض الغموض والأساطير، فكذلك كان الشأن في البحث التاريخي حتى لدى مؤرخي القرن الخامس قبل الميلاد، فرغم العقلية

1) صبحي، أحمد، في فلسفة الحضارة، ص124.

2) كولنجوود، ر.ج.، فكرة التاريخ، ترجمة: محمد بكير خليل، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1968م)، ص ص30_44.

الجبارة التي تمتع بها ثوكوديديس إلا أن عمله لم يخلو من وجود رواسب التفكير الخرافي، أما هيرودوت فقد كان لديه الكثير من هذه الرواسب الخرافية والأسطورية[1].

ولو طبقنا الخواص الأساسية الأربعة للتاريخ والتي تتمثل بـ[2]:

1_ أنه دراسة علمية تختلف عن كتابة الأساطير حيث تبدأ الدراسة العلمية بوضع أسئلة يحاول المؤرخ أن يجيب عنها.

2_ دراسة تختص بأعمال الإنسان التي تمت في أوقات محددة سواء تمت في الماضي أو في الحاضر.

3_ يخضع المؤرخ في دراسته للعقل أي يجيب عن الأسئلة التي طرحها مستنداً إلى الوثائق التاريخية المتاحة وليس إلى خرافات أو أساطير مجهولة المصدر.

4_ أنه دراسة تكشف عن حقيقة الإنسان أمام الإنسان باعتبار أن التاريخ هو سرد للأعمال التي قام بها الإنسان. ومن ثم فإن تأمل هذه الأحداث يكشف عن طبيعة الإنسان الذي صنعها.

وعليه فلو طبقنا هذه المعايير على نتاج كل من هيرودوت وثوكوديديس لوجدناها في مجملها موجودة لديهما، وإن كنا نرى أن ما تحقق منها لدى هيرودوت هو فقط ثلاث خواص هي الأولى والثانية والرابعة، بينما تحققت كلها عند ثوكوديديس.

_من التاريخ إلى فلسفة التاريخ_انبثاق الوعي التاريخي:

جعل الوعي التاريخي من التاريخ لوناً من ألوان الأدب الإنساني الراقي المحببة للنفس في بلاد الاغريق، مما شجع على وجود الاهتمام الدائم به، وإن اختلفت لدى المؤرخين بعد ذلك مناحي التاريخ وصوره، فقد استمر التاريخ بنوعيه الأصلي والنظري لدى العديد من المؤرخين بدءاً من (اكسينوفون_Xenophon) (426_356ق.م)، واهتم بالتاريخ للحياة الاجتماعية والفكرية لليونان[3]، كما قدم أفلاطون نوعاً من التاريخ للحياة الفلسفية الزاخرة في أثينا في محاوراته المختلفة رغم أن الكثير من الإشارات التاريخية التي وردت في محاوراته لم تكن صحيحة حيث أن بعض المقابلات والمناقشات التي افترضها تدور بين الفلاسفة لم تتم على أرض الواقع لأن بعض هؤلاء الفلاسفة عاشوا في أزمنة متباعدة ولم يكن ممكناً أن يلتقوا وجهاً لوجه! ومع ذلك

1) ديورانت، ول، قصة الحضارة، مج2، ج2، ص ص329_330، ص ص335_336.

2) كولنجوود، ر.ج.، فكرة التاريخ، ص58.

3) Osborn, E.B., Our debt to Greece and Rome, pp.43_46.

فإن قارئ هذه المحاورات الأفلاطونية يشعر بزخم الحياة الفكرية وتنوع اتجاهاتها في أثينا وفي بلاد الاغريق عامة على مدار قرنين من الزمان على الأقل[1].

وربما كان أرسطو أكثر دقة في تاريخه حيث عمد بالفعل إلى التاريخ لنشأة وتطور الفلسفة في كتابه الشهير (الميتافيزيقيا)، وكذلك فعل حينما أرخ لنشأة العلوم المختلفة في مؤلفاته العديدة حينما ذكر آراء السابقين في كل موضوع علمي يكتب فيه سواء في العلوم الإنسانية كعلم النفس والأخلاق والسياسة أو في العلوم الطبيعية كعلم الطبيعة وعلوم الحياة[2].

وعليه يمكننا القول أن الوعي بالتاريخ وأهميته للإنجازات وللأحداث الإنسانية، قد امتد من المؤرخين إلى الفلاسفة وخاصة أفلاطون وأرسطو اللذين أرخا عامدين أو عن غير عمد إلى الفلسفة والعلوم المختلفة لدى من سبقهما من الاغريقيين، إذ أن شغفهم في الوصول إلى الحقائق الثابتة، لم يمنعهم من الاعتراف بقيمة التاريخ باعتباره أحد جوانب المعرفة العلمية_العملية التي تقوم على الظن الصادق الذي يأتينا عبر الإدراكات الحسية لكل ما هو قائم في هذا العالم الخارجي المحسوس، وهذا ما ذهب إليه أفلاطون، أما أرسطو فقد اعترف صراحة بأهمية كل ما يأتينا عن طريق الحواس وأهمية الملاحظات الحسية_الاستقرائية التي هي الأساس لكل معرفة عقلية، وبناءاً على ذلك تكون المعرفة التاريخية الاستقرائية جزءاً لا يتجزأ من بنية نظرية العلم الأرسطية التي تقف على قدمين أحدهما القياس والأخرى الاستقراء[3]؛ إذ أن "تصديقنا بالأشياء كلها أما يكون بالقياس وإما بالاستقراء"[4].

ولما كان التاريخ هو علم استقراء الحوادث التاريخية وتسجيلها بهدف الاستفادة منها في حفظ ذاكرة الأمم والشعوب وفي استخلاص القوانين التاريخية فهو بلا شك علم مقبول عند أرسطو وأن اعتبره أدنى مرتبة من العلوم ذات الطابع الاستنباطي_القياسي.

---

1) كولنجوود، ر.ج.، فكرة التاريخ، ص66.

2) Aristotle, Metaphysics, Trrans. By: W.D. Ross, (U.S.A: 1952), B.I, Ch. I, pp.499_511.

3) Guthrie, W.K., Aristotle as Historian, (London: 1970), pp.23_39.

4) أرسطو طاليس، التحليلات الأولى، ترجمة وتحقيق: عبد الرحمن بدوي، (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1948م)، ق23، س (14_15)، ج1، ص294.

_مبادئ الوعي التاريخي عند الإغريق:

استند الوعي التاريخي لدى مفكري الاغريق، سواء كانوا مؤرخون أو فلاسفة على العديد من المبادئ أو المقولات التي أفرزها حرصهم الدائم على التأمل في كل شيء، التأمل في العالم الطبيعي من حولهم والتساؤل عن أصله وعن عناصره، التأمل في الإنسان طبيعته وعلاقته بهذا العالم الطبيعي وبصانعه الأعلى "الإله"، التأمل في المشكلات الإنسانية المختلفة سواء كانت أخلاقية أو سياسية أو نفسية أو علمية، التأمل في التاريخ الإنساني وتطوره والتساؤل عن دور الاغريقيين فيه ومدى قدرتهم على أن يكونوا متميزين عن غيرهم من الأمم والشعوب، أن هذه التأملات، وتلك التساؤلات بما تمخضت عنه من إجابات قد تولد عنها وتشكل عبرها بعض المقولات الأساسية التي اقتنع الاغريقيون أنه لا يصح التفكير الإنساني بدونها وأنها تمثل المقدمات الضرورية للبحث الفلسفي في الطبيعة أو في التاريخ على حد سواء[1]، ولعل أهم هذه المقولات فيما يتعلق بالبحث التاريخي مقولتان هما:

أ_ العليّة (العلة الأولى):

أدرك الإغريق منذ بداية تاريخهم الفكري مبدأ العليّة ودارت معظم أبحاث الفلاسفة والعلماء والمؤرخين على أساسه، فلا شيء يحدث من لا شيء أو لا شيء يحدث بالصدفة وإنما هناك دائماً سبب لكل ما يحدث في العالم، ومن هنا بدأ بحث الفلاسفة الأوائل في العالم الطبيعي متسائلين عن علته الأولى، واستطاعوا منذ القرن السادس قبل الميلاد الوصول إلى علل أربعة للوجود بشكل عام هي العلة المادية المتمثلة في العناصر الأربعة (الماء_الهواء_النار_التراب)[2].

ومن الجدير بالذكر أن مفهوم التاريخ قد ارتبط بمفهوم الطبيعة عند الاغريقيين، ليس فقط من خلال البحث عن العلية كقاسم مشترك بين المنهج المتبع في البحث، وإنما أيضاً لأن التاريخ يحقق لأعمال الإنسان الخلود بأعماله شأنه بذلك شأن الطبيعة خالدة، وإن كان خلودها بدون جهد[3].

1) كولنجوود، ر.ج.، فكرة التاريخ، ص ص58_60، ص80.

2) النشار، مصطفى، نظرية العلم الأرسطية، (القاهرة: دار المعارف، 1995م)، ص ص137_143.

3) آرنت، حنا، بين الماضي والمستقبل، ترجمة: عبد الرحمن بشناق، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 1974م)، ص ص52_53.

وبناءاً على ذلك يمكننا القول أن البحث التاريخي لدى الاغريق لم يتوقف عند البحث التجريبي عن العلة الجزئية للحدث الجزئي، وإنما تعداه إلى البحث عن العلة الرئيسة، العلة الكلية الشاملة لمجموعة من هذه الأحداث التاريخية المتتالية، وهذا يعني أن المؤرخ هنا قد اقترب من تلك النظرة الفلسفية الشاملة للأحداث؛ حيث أن المؤرخ في التاريخ العادي يلجأ إلى التعليل لكنه يتقيد دائماً في استنباطه للأسباب بواقعة جزئية ويلتزم بأطر التاريخ الزمانية والمكانية، أما فيلسوف التاريخ فهو الذي يختزل العلل الجزئية للحوادث الفردية_الجزئية إلى علة واحدة أو علتين يفسر في ضوئها التاريخ العالمي.

ب_ التغير والتطور:

إن الناظر في تاريخ الفكر الاغريقي يلاحظ أنه قد تجاذبه منذ البداية رأيان؛ أحدهما يرى أصحابه أن كل شيء يتغير وأن كل ما في الطبيعة في حركة مستمرة أو في سيلان دائم على حد تعبير هيراقليطس، والآخر يتجاوز أنصاره هذا التغير البادي في الطبيعة ويرون أن الحقيقة واحدة، ومن ثم فإن البحث عنها يكون في إدراك الثبات والوحدة خلف هذا التغير ما قال به فيثاغورس وبارمنيدس وسقراط، أو يكون في عالم مفارق تماماً لهذا العالم المحسوس وهذا هو رأي أفلاطون[1].

ولما كانت المعرفة التاريخية بطبيعتها تعد بحثاً في الظروف والأحداث الإنسانية المتغيرة من جانب، وقد تتطور من جانب آخر وصولاً إلى معرفة القانون الكلي أو العلة الكلية المفسرة للأحداث الجزئية فإن الرؤى التاريخية للمؤرخين والفلاسفة الاغريق قد تأرجحت بين الرأيين السابقين.

وقد عبر الفلاسفة الاغريق عن إيمانهم بمبدأ التطور الذي طرأ على تاريخ البشرية منذ أن كانوا بشراً إلهيين خالدين حتى أصبحوا بشر فانين مهمومين تتهددهم الأخطار بالليل وبالنهار؛ فقد ترددت هذه الصورة نفسها عند أفلاطون في أكثر من موضوع وإن تم ذلك في شكل مختلف وبصورة أكثر قرباً مما ندعوه فلسفة للتاريخ؛ ففي محاورة "السياسي" يستخدم أفلاطون هذه الصورة الأسطورية الخيالية ويتحدث التغيرات التي تطرأ على الكون وفي العالم الطبيعي بما عليه من بشر من مرحلة خضعت للإشراف الإلهي، إلى مرحلة تغير فيها الحال حيث استفدت

1) الأهواني، أحمد فؤاد، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1954م)، ص ص62_63.

كل خيرات الأرض وبدأ التحلل في أجزاء الكون وعناصره المادية وعانى البشر من الاضطرابات والوحشية والأمراض ووجدوا أنفسهم في مأزق حرج[1].

أما في محاورة "القوانين"، فقد خصص أفلاطون الكتاب الثالث للحديث عن كيفية تطور الجنس البشري إلى أن نجح الإنسان_بعد التكرار المدمر للجنس البشري كله بسبب الفيضانات والأوبئة وغيرها_في التغلب على كل تلك الظروف وفي اكتشاف معنى الدولة والمدينة بعد أن كان جاهلاً بهما، فلم يتم ذلك فجأة "وفي لحظة واحدة بل تم شيئاً فشيئاً وبعد انقضاء مدة طويلة من الزمن"[2]، وقد شرح أفلاطون مراحل هذا التطور وكيفيته ووصف طبيعة البشر الذين قام على أكتافهم هذا التطور، ونوع الحياة التي عاشوها وأنواع الحكومات التي كونوها إلى أن وصل إلى المرحلة الرابعة التي عاصرها وهي المرحلة التي تأسست فيها دولة المدينة[3].

ومن خلال ذلك يمكننا القول أن أفلاطون قد قدم في هاتين المحاورتين تصوراً خاصاً لنشأة وتطور الحياة البشرية ككل على هذه الأرض، وهذه بلا شك رؤية كلية تضرب في أعماق التاريخ ماضيه وحاضره وأن افتقرت هذه الرؤية إلى التساؤل عن ذلك المبدأ الذي يحكم هذا التطور؛ فهل تم هذا التطور بفعل العناية الإلهية ووفق قدر مرسوم، أم تم من خلال فاعلية الإنسان وعلى أساس من تطور قدراته الذاتية، إلا إننا نستخلص مما كتبه الميل إلى الأخذ بالعاملين معاً، فقد كان يرى أن الكون بكافة شؤونه محكوم بالرعاية الإلهية والقدر المحتوم، وفي ذات الوقت كان يؤمن بقدرة الإنسان على أن يزيد من فاعليته لتطوير حياته المدنية والوصول بها إلى أكمل صورة ممكنة تعود بالإنسان إلى محاكاة ذلك العصر الذهبي الأول الذي كان البشر فيه آلهة أو شبه آلهة.

وبناءً على ما تقدم نرى أن الاعتقاد في مقولة التطور كان يمثل أحد المبادئ الرئيسة في الوعي التاريخي عند الاغريق، ومما يبدو أن الاغريق فهموا مسيرة هذا التطور وفق سياقين، الأول يقوم على التقدم إلى الأمام وفي خط مستقيم، والثاني يأخذ مساراً دورياً أي يأخذ مسار الصعود والهبوط، وفق آلية التشكل والنضج حتى مرحلة معينة ثم الانهيار والتحلل ليبدأ من جديد،

---

1) Plato, The Statesman, Eng. Trans. By: J.b.Skemp, (London: Routledge & kegan paul, 1961), pp.144_154.

2) Palto, The Laws, Trans. By: B.Jowett M.A., (London: Oxford University press, 1931), Third ed., Vol.5, B.III, s:678, P.57.

3) Ibid, B.III, s:679_683, pp.58_63.

فقد نجح بعض الفلاسفة في إدراك المعنى الأول للتطور أي التطور الذي يأخذ مساراً تقدمياً وأبرز هؤلاء (بروتاجرواس وأبيقور وسينكا)، أما المعنى الثاني فكان هو الغالب على تصور فلاسفة الاغريق ومؤرخيهم للتاريخ؛ إذ أن ذلك التصور نجده عند (أنكسيمندر وهيراقليطس وانبادوقليس) من الفلاسفة الأوائل، كما نجده لدى (أفلاطون وماركوس أوريللوس) بعد ذلك، وكذلك لدى بعض المؤرخين خاصة المتأخرين منهم أمثال (بوليبيوس وتاكيتوس)، حيث تشكل لدى هؤلاء وأولئك ملامح ما ندعوه بالتفسير الدوري للتاريخ.

الاستنتاجات

1- شكل الوعي التاريخي عند الاغريق مركباً متجانساً من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ لجماعة بشرية، تشكل أمة أو ما في معناها، بهويتها الحضارية، في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميكيتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء؛ إن الوعي بالتاريخ، بعبارة أخرى، يمثل المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم، و نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت والإنسان ومهامه وقدراته وحدوده، وما ينبغي أن يعمل وما لا ينبغي أن يأمل .

2- من خلال سير البحث وتطبيق معايير قياس التاريخ كعلم على نتاج كل من هيرودوت وثوكوديديس وجدناها في مجملها موجودة لديهما، وإن كنا نرى أن ما تحقق منها لدى هيرودوت هو فقط ثلاث خواص هي الأولى والثانية والرابعة، بينما تحققت كلها عند ثوكوديديس، وبذلك يكون الاخير قد اسس فعليا لعلم التاريخ المستقل عن الاهواء والمعتمد بالدرجة الاساس على التمحيص والتدقيق والقياس.

3- لما كانت المعرفة التاريخية بطبيعتها تعد بحثاً في الظروف والأحداث الإنسانية المتغيرة من جانب، وقد تتطور من جانب آخر وصولاً إلى معرفة القانون الكلي أو العلة الكلية المفسرة للأحداث الجزئية فإن الرؤى التاريخية للمؤرخين والفلاسفة الاغريق قد تأرجحت بين الرأيين السابقين.

4- أن الاعتقاد في مقولة التطور كان يمثل أحد المبادئ الرئيسة في الوعي التاريخي عند الاغريق، ومما يبدو أن الاغريق فهموا مسيرة هذا التطور وفق سياقين، الأول يقوم على التقدم إلى الأمام وفي خط مستقيم، والثاني يأخذ مساراً دورياً أي يأخذ مسار الصعود والهبوط، وفق آلية التشكل والنضج حتى مرحلة معينة ثم الانهيار والتحلل ليبدأ من جديد.

أسئلة المعرفة التاريخية بين المنوغرافيا وابستيمولوجيا [1]

أ.د. محمد البركة

يبدو أن التراكم الذي عرفه البحث التاريخي، وما خلفه من رصيد متنوع، يدعونا اليوم لتعزيزه من خلال إيلاء الدراسة المنوغرافية مزيد أهمية، تعزيزا للتاريخ المحلي أو الجهوي، ورغبة في تجديد آليات البحث التاريخي ككل، خاصة وأن البحث فيه يعد ضرورة معرفية قبل أن يكون تقليدا تاريخيا يكشف عن رغبة في البحث عن الذات من خلال التأريخ لمجال انتمائها، نظرا لأن البحث المنوغرافي هو بحث في سياق وطني ممتد، له تداعياته وآثاره على البنيات ككل، ولعل هذا ما يعطي للبحث في التاريخ المحلي بعض الأهمية والمكانة.

وإذا كان التاريخ معرفة يحددها الممكن من الشواهد، وتتحكم فيها جملة من العوامل المتصلة بالتمثلات والاختيارات والمرجعيات والمقاربات، فلا غرابة في أن تكون الكتابة التاريخية مرآة عاكسة لسمات الواقع الفكري والذهني لأصحابها، وهذا ما يجعلها كتابة تنتمي إلى أزمنة ذهنية متباينة[2]، تجمع بين ذهنية زمن وقوع الحدث، وذهنية زمن الكتابة عن الحدث، وذهنية زمن قراءة ما كتب عن الحدث، ... وتلك وغيرها أزمنة حاضرة لحظة إعمال الشواهد.

فما المقصود بالتاريخ المحلي؟ وما هو السياق التاريخي الذي ظهر فيه؟ بل ما هي أهميته وما الغاية من إفراده بالحديث والبيان؟ هل له مميزات تميزه عن غيره؟ بل ما هي الآليات المتحكمة في تطوره؟ ما العلاقة التي تربطه بالتاريخ الوطني، وما نوع القضايا التي يمكن أن يعرض لها؟

المحور الأول- التاريخ المحلي وسؤال الاهتمام:

مهما قيل عن التاريخ المحلي فإن الاهتمام به يظل منشدا إلى التاريخ الوطني، لاعتبارات عدة، أهمها أنه تاريخ غير مفصول عن محيطه ولا عن سياقه ولا عن سوابقه ولواحقه، وهذه الصلة الثلاثية هي من تعطي للتاريخ المحلي قيمته، نظرا لأن إعمال منهج المقارنة بين المناطق، ليس إعلانا عن سمة الفصل بين بعضها البعض، ولا إعلانا عن سمة التفاضل بينها، وإنما هو بحث في حدود الإسهام وحجمه، بيانا لمسارات التأثير والتأثر، فكما أن التاريخ الوطني لا تكتمل عناصر بيانه، بحثا عن مقوماته وتأريخا لها، إلا عند وصله بتاريخ

1- البركة (محمد)، النوازل والتاريخ المحلي: تازة بين سوسيولوجيا الفقه ومنوغرافيا التاريخ، منشورات مختبر البحث في العلاقات الثقافية المغربية المتوسطية، ط1، 2019م: 13- 25. الحوالات الحبسية والتاريخ المحلي: تازة بين سوسيولوجية الفقه ومنوغرافية التاريخ، منشورات مختبر البحث في العلاقات الثقافية المغربية المتوسطية، ط1، 2020م: 15- 28.

2- السبتي (عبد الأحد)، التاريخ والذاكرة (أوراش في تاريخ المغرب)، المركز الثقافي العربي، البيضاء، ط1، 2012م: 109.

الأمة وتاريخ الآخر، فكذلك التاريخ المحلي لا يكتمل إدراك دقائقه ومسار وجهته إلا عند وصله بالتاريخ الوطني وتاريخ أمته وتاريخ الآخر.

والدعوة للاهتمام بالتاريخ المحلي لا تجد مبررها انطلاقا من الرؤية التجزيئية التي قد تمنع البعض من الدعوة للاهتمام به، بل إن مصوغ الاهتمام به هنا إنما يكمن في الرغبة في التدقيق لجمع عناصر منثورة غير مقدور على جمعها إلا بالكتابة عن التاريخ المحلي، حيث يصير التاريخ المحلي جسرا لتعزيز الكتابة عن التاريخ الوطني وغيره، إذ لا تستقيم الكتابة عن التاريخ الوطني دون الاهتمام بالتاريخ المحلي[1]، فالاهتمام بالتاريخ المحلي إنما هو محاولة لملء الفراغات المعلنة عن العديد من مناطق بلاد المغرب، بسبب السبق الذي حظيت به بعض المدن الحواضر أو العواصم، سبق انعكس سلبا على تاريخ العديد من المناطق التي اعتبرت تابعة للحواضر الكبرى ولاحقة بها.

صحيح أن التأريخ لما هو وطني غالبا ما يكون على حساب المحلي، بل غالبا ما يستحوذ حتى على أنشطة المحلي لينسبها لنفسه، تعبيرا على بقاء المركز دون ذكر مساهمة المحلي في ذلك أو قيامه بكل ذلك. وهذا يعني أن تاريخ البطل ليس ممثلا في الأشخاص فقط، بل ممثل كذلك في الأمكنة، وقد يتعداه إلى الأزمنة. أو لنقل إن هيمنة المفهوم الواسع للبطل في التاريخ تأتي على استيعاب كل المحاسن والمصالح (أحداثا ووقائع، أماكن ومجالات، أزمنة وفترات، رجالات وأعلام ...).

والدعوة إلى الاهتمام بالتاريخ المحلي هنا، هي دعوة غايتها بيان حجم إسهام هذا التاريخ في بناء التاريخ الوطني، لأن ما كتب عن التاريخ الوطني يظل بشكل أو بآخر عنصرا مؤثرا في كتابة التاريخ المحلي. فمجموع الحروب والغارات مثلا التي تقع فوق مناطق محلية ما، طلبا لولائها أو تأديبا لها، ما هي إلا دليل على التباين المتوقع في الاهتمام بها، إذ غالبا ما تتداعى على المحلي نتائج الوصل أو الفصل بالمركز، لتدمر بعضا من تاريخه قربانا لتاريخ المركز ومعالمه، فلا يمكن مجازاة هذا التاريخ المحلي بنسيانه أو إذابته، أو ذكر بعضه دون بعضه، في تفاوت صارخ يعطي المكانة للبعض دون الآخر، أو للبعض على حساب الآخر، كما لا يمكن اختزال التاريخ الوطني عند مجال العواصم وأحوازها، ولا حتى في بعض الأماكن دون أخرى بحسب صلتها بالمركز، أو في قضايا دون أخرى، أو عند فترات دون أخرى، لأن التاريخ في محصلته إنما هو تفاعل بين عناصر متعددة، هي في البناء متفاوتة التأثير، لكنها حاضرة كلها، فلا يمكن حجبها أو اسقاطها أو حتى تجاوزها، لأن التاريخ بالنتيجة هو مجموع عوامل حاضرة بشكل متوازي، لكنها متفاعلة بشكل غير متوازن.

كما أن الدعوة للاهتمام بالتاريخ المحلي إنما هي دعوة لتسليط الضوء على العديد من الجزئيات التي قد لا تكون ذات أهمية عند النظر إليها منفردة، لكنها تصير قوية ذات أثر عند تجميعها، ويكفي فيها أنها قادرة على تأكيد خيارات الحواضر أو العواصم اتجاه المناطق الأخرى أو نفيها، خاصة تلك الخيارات التي ظلت

1- العروي، مفهوم التاريخ (الألفاظ والمذاهب): 1/ 190.

كتب المدونات الإخبارية معلنة لها في رؤية شمولية تطوي الخصوصي بغاية إدراك الكلي، أو تطوي الطارئ بغاية إدراك البنيوي.

لقد جاء الاهتمام بالتاريخ المحلي في سياق تحرير التاريخ الوطني من الكتابة الاستعمارية، بغاية إظهار مفاخره وأمجاده، وهذا لا يتنافى مع طبيعة النتائج المحصل عليها، نتائج أسهمت في الكشف عن حجم المعطيات ذات صلة بالتاريخ المحلي. لكن الدعوة للاهتمام بها اليوم، إنما هو مسلك لتحرير العديد من الوثائق من رفوف النسيان، ومسار لإتمام جمع المادة المتناثرة هنا وهناك، عبر مدخل مصدري واضح، يركز على المصادر أولا بحسب جنسها، بأفق تجميع نصوصها تكاملا ومقارنة، وبغاية جبر ما سقط منها أثناء الكتابة، أو تعزيز وتقويم ما فسر في غير سياقه أثناء البحث، أو ما تم القفز عنه بسبب معلن هو قلة المادة المصدرية أو نسيان طاله وغير ذلك.

المحور الثاني- التاريخ المحلي وسؤال الرؤية:

إن الدعوة إلى لزوم الاهتمام بالتاريخ المحلي، إنما هي دعوة لمحاولة إعادة قراءة التاريخ، قراءة تقتضي لزوم الاهتمام بمفرداته؛ فإذا كان من أهم مفرداته حضور الرؤية المعرفية والمادة المصدرية ثم الطرائق المنهجية، فإنه صار لزاما إضافة مفردة أخرى إلى جانب ما سبق، ويتعلق الأمر بالدوائر المجالية المشكلة للمجال الوطني، وهي مفردة يأتي إفرادها بالحديث والبحث نظرا لتنامي أهميتها، خاصة بعد التغليب الذي مس التاريخ الوطني بالتركيز على الحواضر دون البوادي، أو العواصم دون الحواضر، أو ببعض الحواضر دون أخرى. إذ يمكن اعتبار الاهتمام بالتاريخ المحلي فعلا تنشيطيا لإبداع العديد من الطرائق المنهجية في الكتابة عنه، نظرا لكونه يأخذ مسارات عدة، سواء ما تعلق بالقضايا أو التواريخ أو المعالم أو الأعلام أو المصنفات أو غير ذلك؛ فالبحث مثلا عن أسماء مغمورة تنتسب للتاريخ المحلي، لكنها صاحبة أدوار محلية رائدة، يحتاج إلى جهد وانتباه من الباحثين للتعريف بهم، نظرا لقيمة الأدوار التي قاموا بها، وهي بذلك صانعة وفاعلة في التاريخ المحلي وعبره التاريخ الوطني. كما أن البحث في المعالم الكاشفة للعمق التاريخي للمجال المحلي، قادرة على بيان القيمة المعمارية لبعض المناطق المحلية وثراء معالمها وغنى منشآتها في غير تفاضل ضيق، بل في تكامل شيق.

ذلك بأن الاهتمام بالتاريخ المحلي والغوص في دروب تفاصيله، قادر على الكشف عن العديد من الدلالات التي لا تنجلي إلا بالتمحيص الدقيق واعتماد المنهج التفصيلي المجهري، لأن التأريخ لآثار حركة الانسان في بعدها اليومي وما يترتب عنها من اقتناع ودواع وعلاقات ... يحتاج إلى مثل هذا الاهتمام في بعده العلائقي، ليس على مستوى القضايا والأسباب فحسب، بل على مستوى الدوائر المجالية كذلك، فالاهتمام بالتاريخ المحلي في بعده الوطني دليل على الوعي بالقيمة المضافة التي أمكن أن تكون أداة استزادة وتمحيص للتاريخ ككل، فهي وعاء حافظ للحركة والنشاط والعمل والبناء وضروب العطاء على تباين نتائجه (المضيئة والمظلمة)، يتكامل من دون تبخيس لأحدهما.

وبما أن الاهتمام بالتاريخ المحلي يتركز على البحث في تاريخ دائرة مجالية محددة، بحثا عن التفاعل القائم بينها وبين غيرها أو بينها وبين المجال الوطني ككل، فهذا لا يعني أن الاهتمام بتاريخ المجتمع المحلي وديناميته، يسقط الاهتمام بتاريخ المجتمع ككل وآثاره المتبادلة، أو بتاريخ الدولة وآثارها وأدوارها هناك، بل الأكيد هو أن التفاعل دائم وواقع على دوائر مجالية مختلفة يلاحق فيها البعض الآخر.

ذلك بأن التقدم الذي وقع في إنجاز المنوغرافيات على تنوعها، أسهم بشكل كبير ومتقدم في القول بالتاريخ المحلي أو الجهوي أو الإقليمي، نظرا لأن القضايا التي عرضها متشعبة، تكشف عن تفاعل قائم ومعلن بين المناطق فيما بينها، مما يعني أن التاريخ المحلي باستطاعته أن يستوعب مجالات متعددة متفاعلة عبر الزمن الطويل، أو عبر أزمنة متلاحقة ومتوالية، وتلك ميزة أولى.

أما الميزة الثانية، فتكمن في كون الاهتمام بالتاريخ المحلي ليس اهتماما بالتاريخ الاجتماعي فحسب، بل هو اهتمام بكل التاريخ في صلة قائمة بينه وبين باقي الجوانب الأخرى صعودا ونزولا، إذ قد يعرض للسياسي كما يعرض للثقافي، ويعرض للاقتصادي كما يعرض للاجتماعي والديني في علاقة موصولة غير مفصولة، تتناسل فيها العوامل على تنوعها وتفاوتها محليا أولا، وبين مستوياتها المحلية والوطنية ثانيا.

فإذا كانت ميزة التاريخ المحلي عموما هي اهتمامه بالحدث الجزئي والدقيق والمجهري، فهذا لا يعني فصله عن الكلي من جهة الشمولية، كما لا يعني فصل الاجتماعي منه عن السياسي، لأن ملاحقة التاريخ اليومي في المجال الواحد الضيق تكون أقدر على الدراسة والتتبع بغاية التعرف على نواظم السلوك البشري، وهذا لا يعني الاقتصار منها على الصور الاجتماعية دون باقي الصور الأخرى، بل لا يعني كذلك فصل هذه الصور عن سلوك الساسة والقادة والزعماء، أو هؤلاء دون الأولياء والفقهاء والفقراء ...، لأن العلاقات الاجتماعية تظل حاضرة في كل الجوانب، ((في أشكال الإنتاج والتبادل، وفي السلطة السياسية كما في الحركة الصوفية، وفي المظاهر المعمارية كما في الحركة العلمية، وفي الممارسة الدينية كما في السلوك الاجتماعي))[1]

.

المحور الثالث- التاريخ المحلي وسؤال الوثيقة:

يبدو أن الكتابة التاريخية المحلية بالمغرب تواجه العديد من الصعوبات الشبيهة بالكتابة التاريخية الوطنية، وهي صعوبات يمكن التغلب عليها لحظة الوصل في الكتابة بين التاريخ المحلي والتاريخ الوطني، اعتمادا على العديد من الوثائق المتعلقة بالمجال المحلي، والنبش في المصادر المختلفة، ذات الخصوصية المحلية، سواء ما تعلق منها بالحوالات الحبسية، والوثائق العدلية، والنوازل الفقهية، أو ما ارتبط منها بالمراسلات العائلية، والوصايا الشخصية، والبيوتات المحلية، والمسامرات الأسرية، والإجازات العلمية، لكنها دون تجاوز للمصادر الأخرى مثل المصادر الإخبارية أو الجغرافية أو كتب المناقب والتراجم وغيرها،

1- السبتي، التاريخ والذاكرة: 109.

فإذا كانت الصعوبة تزيد لحظة التفصيل والتدقيق طمعا في الأخذ بمفاتيح فهم الحدث وسياق ورود النص، حيث تصير جغرافية المكان ومكوناته المعمارية، وطبائع القوم وعلاقاتهم الاجتماعية، وتمثلات الناس الذهنية وأمثالهم الشعبية، ... ركائز أساس للقراءة والفهم والتحليل، نظرا لطبيعتها المجهرية الدقيقة، فإن هذا لا يعطي المبرر لتجاوز أدب الرحلات وكتب الطبقات والأدب والعلوم وغيرها، إذ في حضورها تأمين للقراءة وعدم الشرود عن الإطار الكلي الجامع أثناء النظر في المصادر بين المستوى الأفقي العريق والمستوى العمودي العميق.

وتوجيه الانتباه للتاريخ المحلي من خلال كل المصادر أو بعضها؛ له من الدواعي المنهجية ما يرتبط بنظرة المؤرخ لعملية التأريخ، عملية هي برأيه لا تتم إلا بوجود العدد الكافي من المصادر والوثائق، وهو أمر لا يمكنه أن يكون مانعا من البحث، لأن الكتابة إنما هي فن وصنعة تحتاج إلى بعض **وثائق البدء لا وثائق التتميم**، فلو وجدت كل الوثائق للبحث في تاريخ منطقة ما، لما كان الداعي للبحث أصلا، لأن البحث في جوهره هو تنقيب عن المصادر، ونبش فيها (نوعيتها، وحجمها، وطرق التقميش منها، وقراءتها، ...).

كما أن الإعراض عن بعض القضايا بحثا ودراسة، ليس داعيه هو عدم التفكير فيها، بل إنما أساسه تخوف محتمل من عدم وجود نصوص مسعفة في دراسة الموضوع دراسة مستوفية، لا عرض بعض جوانبها الممكنة فقط. وهذا يعني أن التحدي الذي تواجهه الكتابة التاريخية المحلية إنما يكمن في المادة الوثائقية الممكن جمعها وتتبعها على نذرتها وقلتها.

إن الندرة التي يواجهها التاريخ المحلي على المستوى المصدري، داعية للانفتاح على كل المصادر طلبا لتعزيز النصوص، لكنها غير داعية للتقاعس عن البحث؛ إذ رغم كون هذه المادة الوثائقية لا تفي بالمطلوب، إلا أنها تظل محفزة للبحث. والإمساك بمجموع الوثائق الممكن اعتمادها لكتابة التاريخ المحلي، من شأنه أن يقرب الباحث من مجريات الأحداث الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية والعسكرية للمجال المحدد، ليس لأنها وثائق تنفرد عن غيرها بحكم محدودية مجالها، ولكن لأنها وثائق قد يتسم بعضها بالعمومية (مثل الكتب الاخبارية، والرسائل الديوانية، ومصنفات الجغرافية، ....)، كما قد يتميز بعضها الآخر بالخصوصية (مثل العقود، والحوالات، والمراسلات، والمذكرات، ...)، ومنها ما يكون عاما يتضمن خصوصية بذكر مجال بعينه، ومنها من يكون خاصا يحتوي على محدد عام، وهذا معاين ومشاهد يحتاج فقط إلى عمل دقيق وتمعن عميق، وفحص عريق وسبر حقيق وغور وثيق.

والدعوة إلى الاهتمام بالتاريخ المحلي من خلال المصادر العربية هنا، إنما هو تأكيد على أن نصوصها ليست مصدرا للتأريخ العام فقط، وإنما هي مصدر للتأريخ المحلي كذلك، تزيد قيمتها أكثر لحظة تجميعها ووصل بعضها ببعض، وهذا يعني أن مادة هذه المصادر مهمة جدا في كتابة التاريخ المحلي، من خلال طبيعتها السياسية أو العسكرية أو الجغرافية أو المناقبية أو غير ذلك، شريطة توجيه قراءة نصوصها بما يناسب التاريخ المحلي وخصوصيته، لا بما يصلها بقواعد الفهم وخلاصات التأويل التي استنتجت لتاريخ المغرب كله.

والقول بلزوم وصل فهم النصوص المستلة من المصادر العربية بما يناسب التاريخ المحلي، لا يعني فصلها عن تاريخ المغرب، بل فصلها عن موجهات فهمه، حتى تنضح النصوص بما يغني التاريخ المحلي ويثري مضامينه، فنصوص المصادر العربية المرغوب استثمارها في كتابة التاريخ المحلي، لا يمكن ضبط محتواها إغناء للدراسة المنوغرافية، إلا إذا وضعت في إطار التطورات العامة التي عرفها تاريخ المغرب ككل خلال فترة زمنية معينة، مع فسح مجال فهم منطوقها أو مفهومها أو حتى مقصودها بما يرتبط بالتاريخ المحلي.

إن الوقوف عند الأسباب التي دفعتنا للكتابة عن التاريخ المحلي في صلة بالمصادر العربية، يقتضي القول بأننا حين قدمنا الحديث بالتراث المكتوب، ليس نسيانا منا ولا تجاهلا لأهمية التراث المادي المعماري مثلا أو غيره، فلكل أهميته دون تفاضل، بل في تكامل قائم على تعدد التخصصات، حيث يصير نوع التراث مرآة عاكسة لواقع التاريخ المحلي من جانبه، تراث كله يساعد في تجميع المعطيات لكتابة تاريخ غير منجر للمبالغة والإفراط، أو التبخيس والتفريط.

لذلك فإصرار المؤرخ على اعتماد الوثيقة بمفهومها الشامل، هو ما يجعله يصر على الربط بين التاريخ المحلي والوثيقة بكل أنواعها وأصنافها، نظرا لأن الوثيقة ومهما كثر زخمها التاريخي أو قل، تظل مبصومة ببعض المحلي، الذي يعكسه المجال بما هو وعاء الحدث التاريخي، وهذا من تجليات حضور التاريخ المحلي التي ينشدّ إليه المؤرخ ساعيا إلى إدراكه. فالفهم الجيد لتاريخ الحياة اليومية، لا يمكن أن يتم إلا باللجوء إلى الوثيقة المحلية التي هي في طبيعتها مرشحة أكثر لذلك، لكن في المقابل لا يعني الاستغناء عن الوثيقة السياسية أو الجغرافية مثلا لأنها مرشحة أكثر من غيرها لضبط السياق والمجال، مما يعني أن كتابة التاريخ المحلي أو إعادة قراءته في حاجة إلى كل المصادر مزاوجة بين النظرة الكلية والجزئية في تكامل معلن.

المحور الرابع- التاريخ المحلي وسؤال التراكم:

لقد شكل البحث المنوغرافي عند ظهوره منعطفا هاما في مسار البحث التاريخي بالمغرب، كما شكل الاستمرار في تبنيه تراكما منهجيا، عزز من رصيد الأدوات المعتمدة عليها من قبل المؤرخ، وبذلك يكون البحث في التاريخ المحلي أو الجهوي ... قد استطاع أن يعزز المضمون التاريخي من حيث التدقيق والتراكم الجزئي بغاية استيعاب الكلي أو الوطني من جهة أولى، كما استطاع أن يعزز الضوابط المنهجية من حيث طرق جمع الوثاق والمستندات بغاية الاستفادة منها من جهة ثانية.

وتحديد القضايا ومواضيع الأبحاث في مجالات زمنية أو مكانية ضيقة، باستطاعته أن يدقق البحث والتحري، شريطة أن يكون ذا أفق تراكمي عمودي (بالتعمق في القضايا على مستوى الأمكنة أو الأزمنة أو هما معا) وأفقي (بالربط بين الأمكنة أو الأزمنة أو هما معا تجلية للعلاقة الواصلة بين القضايا)، غايته تضييق هامش المغالاة في التأويل عند المؤرخ اعتمادا على حيازة أكبر عدد من المعلومات وأدقها وأقربها من غير تحيز صارخ، وهذا ما يساعد على تحقيق التاريخ المحلي أو الجهوي وتقريبه، لأن هاجسه يكمن في التخلص من التعميم الذي غالبا ما تنجر إليه الدراسات التاريخية بطبيعتها بحثا عن الآفاق المعلنة أو غير

المعلنة من الفعل البشري، والقيام بفحص للإمكانات التي توفرها مختلفة الوثائق، ومراجعة عدد من الأحكام التي ترسبت بفعل الإقرار المتوالي للعامل الواحد أو الوثيقة الوحيدة أو هما معا.

لقد أظهر البحث في التاريخ المحلي أو الجهوي أن من بين أفضل الطرق للإلمام بالتاريخ الوطني تقسيمه إلى وحدات مكانية تسمح باستغلال وثائقه المحلية[1]، استغلالا يكشف عن ملامح الحياة اليومية للمجموعات، استنادا إلى مواكبة معلنة للمناهج التاريخية ولمكتسبات العلوم الإنسانية، ولجديد المصادر العام؛ إنها مواكبة تكمن قيمتها في الكشف عن العديد من الجوانب التاريخية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية ذات الصلة بالتاريخ المحلي، فهي تحتاج إلى بحث ودراسة وتدوين، وإلى جهود باحثين متمرسين، إن لم يكن في التنقيب فعلى الأقل في التجميع، لما له من أهمية في البناء والوصل دون الفصل، فالتاريخ المحلي جدير بالرعاية والعناية، ليس لأنه تاريخ بديل عن غيره، بل لأنه تاريخ متمم ومدعم لغيره.

إن خاصية الدوائر المجالات الضيقة التي ميزت الدراسات المنوغرافية هو ما ساعد التاريخ المحلي على اكتساب ميزة التحري المجهري، والتعمق في الدراسة، استنادا إلى مادة وثائقية محلية، اعتبرت في كتابة التاريخ الوطني ثانوية، لكنها صارت في كتابة التاريخ المحلي رئيسة، واعتمادا على مادة وثائقية وطنية، اعتبرت في كتابة التاريخ المحلي ثانوية، لكنها صارت في كتابة تاريخه رئيسة، وهذا ما ساعد على تجاوز الأحكام الكلية من جهة التاريخ الوطني، بل وساعد من جهة التاريخ المحلي على تقييد التعميمات المتوقعة، في تطلع غايته التراكم بقصد تجاوز العديد من الصعوبات والعوائق، وهذا اختيار يعززه وجود العديد من الكتابات التي سعت إلى معالجة التاريخ المحلي بدافع ما، معالجة تنتظم عند التراكم ضمن تاريخ الأمة والوطن.

على أن الملاحظات التي سجلها بعض الباحثين في التاريخ المحلي عن الدراسات المنوغرافية، انطلاقا من التراكم المنجز، كونها كانت تعبر عن اقتناعهم بأن الدراسات المنوغرافية تبقى جزئية ومحصورة في الزمان والمكان، ولا تسمح بعرض تفسيرات على مستوى الوطن ككل أو على مستوى الزمن الطويل[2]، إضافة إلى تساؤلهم عن حظوظ مساهمة البحث في التاريخ المحلي في إعادة كتابة التاريخ الوطني، والانتقال من الخاص إلى العام (من الميكرو إلى الماكرو) دون الوقوع في إسقاطات مخلة[3]، وهي ملاحظات جدير الانتباه إليها، انطلاقا من كون مدخلها الرئيس هو الوعي بأن الإنسان مؤرخ بطبعه شغوف بأخباره، سواء كانت مساحة

1- مزين (محمد)، فاس وباديتها: مساهمة في تاريخ المغرب السعدي 1549م- 1637م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط 1986م: 11/1.

2- المنصور (محمد)، الكتابة التاريخية بالمغرب خلال ثلاثين سنة(1956-1986م)، ضمن كتاب "البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 14، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1989م: 27.

3- القدوري (عبد المجيد)، مساهمة الجامعة المغربية في الإنتاج التاريخي حول المغرب السعدي: قراءة وملاحظات أولية. ضمن كتاب البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم: 71.

التأريخ، ووسائل التأريخ، ومستويات التأريخ، ... وصور التأريخ عنده متباينة أو متطابقة، لأن مبتدأ التاريخ المحلي إنما ينطلق من الإنسان تفاعلا مع محيطه الضيق (أحداثه، ومعالمه، ورجالاته، ...)، ثم يتنامى بعد ذلك تذكرا وتذكيرا ومذاكرة حتى يصير ذاكرة، تتحول عبر الكتابة إلى مذكرات، فإذا تنامت معارف هذا الإنسان وعلاقاته وتجاربه، تحولت الكتابة إلى تأريخ، هو بالنتيجة محط تفاعل بين مختلف المكاسب والمهارات والعلوم المحصل عليها بطرق مباشرة أو غير مباشرة، فهي وقتئذ تأريخ للذات وإعلان عن وجودها وحضورها، وبذلك تصير المعرفة التاريخية في أحد مظاهرها نتاج تفاعل بنيوي بين القضايا التاريخية والمسائل الاجتماعية وغيرها التي رصدها الإنسان، فتفاعل معها من باب المسؤولية التي وجد نفسه لحظة التراكم يعبر عنها، حيث تمازج عنده التاريخ المحلي بالتاريخ الوطني بغيره.

إن حضور مثل تلك الملاحظات وغيرها يظل محفزا على مواصلة البحث، ذلك بأن مجموع ما تعرضه نتائج البحث في التاريخ المحلي يظل مجرد أدوات مساعدة في بناء التاريخ الوطني، وعلى قدر القول بقصورها في بيان التاريخ الوطني، على قدر القول بقصور التاريخ الوطني في الكشف عن التاريخ المحلي وحجم إسهامه. مما يعني أن التراكم خاصية لازمة للتاريخ المحلي، حتى يصيرا بمجموع نتائجه موجها للقراءة التاريخية قبل الكتابة التاريخية، وهذا لن يتأتى إلا بحضور الموجه الإبستيمولوجي، الذي يساعد على الوصل بين إبستيمولوجيا الكتابة التاريخية والكتابة التاريخية نفسها، فـ((تقدم الكتابة التاريخية ليس رهينا فقط بتكاثر المجهودات الفردية، بل هو رهين كذلك بوقفات التأمل والتساؤل التي تثير الانتباه إلى الملامح العامة لما أنجز، وإلى المكتسبات والثغرات))[1].

إن هذا العمل رغم بساطته الظاهرة التي قد تغري البعض لتدشين خطوة أخرى أو خطوات نحو إنجاز ما يشابهه، يحتاج إلى تدقيق في نقل النصوص، وتمحيص في بيان مفرداتها، ودربة في طرق أخذها من مصادرها، كما يحتاج إلى منهجية في ترتيبها وتصنيفها وتأطيرها، وكل هذا وغيره ممكن الإنجاز، عندما يصير الهم المصدري موضوعا مؤرقا، يساعده التمييز بين الجنس المصدري والمضمون المصدري. لذلك فإن ما نقدمه هنا ليس تكرارا لما سبق بحثه، وإنما هو بعض من التأمل في المادة المصدرية عموما وفي بعض المصادر العربية خصوصا، وبيان حجم الاستفادة التي يمكن أن تقدمها نصوص هذه المصادر في كتابة تاريخ محلي، لحظة الانضباط لموجهات مقترحة قابلة للزيادة والترشيد، بعد اختبارها من قبل باحثين كثر، ومن خلال نموذج مقترح مرافق، يسهم كغيره في اقتراح مشاريع بحثية، ذات أثر تنموي محلي يوازي أثرها العلمي الأكاديمي.

1- جماعة من المؤلفين، البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم: 9 (تقديم).

لائحة المراجع

- البركة (محمد)، الحوالات الحبسية والتاريخ المحلي: تازة بين سوسيولوجية الفقه ومنوغرافية التاريخ، منشورات مختبر البحث في العلاقات الثقافية المغربية المتوسطية، ط1، 2020م.
- البركة (محمد)، النوازل والتاريخ المحلي: تازة بين سوسيولوجيا الفقه ومنوغرافيا التاريخ، منشورات مختبر البحث في العلاقات الثقافية المغربية المتوسطية، ط1، 2019م.
- السبتي (عبد الأحد)، التاريخ والذاكرة (أوراش في تاريخ المغرب)، المركز الثقافي العربي، البيضاء، ط1، 2012م.
- العروي (عبد الله)، مفهوم التاريخ (الألفاظ والمذاهب)، المركز الثقافي العربي، البيضاء، ط2، 1992م.
- مجموعة من المؤلفين، البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 14، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1989م.

مزين (محمد)، فاس وباديتها: مساهمة في تاريخ المغرب السعدي 1549م- 1637م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط 1986م

في إنتاج المعرفة التاريخية بالمغرب الأوسط قبل القرن السابع الهجري(13م)

أد.بلعربي خالد
قسم التاريخ-كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
جامعة سيدي بلعباس- الجزائر-

الملخص:

تحاول هذه الدراسة التعرض لموضوع إنتاج المعرفة التاريخية بِالمغرب الأوسط قبل القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي الذي يعتبر من أهم الكتابات في هذا المجال، لأنه يعطي صورة شاملة عن جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي عرفها المغرب الأوسط كما يعبر عن حركة الوعي التاريخي به. وقد تجاهلت الكثير من الدراسات الحديثة التي خصصت لدراسة إنتاج المعرفة التاريخية في العصر الوسيط ،المغرب الأوسط إذ انصبت معظم الدراسات بالبحث عن المعرفة التاريخية في المشرق الإسلامي باعتباره مركز ثقل دار الإسلام على الرغم من أهمية التجربة ا البارزة التي خلفتها حواضر الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

تأسيسا لما سبق تحاول هذه الورقة ملامسة إنتاج المعرفة التاريخية في المغرب الأوسط قبل القرن السابع الهجري ، من خلال التوقف عند منتجي المعرفة التاريخية ابتداء من الدولة الرستمية إلى غاية سقوط دولة الموحدين.

Abstract

This study attempts to address the topic of the production of historical knowledge of the Middle Maghreb before the seventh century AH, thirteenth century AD. This is considered one of the most important writings in this field, for the reason thatit gives a comprehensive picture of the aspects of political, economic, social and cultural life known to the Middle Maghreb as well as the movement of historical awareness. Many recent studies devoted to the study of the production of historical knowledge in the Middle Ages has ignored The Middle Maghreb. Wheremost studies focused on the research of historical knowledge in the Islamic east as the centre of gravity of Dar al-

Islam despite the importance of the outstanding experience left by the cities of the Islamic West in the Middle Ages.

Based on the above, this papertries to seekthe production of historical knowledge in the Middle Maghreb before the 7th century AH, by spotting the producers of historical knowledge from the Rostas state until the fall of the Almohad state.

مقدمة:

يمثل الفكر التاريخي أحد أهم جوانب الفكر والثقافة الإسلامية لعلاقته الوثيقة بجميع أوجه الفكر الإنساني لاستيعابه كثير من العلوم والمعارف لذلك حظي باهتمام العديد من المفكرين قديما و حديثا.

ويعتبر موضوع إنتاج المعرفة التاريخية بالمغرب الأوسط قبل القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي من أهم الكتابات في هذا المجال، لأنه يعطي صورة شاملة عن جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية و الثقافية التي عرفها المغرب الأوسط كما يعبر عن حركة الوعي التاريخي به. وقد تجاهلت الكثير من الدراسات الحديثة التي خصصت لدراسة إنتاج المعرفة التاريخية في العصر الوسيط ،المغرب الأوسط إذ انصبت معظم الدراسات بالبحث عن المعرفة التاريخية في المشرق الإسلامي باعتباره مركز ثقل دار الإسلام على الرغم من أهمية التجربة ا البارزة التي خلفتها حواضر الغرب الإسلامي في العصر الوسيط،ينهض دليلا على ذلك ما كتبه عبد العزيز الدوري في كتابه"بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب"و دراسة شاكر مصطفى حول "التاريخ العربي و المؤرخون"،وطريف الخالدي حول" بحث في مفهوم التاريخ و منهجه"، ثم دراسة عبد الله العروي حول "الإسلام و التاريخ"(l islam et l histoire) حيث ركزت هذه الدراسات على الكتابة التاريخية في المشرق و تناست أو أغفلت المغرب الإسلامي عامة و الأوسط خاصة.

ومع ذلك لا يمكننا نفي بعض الدراسات الحديثة و الجادة التي اهتمت برصد و تتبع تطور المعرفة التاريخية في بلاد المغرب،والتي من خلالها تمكنا من استيفاء المادة الخبرية المتوفرة لدينا منها.كتلك الدراسة التي نشرها الدكتور محمود إسماعيل حول" الفكر التاريخي بالغرب الإسلامي" ،

و هي عبارة عن سلسلة محاضرات ألقاها على طلبة الدراسات العليا بجامعة مولاي إسماعيل بمكناس أو ما كتبه المستشرق "تاديوس ليفيتسكي" عن المؤرخين الاباضيين في إفريقيا الشمالية" ،و التي تحتوي على كتابات هامة عن انتشار المعرفة التاريخية عند الإباضية فضلا عن كتابات محمد المنوني"المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح إلى نهاية العصر الحديث"،ثم دراسة ما كتبه الدكتور علاوة عمارة حول"دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر و الغرب الإسلامي".

تأسيسا لما سبق تحاول هذه الورقة ملامسة إنتاج المعرفة التاريخية في المغرب الأوسط قبل القرن السابع الهجري ، من خلال التوقف عند منتجي المعرفة التاريخية ابتداء من الدولة الرستمية إلى غاية سقوط دولة الموحدين.

يطرح البحث مجموعة من التساؤلات منها:من هم منتجو المعرفة التاريخية بالمغرب الأوسط قبل القرن السابع الهجري ؟ و ماهي الحقول المعرفة التاريخية بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة؟ وهل كانت التصانيف التاريخية تعبر عن نضج الوعي التاريخي بالمغرب الأوسط؟ ماهو المنهج و الرؤى التاريخية لمؤرخي هذه الفترة ؟.

1- منتجو المعرفة التاريخية بالمغرب الأوسط قبل القرن السابع الهجري :

كانت البدايات الأولى للتأليف التاريخي عن المغرب مشرقية حيث كان المشارقة السباقين إلى تدوين أخبار بلاد المغرب الإسلامي [1] ، تجلى ذلك في كتب الفتوح و كتب المسالك و الممالك و كتب دواوين الإنشاء و الخراج التي أرخت للمغرب،فكتابات الفتوح نذكر منها"فتوح المغرب و الأندلس" للإخباري المصري ابن عبد الحكم(ت257هـ870م) ،و كتاب"فتوح البلدان" لأحمد بن يحي البلاذري(ت279هـ/892م) الذي تطرق لفتح المغرب،أما كتب المسالك و الممالك لوصف بلاد المغرب من الناحية الجغرافية و السياسية و البشرية،نذكر على سبيل المثال لا الحصر"المسالك و الممالك "لابن خرداذبة(ت300هـ/961م) ، و "المسالك و الممالك " للاصطخري(ت بعد350هـ/961م) ،و "كتاب البلدان" لليعقوبي و نستطيع إضافة كتاب "صورة الأرض لابن حوقل.و قد شكلت هذه الكتابات المشرقية بالرغم من بعدها عن المغرب في بناء الوعي التاريخي في المغرب بل المساهمة في نشر المعرفة التاريخية به[2].

تعود البداية الجنينية الأولى لنشأة الفكر التاريخي في المغرب الأوسط مع ظهور الدولة الرستمية التي تأسست في تيهرت سنة160هـ/707م ،حيث ظهرت أولى محاولات لكتابة التاريخ عند الإباضية[3] ،و كانت كتاباتهم التاريخية قليلة وأغلبها مفقودة . لهذا تم التركيز على كتابات ابن سلام اللواتي و ابن الصغير المالكي.

بدأت المحاولات الأولى لتطوير المعرفة التاريخية خلال هذه الفترة مع كتابات ابن سلام اللواتي (ت 273هـ/886م) من خلال كتاب" بدء **الإسلام وشرائع الدين**" الذي يعتبر المصدر الأول عن عقائد الاباضية و تاريخ نشوء المذهب و تطوره[4]،و حوى معلومات هامة عن أعلامه، و أرخ لوجهة صدر الإسلام من وجهة الاباضية.كما نذكر كذلك مؤرخ الدولة الرستمية ابن الصغير المالكي الذي حاز قصب السبق في هذا المجال حيث استطاع بكتاب واحد عن أخبار هذه الدولة و الموسوم ب"**أخبار الأئمة الرستمين** "أن يصنع له اسما لامعا بين المؤرخين[5] ،و يعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر التي أرخت لتاريخ هذه الدولة ، و بالتالي بداية ظهور التواريخ المحلية ،خاصة ما تعلق منه بتاريخ أئمتها ، لذا فإن بعض المؤرخين الإباضيين من المحدثين يعتبرونه بمثابة حكاية موجزة عن أمراء الرستميين ، كما وصف فيه مدينة تيهرت الرستمية ، و ما دار بها من نزاعات داخلية وخارجية و التي أدت إلى حروب طويلة بين الإخوة و التي أدت إلى سقوط الدولة الرستمية سنة296هـ/909م [6] ،وقد كان ابن الصغير ممن تنطبق عليهم صفات المؤرخ فاعتبر أن البحث التاريخي يمر

بقاعدة أساسية للوصول إلى منتج تاريخي و هي"النزاهة و الأمانة و الموضوعية في نقل الأخبار" فيقول : "**و كانت له (لعبد الرحمان ابن رستم) قصص حكوها لا يمكن ذكرها إلا على وجه (كذا) ، وأن أتم الصدق فيها و لا أحرفها على معانيها ، ولا أزيد فيها و لا أنقص منها ، إذ النقص في الخبر و الزيادة ليس ...من شيم ذوي المروءات ، ولا من أخلاق ذوي الديانات ، وإن كنا للقوم مبغضين و لسيرهم كارهين و لمذاهبهم مستقلين ، فنحن و إن ذكرنا سيرهم على ما اتصل بنا ، وعدلهم فيما ولوه ، فلسنا ممن تعجبه طلاوة أفعالهم و لا حسن سيرهم " ، و قال في موضع آخر"فلسنا ممن تعجبه طلاوة أفعالهم و لا حسن سيرهم لما نعلم من براءتهم ممن والاه رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: من كنت مولاه فعلي مولاه"**[7]

فهو بذلك يرى أن موضوعية الكتابة التاريخية ما هي إلا نتيجة إيمان المؤرخ بالوصول إليها.

وشهد القرن الرابع الهجري(العاشر عشر الميلادي) بروز بعض المؤلفين الذين قاموا بتدوين مؤلفات تتضمن مادة تاريخية في شتى المجالات ، ورغم أن الكتابة التاريخية في عهد الدولة الحمادية(408-547هـ/1017-1152ك) ، لم تحظ بعناية كبيرة لسيطرة نمط البداوة على بلاطها[8]،فقد شهد هذا العصر ظهور بعض المؤلفات التاريخية ساهمت بقسط وافر في إغناء المعرفة التاريخية ،نذكر منها كتاب"النبذة المحتاجة في أخبار صنهاجة بافريقية و بجاية" لأبي عبد الله محمد بن علي الصنهاجي الذي تعرض فيه صاحبه لتاريخ صنهاجة، كما ألف كتابا آخر عن تاريخ الدولة الفاطمية سماه"أخبار ملوك بني عبيد و سيرتهم".[9]

و لعل السبب في قلة إنتاج المعرفة التاريخية خلال العهد الحمادي يرجع بالأساس أنها كانت فترة التركيز على العربية و الإسلام باعتبارهما الأساس الذي تقوم عليه عملية تعريب بلاد المغرب[10].

شكل **القرن الخامس الهجري** البداية الحقيقية لانتشار المؤلفات التاريخية و تطور المعرفة التاريخية بالمغرب الأوسط [11]،ينهض دليلا على ذلك ما كتبه أبو زكرياء يحي بن أبي بكر الورجلاني (ت471هـ/1078م) عن"سير الأئمة و أخبارهم " الذي تناول التاريخ السياسي للدولة الرستمية في إطار الحديث عن أئمة الإباضية بالمغرب الإسلامي ، و قد نهج فيه مؤلفه الموضوعية في تأليفه و يؤكد ذلك انتقاده لأبي يزيد الخارجي [12]، وحسب التراتب الذي يورده محقق كتاب البغطوري لكتب السير

و التراجم ، فإن كتاب "السيرة و أخبار الأئمة" لأبي زكرياء يحي ابن أبي بكر الورجلاني يكون في مقدمة الترتيب ، ثم يليه كتاب "السير " لأبي الربيع سليمان ابن عبد السلام ابن حسان الوسياني، ثم يأتي كتاب "سير مشايخ نفوسة "لمحمد ابن مقرين البغطوري ، و أيضا كتاب " طبقات المشايخ " للدرجيني أبو العباس أحمد (ت في القرن 07هـ)، ويليه كتاب "الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات" لأبي القاسم محمد ابن إبراهيم البرادي (ت القرن 08هـ)، ثم يأتي كتاب "السير " لأبي العباس بدر الدين أحمد ابن أبي عثمان سعيد ابن عبد الواحد الشماخي (ت سنة 928هـ)،[13] هذا الأخير ساعده تأخره الزمني على أن يستوعب كل ما استجمع في كتب من كان قبل هو اعتماده عليها فجاء كتابه موسوعة شاملة ، و للإشارة فإن أصحاب هذه

الكتب متأخرين عن الدولة الرستمية ، لكن نظرا لقربهم الزمني منها ، تعتبر من المراجع المهمة للتأريخ للتراجم لهذه الدولة[14].

يمثل القرن السادس الهجري عصر إنتاج المعرفة التاريخية في المغرب الأوسط، فقد ظهرت خلال هذا العصر الكثير من المؤلفات التاريخية.

2- حقول المعرفة التاريخية خلال هذه الفترة:

عرف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة العديد من أنواع الكتابة التاريخية المعروفة آنذاك في المشرق و لكن كانت أقل منها نوعا و كما، فنجد أن كتابات مؤرخي المغرب الأوسط في هذه الفترة قد اشتملت على مواضيع التاريخ المحلي، و التراجم و الطبقات، و نستطيع أن نصنف المواضيع التي طرقها المؤرخين على النحو التالي:

***التواريخ المحلية:** ويمكن أن نقسمها إلى نوعين:

تواريخ محلية سياسية: و هي مؤلفات كتبت عن تاريخ الدول و يأتي في هذا المقام كتاب"أخبار الأئمة الرستمين "،لابن الصغير المالكي، جمع فيه عدة أنواع من الكتابة التاريخية، التواريخ المحلية للرستميين، و التأريخ لمدينة تيهرت،لكن بدون التعرض لفضائل المدينة أو أهلها كباقي تواريخ المدن

فأرخ ابن الصغير للدولة الرستمية منذ عهد مؤسسها عبد الرحمن بن رستم إلى عهد أبي حاتم يوسف بن محمد(ت 294 هـ 906 /م) ، والأخبار السياسية للدولة ،وذكر الانشقاقات الحاصلة فيها وبعض التراجم لأمرائها. ولكونه تاجراً اهتم بالتجارة فأورد معلومات مهمة عن هذه المهنة وعن أصحاب الحرف[15]. وقدم ابن الصغير دراسة وافية عن مدينة تاهرت الإباضية في أحوالها الداخلية

فقد أعطى فكرة عن التوسع العمراني في المدينة ،وعن تعدد الأجناس واختلاف القبائل وتمايز الأعراق والمناظرات الحاصلة فيها بين هذه الأعراق والمذاهب إلى جانب إبراز دور الشيعة والمعتزلة

في الحياة الفكرية بتاهرت .

وهكذا يمكننا القول أن كتاب ابن الصغير هو تأريخ لمدينة تاهرت من كافة النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية.

تواريخ محلية مذهبية: مثلها مؤرخو الإباضية، الذين طغت على كتاباتهم تاريخ المذهب الإباضي ورجاله،**فالإمام عبد الوهاب و ابنه أفلح** في مؤلفاتهم المسماة "**المسائل والجوابات** " وعن طريق ردهم على أسئلة رعاياهم في جبل نفوسة ،أرخوا لنشأة المذهب الإباضي ودولتهم بتاهرت والانشقاقات الحاصلة في مذهبهم ،أما **كتاب ابن سلام** اللواتي "**بدء الإسلام وشرائع الدين** " فتتضمن إلى جانب تأريخه المحلي والمذهبي لإباضية المغرب ، معلومات هامة عن خوارج المشرق ، وبدء ظهور المذهب الإباضي، وذكر خروج الخوارج على الخلافة الأموية ، مع سرد لتعاليم المذهب وعقائده [16].

***كتب التراجم:**

من بين كتب التراجم خلال هذه لفترة التي ترجم أصحابها لشخصيات من الدولة الرستمية و ما بعدها، نجد أبي زكرياء يحي ابن أبي بكر الورجلاني،الذي اهتم في كتابه السير بالترجمة لعدة شخصيات منهم الأئمة الرستميين جميعا ما عدا الإمام أبي بكر ابن أفلح ابن عبد الوهاب ابن رستم، كما ترجم لستة شخصيات كلها ظهرت بعد سقوط الدولة الرستمية ، أي بعد سنة(296هـ/ 909م) [17]

كما أورد أبو الربيع الوسياني في كتابه " سير الوسياني" الكثير من التراجم لعلماء و فقهاء عاصر بعض منهم زمن الدولة الرستمية في آخر عهدها ومنهم عمروس ابن فتح النفوسي أحد العلماء المعاصرين لعهد أبي اليقظان محمد ابن أفلح ابن عبد الوهاب الإمام الرستمي[18]،و يجب الإشادة بما يحويه هذا الكتاب من معلومات وتراجم مهمة لشخصيات كان لها في العلم باع طويل . فكتاب مقرين ابن محمد البغطوري " سيرة مشائخ نفوسة" أيضا حمل في طياته تراجم لعدد من الشخصيات التي كانت زمن الدولة الرستمية ، خاصة منهم العلماء و الفقهاء في المذهب الإباضي، وترجم في كتابه لعدد من علماء المشرق الإسلامي ، و صنفهم إلى عصور و لكل عصر علماؤه[19].

وهناك كتاب آخر في التراجم لمجهول عنوانه "كتاب المعلقات في أخبار و روايات أهل الدعوة " و قد حقق الكتاب بمعهد الحياة بالقرارة بقسم الشريعة ، من طرف الطالب سليمان ابن إبراهيم و هو كتاب في السير و التراجم يشبه في منهجه و أسلوبه الوسياني إلى حد بعيد ، فهما يرويان عن مشايخ عدة من نفس العصر، و حسب ما ورد من أدلة في ذات الكتاب فالمرجح أن صاحبه من ورجلان ، وأنه التقى بالوسياني لكونه معاصرا له[20] .

***كتب الطبقات:**

ضمت كتب الطبقات صفحات لشخصيات و أحداث عن الدولة الرستمية ،هي كتب الطبقات التي ربما نكاد نختصر ذكرها فيما توافر لنا من معلومات حولها ، فيما دُوِّنَ في عهد الدولة الرستمية من معاصريها ،أو ممن أخذ عن هؤلاء مشافهة أو تدوينا .

مع الأسف فإننا لا نملك أي معلومات – في حدود ما أمكننا الإطلاع عليه – عن كتب لطبقات ألفت عهد الدولة الرستمية ، وإنما استطعنا الوصول إليه بالحديث هذه الدولة كان من أبي العباس الدرجيني في كتابه "طبقات المشايخ " ، و المتكون من جزأين ، لعل الجزء الأول هو ما يفيدنا هنا ، و إن اعتبره بعض المؤرخين نسخة طبق الأصل عن كتاب "سير الأئمة و أخبارهم " لأبي زكرياء يحي ابن أبي بكر ، لولا بعض التحسين في الأسلوب و العبارات و الإضافات[21].

و حسب البرادي فإن سبب تأليف الدرجيني لكتاب الطبقات ، هو أن أحد مشايخ المغرب زار بلاد عمان و طلب منه مشايخها قبل عودته إلى المغرب ، تزويدهم بكتاب جامع لسير مشايخ المغرب فاهتموا بتصنيف كتاب يشتمل على سير الدولة الرستمية و مناقب الأسلاف كما طلب إليهم ، فلم يروا أهلا لهذا التصنيف غير أبي العباس.

يؤكد إبراهيم بحاز على أن الكتاب ألف للمشارقة ، وأن الجزء الأول منه أعاد فيه صياغة كتاب أبي زكرياء و سبكه ،فلم يضف فيه إلا قليلا ، و إنما نقل معلومات أبي زكرياء و ضمنها كتابه،أما جزأه الثاني فقد أبدع فيه، و يعتبر إنتاجا أصيلا باتفاق المؤرخين،ذلك أنه أخذ أخباره عن أبي الربيع الوسياني ، و صاغها و أحسن حبكها[22]

كان لمنهج الدرجيني عظيم الفوائد ، لأنه سد الفراغ الذي أهملته كتب الإباضية في ذكر سنوات الأحداث، خاصة ما تعلق منها بالتأريخ لسنوات وفاة العلماء و المشايخ ، فبلغ لذلك من الأهمية ما بلغ ، إذا تناولنا من كتابه ما عُنِيَّ بالدولة الرستمية من شخصيات و أحداث . فيبدأ التأريخ لشخصيات و أحداث من الدولة الرستمية ، من الطبقة الثانية و تبدأ من الخمسون الأولى من المائة الثانية ، بذكر خبر عبد الرحمان ابن رستم و حملة العلم الخمسة ، ثم الخمسون الأولى من المائة الثالثة و التي ضمت أفلح ابن عبد الوهاب و بعض علماء الدولة الرستمية ، في حين كانت الخمسون الأخيرة من المائة الثالثة تضم محمد ابن أفلح و ابنه يوسف و غيرهم ممن برز من شخصيات بالدولة الرستمية في هذه الفترة، و ختم طبقاته وصولا إلى علماء الخمسون الأولى من المائة السادسة . و بما أن الدرجيني أخذ في الجزء الأول من كتابه "طبقات المشايخ" عن أبي زكرياء يحي ابن أبي بكر و كتابه "سير الأئمة و أخبارهم" ،وجب التنبيه إلى بعض الهفوات التي لا نعرف إن كانت من الدرجيني أم من محقق كتابه.[23]

عدا كتاب أبي العباس الدرجيني في الطبقات ، لم يصلنا أي كتاب يحمل أخبارا عن الدولة الرستمية ألف في الطبقات ، سواء من تأليف الفترة قيد الدراسة و هي عهد الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط ، أو في العصور اللاحقة لها حتى زمن تأليف الدرجيني لكتابه ، وهذا دائما في حدود ما توافر لنا الإطلاع عليه .

و قد أضاف كتاب "طبقات المشايخ " لتاريخ المغرب الأوسط الرستمي الكثير، إذ صنف لنا العديد من رجالات هذه الدولة زمنيا، فجعل كل منهم حسب الطبقة التي ينتسب إليها حسب تحديد زمني ، مما يسهل على الباحث المترجم لإحدى هذه الشخصيات عملية تحديد الإطار الزمني لها ، و كذا معرفة بعض الظروف السياسية أو الاجتماعية أو حتى الثقافية و العلمية لعصرها ، و ذلك من خلال ما أورده من أحداث في سياق الحديث عن كل شخصية ، سواء كانت علمية أو سياسية ...الخ .

3- المنهج والرؤية التاريخية لمؤرخي هذه الفترة:

اتبع مؤرخو المغرب في هذا العصر منهج أهل الحديث المعتمد على إسناد الرواية إلى صاحبها، مع إيراد السند كاملاً أحياناً، باعتبار أن أغلبهم كانوا فقهاء ومحدثين.[24] وكان الإباضية نصيين ينقلون النص عن راويه،ولكن دون ذكر السند كاملاً بل يرفعونه مباشرة إلى صاحبه ما يسمى (إسناد مقطوع)، وهذا عائد إلى أنهم ليسوا محدثين بل علماء فقهاء، وتأثَّر بهذا المنهج **ابن الصغير**[25] الذي كان يعيش بينهم بعيداً عن وسط العلماء المالكية في القيروان.

و قد اعتمد مؤرخو المغرب الأوسط في هذا العصر على نفس أسلوب عيسى بن أبي المهاجر،على اعتبار أنهم فقهاء ومحدثين ،ويؤكد ذلك أن **ابن الصغير الفقيه المالكي** والمستقر بتاهرت الذي اعتمد

على منهج إسناد الرواية ، وسبب ذلك أنه لم يعش في وسط علماء المالكية بالقيروان، فاقتصر على توثيق نقولاته ممن سمع منهم فقط ،وهو يأخذ رواياته من الإباضية وغيرهم كقوله:" حدثني غير واحد من الإباضية وغيرهم،ويقول أخبرني بعض الإباضية ،وأخبرني غير واحد من وجوههم" [26]ما يسمى بالإسناد المجهول.

أما منهج **ابن الصغير** فاعتمد فيه على السرد الموضوعي ،وتعددت مرجعياته من موضوع إلى آخر ،ففي سرده لعقائد وتعاليم مذهبه تراه يردد عبارة "إذا قيل لك " ثم يسرد تعاليم المذهب، ويكرر ذلك في كل مرة عند تناوله مواضيع العقائد والتعاليم المذهبية أما عن **الرؤية التاريخية** عند مؤرخي المغرب في هذا العصر فيبدو أنهم مشتركين من حيث دوافع وغايات الكتابة التاريخية التي كان للعصبية المذهبية والأُسرية العامل الأهم في دخول هذا الباب من الكتابة التاريخية[27] ،فربما كان شعور العلماء والفقهاء المؤرخين أن الاهتمام بالتاريخ الإسلامي يخدم العلوم الدينية الأخرى ويتممها ويوضحها ،وأن علم التاريخ رافد مهم لفهم الفقه والشريعة على أكمل وجوههما ،فهو من ناحية أداة لخدمة الدين ووسيلة إليه وهذا ما تجلى في كتابات المؤرخين الفقهاء.

وما يميز كتابات هذه الفترة:

- عدم تحكم المؤلفين في شروط الكتابة التاريخية نلمس ذلك جليا في صعوبة تنظيم الخبر التاريخي القائم أساسا على السنوات التي جرت فيها الوقائع.

-غياب تفسير أحداث التاريخ وفق منهج علمي تجريبي قائم على الحذر في تلقي الروايات ، و الدقة في تحليلها.

- عدم الكشف على الكثير من الظواهر و الأحداث التاريخية على ضوء ارتباطها بما قبلها، أو بما عاصرها من حوادث، بمعنى عدم وجود ربط الظاهرة التاريخية بالظواهر الموالية لها و المتفاعلة معها.

4 - الخاتمة:

تبين من خلال هذا البحث العرض لانتاج المعرفة التاريخية في المغرب الأوسط مدى ثراء الكتابة التاريخية به ، حيث جارت مثيلتها في المشرق من ناحية النشأة حيث توافقت مع معظم المواضيع التي طرقها مؤرخي المشرق ، والمناهج والرؤى التاريخية ،و تأكد من خلال عرض المؤلفات أن الكتابة التاريخية بالمغرب الأوسط لم تتأخر عن مثيلتها بالمشرق و أن المواضيع التي بدأ بها مؤرخو المغرب الأوسط هي نفسها التي بدأبها المشارقة وهي مواضيع السيرة و التراجم و الطبقات ، و تميزت الكتابة في المغرب الأوسط بتركيزها على الجغرافية المغربية و عدم تطرقها للتاريخ.كما تميزت الكتابات عند مؤرخي المغرب الأوسط خلال هذه الفترة بمحدوديتها و طابعها المذهبي.

الهوامش:

1-علاوة عمارة ،دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر و الغرب الإسلامي ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،2004 ص152.

2-عبد المنعم محمد عباس، الحياة الفكرية بالمغرب الأدنى و الأندلس في القرنين الثالث و الرابع الهجريين،دراسة مقارنة،رسالة ماجستير(مرقونة) ،كلية دار العلوم القاهرة2005 ص352.

3- محمد المنسي، منهج المؤرخين المغاربة في الكتابة التاريخية،دار الاتحاد، القاهرة،1995 ط1 ص83.

4- بحاز إبراهيم بكير ، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية ، الجزائر : نشر جمعية التراث القرارة ، ط :02 ، 1993م ،ص436.

5-نفسه ،ص438.

6-وداد القاضي، ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية ، مجلة الأصالة ، قسنطينة- الجزائر : مطبعة البعث : العدد: 45، ماي 1977م ص43.

7- ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق: محمد ناصر و إبراهيم بحاز ، الجزائر : المطبوعات الجميلة ، 1985م .ص15.

8-علاوة عمارة المرجع السابق ص162.

9- الغبريني أحمد، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة 1979 ،ص218-220.

10-عبد الحليم عويس،تاريخ بني حماد،دار الشروق، القاهرة،ط1 ،1400ه/1980،ص262.

11-Abdallah Laroui, l'histoire du Maghreb (Un essai de synthèse) , Corbière petite collection N°134 paris 1975, p :104

12- معيوف صالح مفتاح ، جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية من منتصف القرن الثاني الهجري إلى أواخر القرن الثالث هجري ، (د ت)، منشورات تاوالت الثقافية ، سلسلة دراسات تاريخية 05، 2006م.ص123.

13- علي يحي معمر ، الإباضية في الجزائر ضمن سلسلة الإباضية في موكب التاريخ ، ، مصر : مطبعة وهبة ، ص: 207

14- معيوف صالح مفتاح ،المرجع السابق، ص130.

15-محمود إسماعيل ،سوسيولوجيا الفكر الإسلامي -طور الازدهار4 -الفكر التاريخي، مؤسسة الانتشار العربي القاهرة 2000 ص76.

16- معيوف صالح مفتاح ،المرجع السابق، ص115.

17-_ العقل ناصر ابن عبد الكريم ، الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام ، المملكة العربية السعودية _ الرياض : دار اشبيليا للنشر و التوزيع ، ط:01 ، 1998م .ص41.

18- خليفات عوض ، نشأة الحركة الإباضية ،عمان :جامعة عمان ،1978م .ص25.

19- معيوف صالح مفتاح ،المرجع السابق، ص135.

20-نفسه ،ص145.

21- علي يحي معمر ،المرجع السابق ص209.
22- بحاز إبراهيم بكير ، المرجع السابق ص437.
23- علاوة عمارة ،المرجع السابق ،ص155.
24- معيوف صالح مفتاح ،المرجع السابق، ص165.
25- وداد القاضي، المقال السابق ص45.
26- ابن الصغير ، المصدر السابق ص73.
27- علاوة عمارة ،المرجع السابق ص156.

صناعة المؤرخ في أفق التكامل المعرفي

مقاربة فكرية

الدكتور نجيب بن خيرة

قسم التاريخ و الحضارة الإسلامية /كلية الاداب /جامعة الشارقة

ملخص بالعربي

من حقنا أن تكون لنا رؤية خاصة لتاريخنا ، ومن زاوية رصد مشبعة بالتصور المنبثق من ثقافتنا ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال التجرد من انتمائنا لها ، بدعوى الموضوعية و التجرد ، أو أن نتظاهر بذلك ، فإن ذلك غلطٌ و وَهمٌ في ميزان النظر العلمي الصحيح...

إن المهم أن لا يكون هناك اعتساف في الرؤية ، ولا تعصب في النظر ، ولا تزوير في الوقائع ، فإن ذلك من شأنه أن يهدم التاريخ ، ويشوهه ، وينسف أصول البحث العلمي المتعارف عليها .

و الحق أن القراءة الماضوية لتاريخنا العربي اليوم لم تعد تصنع الوعي المطلوب ، بل هي في أغلبها قراءة مشحونة بمشاعر الزهو الكاذب بالماضي ، الذي لم نشارك في إنجازها ، أصبح هذا التاريخ عبئا ، لا دافعا ومعينا ...بالرغم أن التاريخ لا يمكن إحياؤه كما كان ، بل يجب أن نحيي التاريخ كما نحن بحاجة إليه .

و الجيل المعاصر يملك من أدوات البحث ، وطرائق النظر ، وآليات التحقيق ، ووسائل التواصل ما يجعله يستطيع أن يعيد قراءة تاريخه بعيدا عن النظرة الفوقية التي كتب بها المستشرقون تاريخنا ، وتأثر بها كثير من المؤرخين من أبناء ثقافتنا ..

و الدراسات التاريخية اليوم بحاجة ماسة إلى تأطير جهودها بالتأصيل لعلم التاريخ ، مع بيان من يقوم بهذا الجهد وما هي صفاته ،وما هي معالم الاستمداد منه ، لضمان مواجهة واعية لهجوم كاسح على تاريخ الأمة وتراثها وثقافتها .

وفي هذه الورقة البحثية نتناول النقاط التالية :

1. **قراءة التاريخ ..و التأهيل الحضاري**
2. **التاريخ ...لماذا نكتبه ؟ ومن يكتبه ؟**
3. **كتابة التاريخ و أفق التكامل و المواجهة الواعية**
4. **إستدعاء التاريخ في الخطاب الديني المعاصر**

The Historian Industry on the Horizon of Knowledge Integration

An intellectual approach

Dr.Nadjib Benkheira

Department of History and Islamic Civilization / College of Arts / University of Sharjah

Abstract

It is our right to have a special view of our history, and from an observation angle that is saturated with the perception emerging from our culture, and it is not possible in any way to deny our belonging to it, under the pretext of objectivity and impartiality, or to pretend that, because this is a mistake and an illusion in the correct scientific balance of view. ..

What is important is that there should be no arbitrariness in the vision, no fanaticism in consideration, and no falsification of facts, as this would destroy history, distort it, and undermine the recognized principles of scientific research.

The truth is that the past reading of our Arab history today no longer creates the required awareness. Rather, it is mostly a reading fraught with feelings of false pride in the past, which we did not participate in achieving. This history has become a burden, not a motive and a specific ... although history cannot be revived as it was. Rather, we must revive history as we need it.

The contemporary generation possesses research tools, methods of view, investigation mechanisms, and means of communication that make it able to re-read its history away from the supreme view in which orientalists wrote our history, and many historians of our culture were affected by it.

And historical studies today urgently need to frame their efforts by rooting the science of history, with an indication of who is carrying out this effort and what are its characteristics, and what are the features of drawing from it, to ensure a conscious confrontation with a sweeping attack on the nation's history, heritage and culture.

In this research paper, we address the following points:

1. Reading history .. and cultural training
2. History ... why do we write it? And who writes it?

3. Writing history and the horizon of integration and conscious confrontation

4. Recalling history in contemporary religious discourse

1. قراءة التاريخ ..و التأهيل الحضاري

في عصر تعددت فيه المناهج ، وتنوعت فيه الرؤى ، واختلفت فيه المرجعيات ....لا بد من موقف علمي واضح ينبني على ثوابت راسخة تُبرز المنهج القويم في كتابة التاريخ ، ومواصفات من يكتبه ، لأنه في غياب المنهج تتبعثر الطاقات ، وتتفتت الجهود ، ويشتد التعصب ، وتتضاءل الفاعلية ، ويضعف العطاء .

ولا شك أن النظر في إعادة كتابة تاريخنا هو غربلة للتراث ، وتأصيل للهوية ، وتحصين لقلاعنا من الانهيار الداخلي ، و الغزو الخارجي الذي ما فتئ يرميها بسهام مريشة ، أجهضت حركتنا ، وحولت أجيالا منا على تعاقب الزمن لا تعي ما تقرأ ، إن لم تعدْ لا تقرأ أبدا ....!!.

ونحن من حقنا أن تكون لنا رؤية خاصة لتاريخنا ، ومن زاوية رصد مشبعة بالتصور المنبثق من ثقافتنا ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال التجرد من انتمائنا لها ، بدعوى الموضوعية و التجرد ، أو أن نتظاهر بذلك ، فإن ذلك غلطٌ و وَهمٌ في ميزان النظر العلمي الصحيح ...

إن المهم أن لا يكون هناك اعتساف في الرؤية ، ولا تعصب في النظر ، ولا تزوير في الوقائع ، فإن ذلك من شأنه أن يهدم التاريخ ، ويشوه قسماته الإنسانية المشتركة ، وينسف أصول البحث العلمي المتعارف عليها .

و الحق أن القراءة الماضوية لتاريخنا العربي اليوم لم تعد تصنع الوعي المطلوب ، بل هي في أغلبها قراءة مشحونة بمشاعر الزهو الكاذب بالماضي ، الذي لم نشارك في إنجاز مباهجه ، حتى أضحى هذا التاريخ عبئا ، لا دافعا ومعينا ...بالرغم أن التاريخ لا يمكن إحياؤه كما كان ، بل يجب أن نحيي التاريخ كما نحن بحاجة إليه .

إن البحث في الماضي لا يعني سوى البحث قصد معرفة الذات الحضارية ، جوانب القوة فيها وجوانب الضعف ، لأن معرفة الذات أساس الثقة بالنفس ، و الدافعة للإنجاز و الإبداع و العطاء ....

و الجيل المعاصر يملك من أدوات البحث ، وطرائق النظر ، وآليات التحقيق ، ووسائل التواصل ما يجعله يستطيع أن يعيد قراءة تاريخه بعيدا عن النظرة الاستعلائية التي طبعت تناول المستشرقين المغرضين الذين سطروا صحائف قاتمة حول تاريخ العرب و حضارتهم الإسلامية الزاهرة ...

وللأسف تلقفت طوائف من بني جلدتنا هذه الصحائف ، واتخذت منها دليلا للانتقاص من جهود السابقين ، وإلحاق المعايب بمنجزاتهم ، ووصف كل ما تم إنجازه أنه لا يعدو أن يكون ترجمة لتراث الأمم القديمة ، لا إبداع فيه ولا إضافة ، وكل ما تم تحقيقه في ميادين الحكم والصناعة و الزراعة و التجارة و الفنون و العمران ... لم يكن إلا ضربة حظ لشعب فتي ناهض ، إستطاع في لحظة من الزمن أن يطيح بدول شاخت وهرمت . !!. وهذا لعمري محض افتراء ، تُكذبه الوقائع ، وتُثبت تهافته وزيفه وانحرافه ...

و الدراسات التاريخية اليوم بحاجة ماسة إلى تأطير جهودها بالتأصيل لعلم التاريخ ، وحاجة الأمة إليه ، مع بيان من يقوم بهذا الجهد وما هي صفاته ،وما هي معالم الاستمداد منه ، لضمان مواجهة واعية لهجوم كاسح على تاريخ الأمة وتراثها وثقافتها .

وهو بلا شك تأصيل يستشرف المستقبل بل يجعل من التاريخ " علم المستقبل " بجدارة ، لأنه يضع المعالم المضيئة لصياغة جديدة للمعرفة التاريخية ، بما يتناسب مع ثقافة العصر المسلح بالتقانة و الرقمنة ووسائل التواصل المبهرة ...

وفي اعتقادي أن امتلاك هذه الأدوات يُمَكننا من بلورة ملامح الهوية التي تميزنا عن غيرنا ، ويفتح السبيل أمامنا لتطوير واقعنا وإخراجه من تداعيات التحولات التي تصنعها العولمة بإمكاناتها الهائلة ...

و الوعي بالتاريخ مساهمة رشيدة في التحرير و العنق من النمطية التي يراد لها أن تكون عليها الأمة العربية ، وقد آن الأوان لاستدراك ما فات ، و العمل على توظيف التاريخ كأداة لصناعة الوعي و التغيير لمستقبل أفضل .

2 . التاريخ ...لماذا نكتبه ؟

1. نكتب التاريخ لأنه حاجة فطرية وضرورة اجتماعية، فالإنسان يحب التاريخ ويعشقه، ولكنه في نفس الوقت يرهبه ويخاف منه .
2. التاريخ هو تراث الأمة وكنزها وهو مقياس عظمتها و ديوان إنجازات أبنائها، وماضيها الذي تستند إليه في حاضرها ومستقبلها ...
3. التاريخ هو وعاء الخبرة البشرية، تصب في نهره إضافات الإنسان في كل ميدان، لتصنع الحضارة التي هي جهد بشري غير مُنتهٍ، لكل أمة فيها حظ مهما قَلّ، ولكل أمة فيها نصيبٌ مهما ضَؤُلْ.
4. إننا نرجع إلى التاريخ ليس لأنه درس أكاديمي صرف، نحقق السيطرة على جزئياته وتفاصيله، وإنما لنوجه النظر إلى مؤشراته الرئيسية وقوانينه الفعالة، إلى السنن و النواميس التي يعمل من خلالها، إلى المصائر التي تنساق إليها الوقائع والأحداث وفق هذه المجموعة من الشروط أو تلك ...وذلك سعيا إلى

تحويل المسألة التاريخية إلى فعل حركي وجدل فعال بين الماضي و الحاضر و المستقبل ...فليس ثمة سكون ابدا في إطار وقائع تخلّقت في الزمان و المكان، ولكنها استجاشة للقيم المستمدة من هذه الوقائع، و التي يمكن أن تفعل فعلها في كل زمان ومكان ..[1]

5. إذا كان التاريخ الإسلامي في القرون الأولى قد وجد المؤرخين الأفذاذ الذين دوّنوه، وجمعوه من أطرافه ...وحفلت كتب التراث بمصنفات نفيسة في التواريخ العامة و المحلية وتواريخ المدن و المسالك و الممالك، وتراجم العلماء والأعيان، وحياة الخلفاء و الملوك والسلاطين ...فإن التاريخ الحديث و المعاصر مفرّق غير مجموع، مكتوب غير منقّح ..دخلت فيه يد الاستشراق فعبثت فيه، وتوزعته أهواء المستعمرين فشوهته، أين تاريخ المسلمين أندونيسيا ؟ وقد احتلها الهولنديون ثلاثة قرون تقريبا، فطمسوا تاريخها !،تاريخ إفريقيا السوداء، تحت حكم الفرنسيس ؟، أين تاريخ بلاد القوقاز وتركستان الشرقية و الغربية ؟ ...إن عيب التأريخ للمركز دون الأطراف في تراثنا القديم تكرر في العصر الحديث بطريقة جديدة، تحت قوى مسيطرة غالبة آلت على نفسها أن تكتب تاريخها من موقع المنتصر ...

6. نكتب التاريخ لأننا نريد أن نجد لنا مكانا في هذا العالم، وبين تواريخ الأمم و الشعوب، وما لم نصُغ تاريخنا وفق رؤية عالمية، سوف نظل بمعزل عن أي مشاركة في نهضة إنسانية، تتحاور فيها الثقافات، وتتعارف فيها الحضارات، ونظل داخل أسلاك شائكة، وأسياج مانعة، وأبراج عاجية نجتر موروثاتنا القديمة، وتفقد أجيالنا القادمة حينئذ القدرة على التعامل مع العالم في الزمن المقبل ...

7. نكتب التاريخ لأن فيه جوهر التجربة المؤمن الصالحة في كل عصر ...فالسقوط و النهوض، الخطأ و التوبة والإنابة ...فإذا فقدها التاريخ استحال من تاريخ نابض إلى تاريخ جامد مقدس، يثير الحماس ولكنه لا يمنح الخبرة، يحرِّك الهمة لكنه لا يقدم العبرة، يظهر تقصير الخلف لكنه لا يقنطهم من الاقتداء بالسلف، وهذا هو منهج القرآن " **وعصى آدم ربه فغوى** "، وقال عن نوح عليه السلام :" **قال رب إني أعوذ بك أن اسألك ما ليس لي به علم** "، وقال عن ،داوود عليه السلام :" **ولقد فتنّا سليمان** " وقال عن يوسف عليه السلام :" **ولقد همّت به وهمّ بها** "، وقال عن موسى عليه السلام :" **قال رب إني ظلمت نفسي فاغفرلي فغفرله** "، وقال عن محمد عليه الصلاة و السلام :" **عفا الله عنك لما أذنت لهم** " . فهو اقتداء ببشر لم يتجردوا من بشريتهم .[2] يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله :" ومن سلك طريق الاعتدال عظم من يستحق التعظيم، وأحبه ووالاه، وأعطى الحق حقه، فيعظم الحق، ويرحم الخلق، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات، فيُحمد ويُذم، ويُثاب ويُعاقب، ويُحبُّ من وجه ويُبغض من

(1) ـ أنظر : عماد الدين خليل . حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي . ط1، بيروت : دار ابن كثير، 2005م، ص 59.

(2) ـ محمد مختار الشنقيطي . الخلافات السياسية بين الصحابة . ط4، بيروت : الشبكة العربية للأبحاث و النشر ، 2017م ، ص 69-70

وجه "[1].

8. بعد خروج الاستعمار من البلاد العربية وتراجع دور الدولة الوطنية الحلم في كتابة التاريخ ..تبيّن أن الدولة الوطنية القطرية ليست لها رؤية واضحة لبناء الدولة ...! مما أربك المشهد السياسي، وتبعا لذلك ارتبك المشهد الثقافي، وتولدت نُخبٌ سارت في ركاب الحاكمين الجُدد، الذين هم في أغلبهم مغامرين شجعان، ولكن ليس لهم من الرصيد الثقافي و الفكري و السياسي ما يجعلهم يجمعون حولهم النخب العالمة الصادقة لتكتب التاريخ وفق ثوابت وقيم الثورات التي أنتجت الاستقلال، بل التف حولهم من النخب الضعيفة الطامعة، وراحت تدون التاريخ كما يريده الحاكمون بأمرهم ...مما جعل الكتابة التاريخية تنتكس، وتؤخر بروز مدرسة تاريخية منتمية للوطن والأمة .
9. نكتب التاريخ لنفكه من إصار المناهج و الرؤى التقليدية التي حولت معظمه إلى أساطير وغيبيات وكرامات ومعجزات ومآثر ومناقب، أحاطت التاريخ بأسوار من الكهانة ، ونعيد صياغته برؤية عقلانية، ومنهج علمي يضع الحوادث إطارها التي وقعت فيه، وصناع الأحداث في سياق الزمان و المكان و البيئة وإكراهات الواقع الذي حكمهم دون مزايدة ولا ذرائعية ولا تبريرية .
10. نكتب التاريخ من زوايا متعددة وفق منهج الدراسات الأنتروبولوجية anthropology من الحياة اليومية كالمشروب و المأكول، والمسموع من الأشعار و الأغاني، و الزجل، وبطاقات البريد، و الطوابع البريدية، و الجدرانيات، و الأرشيفات العدلية، و البلديات، وملفات التشرد و التسول و البغاء و السجون ... وأرشيف المشافي ة التكايا و البيمارستانات ....و المقابر وشواهد القبور، و التصوف و الكرامة، و السحر و الشعوذة ,,,وتاريخ العائلات و العلاقات الأسرية، وتاريخ الحب و الجنس، وطقوس الولادة، وظواهر الموت، ووصايا ما قبل الموت، ودفاتر تركات الموتى، وتاريخ الأوبئة و المجاعات، وتاريخ المستهلكات والأذواق، وتاريخ المواد كالقهوة و الشاي و الدخان و الخمور، و السكر و الملح و الحبوب ....لمعرفة تكور الجماعات الإنسانية، عكس ما كان سائدا (معرفة المواد لدراسة الإنسان، و ليس العكس) .

2 – 1. من يكتب التاريخ ؟ .

1. .المؤرخ بشر يشعر ويتألم، ويبني موقفا في الكتابة مهما كانت درجة موضوعيته وحياديته .
2. يكتب التاريخ صاحب حس مرهف وعاطفة إنسانية واضحة، حتى يستطيع أن يدرك نوازع الآخرين، ويتمكن من تفسير أعمالهم وتصرفاتهم، و الدوافع التي دفعتهم إلى هذه الأعمال و التصرفات، و الواقع

(1) ـ ابن تيمية . منهاج السنة النبوية . تحقيق محمد رشاد سالم ،ط1، الرياض : جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، 1986م، ج4 /ص 543

أن فاقد الحس و العاطفة يعجز عن فهم ما كان يجيش بصدور من أسهموا في تشكيل التاريخ [1].

3. هناك فرق بين من يكتب التاريخ وبين من يؤرخ للماضي، وفرق بين من يسرد الأحداث ويركب الوقائع، وبين من يحلل التاريخ ويفلسف الأطوار، وفرق بين من يتشرنق في إطار الماضي ويعيش في طياته، ومن يعيش عصره من خلال فهمه لأنساق الماضي ..لأن التاريخ ليس سرديات دون تمايزات واشتراطات، إنه عملية ذكية معقدة وخصوصا في التحليل وكشف الأسباب و المسببات .

4. يكتب التاريخ من يفكر فيه لا من يسرده،لأن التاريخ في مجمله هو اختيار المؤرخ بدءا وانتهاء ...ولكن يجب أن يتوخى الموضوعية، التي هي الانطلاق من نقطة الشك لاستئناف الإجراءات التاريخية، مع الفحص ومقارنة الحجج وتفضيل بعضها، ويكون المؤرخ مثل العالم يحدد درجة الاحتمال التي تناسب الدليل الموجود [2].

5. بخصوص "التاريخ الإسلامي " لا يقوى على كتابته إلا من له حظ وافر من العلوم الشرعية، إذْ كيف يكتب عن تاريخ الإسلام من لا يعرف الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا .

6. المؤرخ عريض الأفق واسع الثقافة وليس " متخصصا " في المعنى السلبي للتخصص، الذي يجعله معزولا عن باقي التخصصات، إن لم نقل أميا في المعارف الإنسانية الأخرى، أليس التاريخ هو فعل الإنسان بكل أبعاده النفسية والأخلاقية والاجتماعية ؟ .

7. المؤرخ الحق متسلح بخبرة الحاضر لفهم الماضي، إذ لا يمكن لمؤرخ نذر نفسه لصناعة الوعي بالتاريخ أن يعيش ذاهلا عن عصره، تائها عن مجريات الحوادث من حوله، ثم يلتفت إلى الماضي يريد استيعابه واستخلاص العبرة منه .

8. المؤرخ ليست مقولاته صدى لمقولات الآخرين، إنه طراز وحده، لأن أي " خطاب معرفي " أو أدبي هو مقول قول صاحبه أو جماعته أو مدرسته ضمن زمان معين ومكان محدد، وهذه حقيقة ثابتة لا يمكن التملص منها، تحت أي ذريعة، وإلا وقع أي مفكر في تناقض خطير خذ أمثلة على ذلك :

هل كان خطاب مؤرخ كالطبري يشبه خطاب المسعودي، أو خطاب الخطيب البغدادي، أو خطاب ابن خلدون، أو خطاب ابن الأثير، أو خطاب ابن العديم، أو خطاب المقريزي، أو خطاب الجبرتي، أو خطاب الشهابي، أو خطاب عبد العزيز الدوري، أو خطاب عبد الله العروي ؟ لم يستطع أحد من هؤلاء إنكار ذواتهم أو تكوينهم أو فكرهم أو بيئتهم أو ظرفهم وزمانهم وثقافتهم ..فكل واحد منهم ابن حقيقي لكل ذلك، وبعكسه فسيكون المؤرخ قد تناقض مع ذاته وعصره وبيئته وثقافته وذهب بعيدا ليعيش في الماضي فتراه شاخصا أمامك يعيش عصره بشكل آخر ...وهذا هو سرُّ النكوص الخطير الذي يعيشه تفكيرنا العربي

(1) ـ محمد عواد حسين . صناعة التاريخ . مجلة عالم الفكر .العدد الأول ،1/أفريل /1974م ،ص121

(2) ـ بيفيلي سوسجات . التاريخ ماذا ولماذا ؟ ترجمة، فريال حسن خليفة، مراجعة فتحي عبد الله دراج، ط1، القاهرة : مكتبة مدبولي، 2013م، ص 13.

المعاصر ...[1].

9. يكتب التاريخ من ينظر إليه دون تقديس أو تبخيس ...فأبطال التاريخ بشر وليسوا ملائكة، وصُناعه أناسي لا شياطين ... ويتعامل مع الموروث بعين الناقد المستلهم لا بعين المنبهر الملتهم ...فهناك فرق بين الموروث و التاريخ، وقد يسأل سائل، لماذا لا يؤثر المؤرخون في مجتمعاتهم اليوم ؟ قصيدة غزل تهز الوجدان، وتفعل فعلها أفضل من مجلدات ومصنفات لمؤرخ أسهر ليله، وأظمأ نهاره، وأذبل عينيه من أجل كتابتها ..آلاف الرسائل الجامعية في البلاد العربية، حبيسة الأدراج، نهبا للغبار ...لا يسمع بها إلا أصحابها ولا يتردد عليها إلا قارئ لحوح ...أو أكاديمي في التخصص الدقيق.

10. يكتب التاريخ من يستطيع أن يربط تالد ماضيه بموضوع حاضره، و القدرة على الربط تحتاج إلى ذهن فطن، وفكر لمّاح، وذاكرة مسعفة ..تجعل من هذه العملية الذهنية، تخلق ثقافة متجددة توظف التاريخ وتجعله مهادا لرؤية مستقبلية شاملة، تتوخى المعرفة بما حدث، ثم تقوم على تحليلها واستنباط ما يحسن استنباطه من قواعد وسُننا وقوانين،لأن المؤرخ بدءا وانتهاء لابد أن يتزود برواية، ويتسلح برؤية ..

11. يكتب التاريخ من يعيش التاريخ، ومن ينقله إلينا نابضا بالحياة حتى نكاد نراها ونلمسها، ونشعر بكل تفاعلاتها واركانها، وبما أن حياة الناس في التاريخ لم تكن جداول هندسية أو أرقاما ميتة، أو جيوشا منضبطة الحركة والإيقاع، فإن على المؤرخ أن ينقل إلينا التاريخ بكل بشريته وأمواجه المتلاطمة، و البواعث الفكرية، و النفسية التي تقف وراء كل موجة .[2]

12. يكتب التاريخ من يحوَّل أحداثه إلى قضايا فكرية لحل معضلات الراهن، والمساهمة في إيجاد حل لمشكلات مستعصية .لأن الملاحظ في العقود المتأخرة حين بدأت سؤالات النهضة تجد لها حيّزا في التفكير العربي المعاصر للأسف لم نجد حضورا بارزا للمؤرخين ...فأغلب الحوارات و السجالات والأطروحات تقدمها نخب من علم الاجتماع و الفلسفة وعلم السياسة ..علما بأنهم في كثير من الأحيان يستمدون مادة النقاش من حوادث التاريخ من غير امتلاك لأدوات الاستمداد ولا منهجية الاستشهاد ولا تحقيق الرواية ...وهذا في اعتقادي فراغ تركه المؤرخون فملأه غيرهم لأن الطبيعة تكره الفراغ ...

13. يكتب التاريخ من لا يتخذ من قلمه مدونا لما تملية الدوائر الرسمية التي تسعى .في كل زمان ومكان . لشراء ذمة المؤرخ وتحويله إلى مدوّن لتاريخها، بل ومزوّر للحقائق على حسب هواها، لأن المؤرخ النزيه يظِنّ بقلمه ان يكون أداة لتدوين تاريخ على مقاس بعض الجهات ، بل يحوله إلى ممتلك ثقافي يقبل

(1) ـ سيار الجميل . نحو تفكير نقدي في كتابة التاريخ، أنظر موقع الدكتور سيار الجميل، Dr-Sayyar Al-jamil

(2) ـ عبد الحليم عويس . دراسات في تاريخ الحياة الإسلامية (رؤية حضارية) . ط1، القاهرة : مكتبة الشروق الدولية، 2009م، ص 49.

النقد و التعديل، و التجريح، وإعادة النظر ..

14. يكتب التاريخ من يملك رؤية واضحة لمشروع ثقافي متكامل، يملك فيه أدوات المؤرخ ومنهجيته وصرامته، ولكن عينه لا تغفل عن أدوات أخرى من علوم مساعدة تسهم في تصويب رؤيته للأمور، وتضبط تشخيصه للعلل و المشكلات ....وفي تصوري أن انغلاق المؤرخ الأكاديمي اليوم على نفسه، بعيد عن حركة العالم اللاهث بسرعة قصوى ، وغياب البعثات العلمية خارج البلاد العربية، وانكفاء الباحثين المؤرخين على مطالب العيش الرتيب، ساهم بقدر كبير في انتاج التفكير الخاوي أو المستنسخ أو الماضوي .

15. يكتب التاريخ من يستطيع أن ينأى بفكره: تحليلا ونقدا واستلهاما ...بعيدا عن السقوط في التاريخ النظري، وليس السقوط في التاريخ الواقعي، مثال ذلك : الاعتماد على كتب السلف في مجال السياسة الشرعية وما ألف في عصر الضعف . والإيهام بأن السلف كانوا يمتحون من واقعهم، ويتحدثون عن إمكاناتهم ...و الحاصل أن هذا التاريخ النظري المثبت في كتب السياسة الشرعية لم يتحقق حتى في زمانهم، فتصنيف الحكام إلى :(حاكم فاسق، وحاكم مجاهر، وحاكم تقي، وحاكم ضعيف ...)وحكم الشرع في كل واحد منهم ...كما صنفهم ابن حزم الظاهري. وهذه التصنيفات لا علاقة لها بالواقع، ولا علاقة لها بما استطاعت الأمة واقعيا اتجاه هؤلاء الحكام ...وهذا الفقه لم ير النور منذ العصر الأموي ....والواقع التاريخي يثبت أن هناك قلة من الحكام الورعين الأتقياء، واستقامتهم كانت ذاتية لا دخل في تقويم الأمة لها .

16. يكتب التاريخ من لديه القدرة على النظرة الشمولية للتاريخ كله، فهو يقتطع جزءا من (حادثة ما) ولكن لا يعني أنها بدأت وانتهت في زمن معين ...(سقوط بغداد مثلا) .إن عمله يشبه عمل عالم الطبيعة الذي يفحص جزءا من الشجرة الضخمة في مجهره، لا لشيء إلا لأن المجهر لا يسع حجم الشجرة كلها : أي أن يحدد (الحقبة)، لآن العملية الذهنية لا تسع الماضي كله، لذلك لا بد من انتزاع جزء منه وإخضاعه لعملية الدرس و التحليل، لأنه لا يمكن مثلا : فهم تاريخ بني العباس أو بني أمية دون فهم عصر الخلفاء الراشدين .

17. يكتب التاريخ من لا يصوره تصويرا مقطعيا، بحيث يظهر الحدث التاريخي مقطوعا عن سياقات أخرى مرتبطة به فعليا، أي أنه يقرأ الحدث وكأنه كسرة حجر عبر مجهر، وهذا يقود إليه شدة الولع بالحدث وشخوصه إلى حد الغفلة عما يحيط به ويلازمه من الظروف الزمانية و المكانية والإنسانية على نحو عام . و التصوير المقطعي قد يقع كخطأ مقصود، لتشويه الوعي ومنعه من النمو في الاتجاه الصحيح، وقد يكون غير مقصود[1].

18. يكتب التاريخ من يملك الجرأة و الشجاعة على فتح ملفات التاريخ ومعالجة قضاياه بعين الحكيم،

1 ــ أنظر . مصعب الخالد البوعليان . الصور المقطعية للتاريخ.. وعي مشوه. ttp://www.alukah.net

وأدوات الباحث المنصف، لا من يهادن الجماهير السائمة، التي لا تريد أن تعرف أسباب عللها وأدوائها، ولا شك أن مبعثها من جروح غائرة في الماضي، ، واعداء الأمة لا يريدون لها أن تفهم أسباب عللها، حتى تظل جراحها راعفة تنزف عبر الزمن !.

19. يكتب التاريخ من يؤمن بأن تجربة السلف التاريخية لن تكون بديلا عن النص، بل هي أداة من أدواته لفهم النص وتوضيحه، وقد عملت المذهبيات والأهواء السياسية على إخراج تجربة السلف من دائرة " التاريخي المتزمّن " إلى دائرة اللامفكر فيه، فصارت جزءا أساسيا مما صار يعرف عند المسلمين بالعقيدة! .

3) كتابة التاريخ وأفق التكامل والمواجهة الواعية

لقد بات واضحا في الثقافة المعاصرة أن الاهتمام بالماضي ليس من قبيل استذكار أحداث مضت و انقضت، ولا إحصاء لأسماء ذهبت واندثرت، وليس ترفا فكريا يشتغل به الماضويون الذين ينظرون إلى الحاضر نظرة قاتمة سوداوية معتمة ..

بل إن النظر إلى الماضي غدا عملية عقلية تنطوي خبرة تاريخية بالغة القيمة، فليس ثمة مُعلم لمسيرة الأمم و الجماعات و الشعوب كالتاريخ، وهو ما يتضمن الصواب و الخطأ، الصعود و النزول، الازدهار والانحدار، التألق والانطفاء، وفق سنن ثابتة، وقوانين لا تتبدل .

" ومنذ منتصف القرن الماضي ازداد اهتمام الغربيين بالدراسات التاريخية، وأخذت تتكشّف لهم أكثر فأكثر أبعادها الفكرية و السياسية و التربوية، وضرورتها لمسيرة الشعوب و الأمم، من أجل تجاوز خطيئة البدء من نقطة الصفر، والاستهداء بالخبرة التاريخية .

وبمرور الوقت أخذت تتزايد نداءات المفكرين بضرورة الرجوع إلى التاريخ، وراحت التجارب الأوربية المتلاحقة في عالمي الفكر و الواقع تمدّ جذورها إلى الماضي باحثة عن المبررات و الحجج و الأسانيد، متطلعة إلى الصيغة الأكثر ملا ئمة للحاضر و المستقبل، وليست تجارب الثورات الفرنسية، وادعاءات تفوق الرجل الأبيض، و الشوفينية الألمانية و الإيطالية و الاشتراكيات الطوباوية و الماركسية اللينينية، إلا شواهد على مدى الارتباط بين الفكر و التجربة المعاصرتين وبين الرؤية التاريخية "[1].

وليس غريبا بعد ذلك أن نجد أن أغلب المذاهب الفلسفية في العصرين الحديث والمعاصر إنما تبلورت من الكتابة التاريخية، واتخذت في نفس الوقت من التاريخ ميدانا لطرح تصوراتها والاجتماع لمبادئها .

1) ـ عماد الدين خليل . في التأصيل الإسلامي للتاريخ . ط1، المنصورة : دار الوفاء، 1998، ص5.

" وبالرجوع إلى العالم العربي المعاصر فإننا نجد مذاهب معينة كان لها الظهور في كتابة التاريخ، وهي مذاهب تستمد أصولها من المذاهب المادية في كتابة التاريخ إلى جانب محاولات أخرى في التأريخ تأثّرت بفعل الصراع السياسي والاجتماعي الذي شهده العالم العربي [1]....

ويجب الاعتراف بأن الكتابة التاريخية عندنا عكست إلى حد كبير الصراع الأيديولوجي الذي عرفته المجتمعات العربية، وهو صراع كانت له مبرراته في الواقع الاجتماعي العربي، فإنه تسلّح بمبادئ أجنبية غريبة عنا، ومن ثمّ فقد وجدنا لدى كثيرين من المؤرخين الإفراط في التأويل، و التعسف في استخلاص النتائج، تدعم هذه الأيديولوجية أو تلك، وبذلك أصبحت الكتابة التاريخية ميدانا لتطاحن أيديولوجي، وتلك خاصية من خصائص الكتابة التاريخية عندنا ..." [2].

ولا شك أن كتابة التاريخ وثيقة الصلة بالتطورات الفكرية العامة تتأثّر بها وتؤثّر فيها، و التاريخ لا يكتب كتمرين أكاديمي، بل يفترض أن يكون متصلا ببناء مجتمعه، شأنه أي شأن أي حقل من حقول المعرفة .

ومن هنا يمكن أن نطرح السؤال الصريح و الصحيح و المليح ،يوجه لكل من يتصدى للكتابة التاريخية وهو : لماذا نكتب التاريخ الإسلامي ؟ ولماذا لا نكتب عن الحاضر وعن المستقبل ؟ فيقال في معرض الإجابة عن هذا السؤال ما مضمونه :

1. إن الكتابة عن الحاضر و المستقبل لا بد لها من رؤية تستند إليها في تحديد وجهتها، وتبني عليها رؤيتها وما يمكن أن تقدمه من تربية وتوجيه للأجيال، أو نصح وإرشاد للقادة و السياسيين و المفكرين وغيرهم ممن يمكن أن يسهم في حركة المجتمع وتنمية روابطه .

فكيف نتجنب الأخطاء التي وقع بها من وقع من بناة تاريخنا ؟ وكيف نحدّد الصحيح ونتبعه ؟وكيف يمكن لقادة الأمة أن يحددوا أصدقاءها وحلفاءها من الأمم الأخرى إن لم يقرؤوا التاريخ ويستوعبوا حركته ؟ ...

2. ولعلّ من وجوه الإجابة الأخرى على هذا السؤال : أن كل أبناء ملّة أو عقيدة أو فكرة سياسية أو ثقافية أو مادية أو روحية .. أو غير ذلك، كتبوا تاريخهم من الوجهة التي يؤمنون بها، ويرون أنها نافعة لهم ولأممهم، ولم يأخذوا روايات تاريخهم عن أعدائهم .و الغريب أن يطلب من المسلم أن يأخذ تاريخه من الكافر به وبنتاجه وبقيمه وبرجاله وبحضارته ...

3. يكتب التاريخ الإسلامي لتجنب عيوب ظاهرة الجمع ومخاطرها ورصد الدسائس التي زرعها أعداء الأمة و التحذير منها، وتحاشي مكائدها ومكرها، واستكمال النقص في رؤية الحضارة الإسلامية، وتأصيل الهوية وإعداد جيل البناء و التجديد الموحد الهادف، الصادق العزيمة . قال تعالى : " **قد خلت من قبلكم سنن**

---

1) ـ من أمثال المؤرخين العرب المعاصرين الذين ساروا في هذا الاتجاه : حسين مروة، هادي العلوي، محمود إسماعيل

2) ـ عبد السلام شقور . كتابة التاريخ في مواجهة الصراع الحضاري القائم . ندوة التاريخ الإسلامي وأزمة الهوية، مرجع سابق، ص54 ـ 55.

فسيروا في الأرض فانظروا كيف كانت عاقبة المكذبين، هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين "(آل عمران 137. 138) ، هذه السنن هي أقدار الله الحاكمة في الأرض الماضية في الخلق...

4. يكتب التاريخ الإسلامي لإبراز هذه السنن التي لا تتبدّل و لا تتحوّل " سنة الله في الذي خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا " (الأحزاب 62)، وقال تعالى :" **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وإذا اراد الله بقوم سوءا فلا مردّ له** " (الرعد 11) . واستقاء العبر و الخبرات من تجارب الأمم و الأفراد لإغناء الفكر وإخصاب التجارب وتسديد المسير ..فتتضح من خلال ذلك معالم الطريق ومسالك المنهج الذي تُرسم خططه وتُتخذ قراراته على أسس بيّنة ومقاصد واضحة لا لبس فيها ولا غموض .

5. يكتب التاريخ الإسلامي بأيدي أهله ورؤيتهم وتفسيرهم، ولعلّ نصيبه من أقلام أبنائه أقلّ بكثير مما كتبه خصومه وأعداؤه، ولهذا لا يمكن القول : إن لدينا تاريخا إسلاميا، وإنما القول الدقيق : إن لدينا مادة تاريخية واسعة، وهي تمثل خليطا من التوجهات الفكرية و الروايات التاريخية المكذوبة و الصحيحة ،ويبدو أن أضعف حلقة فيها هي الحلقة الصحيحة التي لا تشوبها تلبيسات مبغضي التاريخ الإسلامي وتأويلاتهم وإضافاتهم وانتقاءاتهم للوقائع و الأحداث .

6. يكتب التاريخ الإسلامي لتطهير هوية الإنتماء إلى الأمة من كل ما أصابها من غبار المدبرين و المصانعين، الذين لا يبالون إلى أي هوية انتسبوا أو أي عقيدة اعتقدوا أو أي ثوب لبسوا ....

7. يكتب التاريخ الإسلامي من معين العقيدة الإسلامية التي غُيّب تأثيرها في أحداث التاريخ، بينما الحقيقة أنها هي التي كانت تمثل الدافع الأساس لصناعة وتوجيه الأحداث و السياسات و العقات و الروابط التي قام على أساسها التاريخ الإسلامي .

8 . يكتب التاريخ الإسلامي لأنه من أهم المؤثرات على الفكر و التربية، وصياغة التوجهات البشرية في السياسة والاعتقاد و الوحدة و التعاون و التكامل والدفاع و الهجوم، وأنه مثلما تستخدمه الأمم و الشعوب الأخرى في التربية و التوجيه و التثقيف ورسم السياسات وإقامة العلاقات، فإن من حق أمتنا ومصلحتها أن تستخدم رؤية التاريخ الإسلامي الذي احتضنته العقيدة الإسلامية فصنع المعجزات ورسخ القيم، في تحقيق تلك المقاصد و التوجهات ..[1].

وفي طريقنا إلى إعادة كتابة تاريخنا ينبغي أن نفهم أن وقائعه وأحداثه خضعت إلى معالجات سعت إلى قولبة الواقعة التاريخية لتخرج بنتائج مقصودة ربما تصل إلى مستوى التزوير المقصود للظاهرة التاريخية ظن إن هذا الدس و التشكيك اتخذ أشكالا شتى، وتستر تحت شعارات وبراقع مختلفة .

1) ـ أنظر : حامد محمد الخليفة . الموقف من التاريخ الإسلامي وتأصيل الهوية . ط1، دمشق : دار القلم، 2005، ص56 ـ 59.

ثم إن هذا التشويه لم يشمل أحداث التاريخ الإسلامي فحسب، بل شمل مظاهر الحضارة الإسلامية ومؤسساتها وعلومها العقلية و النقلية، ودور المسلمين في التاريخ، وما قدموه من إنجازات حضارية، ويمكننا تقسيم أهم العقبات التي تعترض المؤرخ المسلم المعاصر :

أولا : الحركات التقليدية التي ظهرت في القرون الإسلامية الوسيطة، وهاجمت الإسلام و العروبة معا، ودسّت أخبارها ورواياتها بين طيات المصادر التاريخية، وعلى المؤرخ المسلم أن يكون مسلّحا بالحس التاريخي و المعرفة بمنهج البحث العلمي التاريخي لكي يفرز هذه الرويات المدسوسة .

ثانيا : الدس الاستشراقي ولا يعني هذا أن كل المستشرقين ضد الإسلام .

ثالثا: الدس الذاتي وهو نشاط يقوم به باحثون من داخل المجتمع الإسلامي ينقلون آراء هدامة بطرق وأساليب ملتوية ومقنعة لتمريرها على جمهور القراء أحيانا عن قصد وحينا دون قصد .[1]

وعلى هذا فإن سبيل المواجهة يقتضي مايلي :

1 . إن كل كتابة للتاريخ و الحضارة الإسلامية تتجاهل الإسلام وصبغته الحضارية أو تتجنبه أو تقحم عليه نظرية غريبة عنه، تفسد هذا التاريخ بل تفقده أهم مكاسبه الإنسانية الحضارية .

2 . البحث في أصول الحضارة الإسلامية وتقديمه للطلاب و الباحثين و الدارسين وفق منهج أكثر سلامة يتضمن أصول الحضارة الإسلامية، و التي وضعت البداية الصحية للتشكل الحضاري من خلال شبكة الشروط التي مكنت العرب من تجاوز حالة التخلف الفكري الذي هو أساس كل تخلف، والانطلاق لصياغة حضارة متميزة قدر لها مدى قرون عديدة أن تكون واحدة من الحضارات الأكثر فاعلية وتأثير في مجرى التاريخ البشري، وذلك من خلال تشكيل المناخ الملائم للفعل الحضاري و المتضمن للتحولات الأساسية الثلاث : (النقلة التصورية الاعتقادية، النقلة المعرفية، النقلة المنهجية) .

3 . تقديم موضوعات الحضارة الإسلامية وفق خصوصيات تجمع محاورها في نسق متكامل نظيم، لا على اساس محاور مفصولة بعضها عن بعض، وليس فيها إلا اللهاث وراء مبررات الجزية، و الركض وراء قوائم الضرائب، ومتابعة المحتسب، وتنظيم الدواوين، ونظام الشرطة و الجيش و العسكر، وتصويرا للعمارة الإسلامية على أنها لا تعدو الأقواس و القباب و الإيوان وجمال المقرنصات و الفسيفساء ..بعيدا عن المنظومة الفكرية التي قدمتها العمارة الإسلامية قلّ نظيرها في ثقافات العالم .

5 . تدريس الحضارة الإسلامية مع الإقرار بديمومتها لأن شروط قيامها ليست تاريخية صرفة مرهونة بالزمان و المكان، كما حدث للحضارة المصرية أو السومرية أو البابلية أو اليونانية أو غيرها، فهذه حضارات كانت خلفياتها التصورية أو الدينية مأسورة هي الأخرى في التاريخ، ولن يكون بمقدورها أن تحقق حضورا في القرن

---

1) ـ من حوار مع الدكتور فاروق عمر فوزي، جريدة العقيدة، 26 شوال 1412هـ الموافق 29 نيسان 1992م، أجرى الحوار . نجيب بن خيرة .

الراهن، أو القرون التالية، لأنها لا تملك مقومات الديمومة والاستجابة لتحديات العصور وينطبق عليها مقولة (الحضارات التي سادت ثم بادت) [1].

6 . الإقرار بأنه ليس ثمة غير الإسلام وحضارته من يقدر على ملىء الفراغ، وتقديم المشروع البديل الذي يكتسح هذا الغثاء، ويتموضع في قلب العصر، مشاركا في صياغة الحاضر، واعدا بمستقبل أكثر إنسانية ...بعالم أشد مقاربة للوضع البشري المتأزم .

7 . إبراز حلقة مهمة من حلقات الحضارة الإسلامية لم تعط حقها من الاهتمام الكافي في دراستنا وتدريسنا لهذه الحضارة رغم أهمية هذه الحلقة تلك هي ظاهرة التخلف و التدهور و الانحلال . فقد وقفنا عند عوامل سقوط هذه الدولة أو تلك من دول الإسلام كالدولة الأموية و العباسية و العثمانية ... لكننا لم نحاول . إلا نادرا . أن نقف طويلا عند ظاهرة تدهور الحضارة الإسلامية نفسها . في سياقها التاريخي . بعيدا عن الأطر السياسية المحددة، لمتابعة عوامل الشلل المتشعبة، و التأشير عليها بقدر من العمق و الوضوح، فيما يمكن أن يقدم لنا خبرة بالغة الأهمية تتمثل في احتمالات النهوض من جديد في ضوء فهم وإدراك العوامل التي قادتنا عبر قرون طويلة إلى التدهور و الانحلال [2].

هذا بخصوص الدراسات الحضارية أما فيما يخص موضوعات التاريخ الإسلامي فإنه ينبغي مراعاة الأمور التالية :

1 . ليس كل من تخصص في علم التاريخ قادرا على أن يكتب تاريخنا الإسلامي، فلا بد أن تكون له حصيلة من الثقافة الإسلامية تشمل العقائد والتشريعات والآداب مما يمكنه من فهم حوادث التاريخ ، وفهم الشخوص التي صنعتها ، مع إحاطته بالمصادر الأصلية للتاريخ و المصادار الخادمة للمادة التاريخية .

2 . لا يجوز الاستهانة أو التساهل في كتابة تاريخ أمة كبرى، قامت على أساس دين عظيم، وصنعت حضارة شامخة، ولهذا يجب أن يحترز من الروايات المدسوسة ، والأخبار المضللة .

3 . إعادة النظر في أسانيد الروايات ، وما قد يشوبها من تعصب الراوي لقبيلته أو لطائفته أو لمذهبه ، مستعينين بمنهج المحدثين الصارم في غربلة الروايات وتمحيصها . وخاصة في فترات عصر الإسناد . ولعل التراث الضخم الذي بين أيدينا من كتب الرجال و التراجم و الطبقات يعيننا على تحقيق هذه الغاية .

4 . الحذر من كتابات المستشرقين ومن لفّ لفهم من المستغربين

ممن يوجهون قراءة الأحداث وتفسيرها وتعليلها وفق خلفية ثقافية تعكسها طرائق التفكير في التاريخ ، فهم ينظرون على سبيل المثال العلاقة بين عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد أوز بين عثمان وعلي أو بين علي وطلحة والزبير مثل ما ينظرون إلى الساسة المغامرين ، و القادة الطامحين ، من رجالات الأحزاب والجماعات في عصرنا ممن يجيزون كل وسيلة لتحقيق الغاية .

---

1) ـ أنظر : عماد الدين خليل، فايز ربيع . الوسيط في الحضارة الإسلامية. ط1، عمان : دار الحامد، 2004، ص13.

2) ـ المرجع نفسه . ص14.

5 . من سوء قراءة للتاريخ أن يحكم عليه وعلى الأمة التي صنعته من خلال التاريخ السياسي وحده تاريخ الملوك و القادة السياسيين و العسكريين وإغفال المجتمع الكبير بكل فئاته وطبقاته المتعددة، من العلماء والأدباء و الزهاد و الحكماء، و التجار و الصناع و الزراع وغيرهم، ممن نبّه إليهم الحديث الشريف : " هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم "[1]، فأشار إلى أن الفئات الضعيفة و المغمورة في المجتمع هي عمدة الرزق و الإنتاج في السلم، وعمدة النصر في الحرب .

لذا على المؤرخ أن يعطيهم حقهم و المساحة اللازمة لهم، و اللائقة بهم عند كتابة التاريخ .

4. حرص كثير من المؤرخين على صناعة تاريخ لجهاتهم بطريقة يعزّز الروح الانفصالية، ويدعم روح التفرقة، ويبررها في أحسن الأحوال، ومؤرخون يتنازعون فيما بينهم الوقائع الشهيرة، والأعلام البارزة، كما تنازع الحكام الحدود القائمة المرسخة بفعل الاستعمار، وكان من نتائج ذلك أن أصبحت دروس التاريخ في المدارس تعتمد على التفريق بين الأخ وأخيه، ومن المؤسف أن بعض النعرات الشعوبية الحديثة في عالمنا المعاصر وجدت في هذا النوع من الكتابة التاريخية دعما لنعراتها القبلية العرقية البغيضة ...

وهذا المسلك يخدم سياسة العولمة الهاجمة التي تريد خلق جُدر سميكة من العداء المستحكم بين الأمة الواحدة، وتسعى إلى تفتيت لحمة الأمة المتماسكة، عبر تضخيم تاريخ هذا على حساب تاريخ ذلك ..رغم الوحدة الجامعة بينهما ...

وما يحدث اليوم من التركيز على التاريخ القديم قبل الإسلام لبعض الدول العربية و الإسلامية كمصر وسوريا و العراق و الجزائر ...هو من قبيل إثارة النعرات العرقية التي تكرس الانقسام و التشظي و التشرذم، وخاصة في ظل الضعف المادي على كل المستويات، مما ينتج عنه صراعات سياسية وعسكرية في بعض الحالات .

5. الاهتمام بكتابة وتدريس ونشر التاريخ المشترك للأمة (تاريخ صدر الإسلام. عصر الانتشار. عصر الازدهار و القوة. أسباب الانكسار و التراجع في مسيرة الحضارة الإسلامية ..) ثم بعد ذلك نركز على التواريخ المحلية للأقطار ، والحواضر، و المدن ....

6. لعل الأوضاع التي يمر بها المسلمون من مغالبة القوى العالمية لهم جعلتهم ينسحبون من ساحة النزال الثقافي، وخاصة في ميدان كتابة التاريخ من وجهة نظر العدو الغالب مؤقتا، وجعلت الاعتقاد السائد هو أن تاريخ المنطقة الذي تحاول أن تنتجه وثائق أرشيفهم أو تلك الوثائق التي تخدم وجهة نظرهم , و في معظم الأحيان الوثائق التي يرتؤون الاعتماد عليها دون غيرها, تصنع تاريخاً مشوهاً بل و منقوصاً , و يقدم قراءة سياسية لا تقترب من التاريخ في شيء ، بل تشكل تعدياً عليه .

---

1) ـ أنظر : حمزة محمد قاسم . منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري. دمشق : مكتبة دار البيان ، 1990م ، باب الاستسقاء ، ج2/ص 287.

وحين يقبل أي مجتمع بأن يكتب الآخرون تاريخه أو أن يحركوا ذلك التاريخ بوثائقهم كما يشتهون , يصبح من العسير عليه مواجهة الكوارث التي نتجت عن ذلك، و لهذا وذاك ثمة حاجة فعلية لإعادة النظر في طريقة كتابته , وفي أسلوب تلقيه , وفي مساحات قبوله .. و الأهم المبادرة في تدوينه اعتماداً على حقائق المنطق, لا على رؤية أولئك لتلك الحقائق.

7.في تصوري أن المدافعة الثقافية مع الآخر في هذا الميدان لا تتحقق إلا باستحضار عنصرين أساسيين :

1. إبراز قيمة الأحداث التاريخية بما تحمله من ثقل أشخاصها وأبطالها ومواقفها .

2 . حسن عرض هذا الرصيد المعرفي الهام بالوسائل المعاصرة التي تقرب من عقل الناشئة وقلوبها، فتستوعبه وتعيه، ثم تحبه، وتفخر بالانتساب إليه وينشأ ما يسميه " أرنولد توينبي "(Arnold Joseph Toynbee):" بمبدأ الأبوة و البنوة " أي تواصل الأجيال، فإن الأبناء من دون تاريخ الآباء، يعيشون لقطاء، مقطوعي الصلة بماضيهم، ذاهلين عن حاضرهم، وبيقين فاشلين في صناعة مستقبلهم : وصدق أمير الشعراء أحمد شوقي حين قال :

مثل القوم نسو تاريخهم		كلقيط عيّ في الحي انتسابا
أو كمغلوب على ذاكرة		يشتكي من صلة الماضي انقضابا

ولن يتم ذلك إلا بعد غربلة التاريخ، وتخليصه من المبالغات و الفذلكات و الأكاذيب، وعرضه عرضا ممحصا تنويريا يبعث على العمل لا على الفخر فحسب، وينشط قارئه على القدوة لا على الذكرى ...، وهذا دور منوط بالمؤسسات الأكاديمية، و المخابر العلمية، و المجامع المتخصصة، التي ينبغي أن تلقى الدعم و السند من الدولة و المجتمع على حد سواء .

4.إستدعاء التاريخ في الخطاب الديني المعاصر

من أجمل ماسمعت:" أنه لا توجد أمة على ظهر الأرض ماضيها لا يزال ينبض بعنف في حاضرها ويرتهن مستقبلها مثل أمة العرب و المسلمين...!" .

وهذا النبض بلا شك يجعل كثيرا ممن يتصدرون لصناعة الرأي العام ، وتوجيه الجماهير ، وإلهاب المشاعر ، يعمدون إلى استدعاء التاريخ بطرق مختلفة حسب تنوع مشاربهم ، وتوجهاتهم ، وانتماءاتهم ..

ولا شك أن الجميع يستخدم التاريخ ذخيرة معنوية ضد الخصوم أو مادة وقود لإلهاب الصراع ، وفتح الساحات الرحيبة لتصبح أحداثه الغابرة ميدانا لذلك الصراع ، ورواياته وشخوصه أدوات ووسائل للخصام المتجدد .

وفي زحمة هذا التلاحي يضيع الحاضر ، وتُظلم آفاق المستقبل ، ويصبح التاريخ وسيلة للتخلف

بجدارة ..!!

ومن هنا وجب تحديد الأخطاء في استدعاء التاريخ ، ووضع الضوابط لتجنب جعله أداة للفرقة ، لا وسيلة للوحدة ، مِعولا للهدم ، لا لَبِنة في البناء ....

من هذه الأخطاء :

- النظرة الإسنادية الضيقة : وهذا إشكال عام في الدرس التاريخي عندك كثير من المعاصرين ...وهو اعتماد منهج إسنادي ضيق وجاف في دراسة الأحداث التاريخية المسوقة بالإسناد ، كما هي الطريقة القديمة في تدوين التاريخ الإسلامي دون أي اعتبار للقرائن المختلفة ، و السياق التاريخي ، ومدى الاعتبار و التسالم و القبول لدى العلماء النقاد من قبول ذلك من عدمه .
- التركيز على العلوم الشرعية و العلوم الطبيعية و إهمال العلوم الإنسانية
- ترديد مقولات صارت من قبيل " الحتمية الدينية " مع وضعها في سياق فكري غير سليم ، كقولهم " من ينصر الله على نفسه ينصره على أعدائه " .
- كتابة التاريخ الإسلامي وفق دورات من التقوى و الفجور ، فالنهوض يكون عندما تبدأ التقوى ، ويبدأ الانحدار عندما يبدأ الفجور ، دون تحديد معيار التقوى ومعيار الفجور !!.
- استذكار حقب تاريخية مع التصور أنها مثالية ، وهي لم تكن كذلك في الواقع ، بل كانت من صنع الخيال فقط . ولكن خطابنا الديني المعاصر راح في كثير من الأحيان ينظر إلى وقائع التاريخ نظرة غير متوازنة ، فيغرف من وقائعه دون تمحيص ، ومن أحداثه دون تحقيق ، ومن غثه وسمينه دون غربلة ...مما أوهم المستمع العادي بقداسة ما يسمع ، وصحيح ما يُروى ، وأدى ذلك كله إلى الخلط الواضح بين الوحي و التاريخ .
- نعت فترة ما قبل الإسلام بالجاهلية قد يكون مجحفا بحق الإسلام نفسه[1] .
- .استصحاب مفهوم الخلافة على أنها دائما " راشدة " !!.
- انتقاء الصفحات المشرقة و المواقف البطولية والحوادث النادرة،
- ترحيل الماضي وقراءته دون وعي . ففي كثير من الأحيان نقدم التاريخ على أنه ضرب من ضروب الدعاية القومية التي وقفت من التاريخ الإسلامي العربي موقفا انتقائيا تجزيئيا :فما أعجبنا من تاريخنا أبرزناه وسلطنا عليه الأضواء ، وتعالت الأصوات بمفاخره وما لم يعجبنا تجاهلناه لأنه لم يصدق أحلامنا وأوهامنا وأشواقنا .

1 ـ زياد حافظ . الخطاب الديني و التجدد الحضاري في الأمة العربية . مجلة المستقبل العربي ،مج36، ع،أغسطس 414، مركز الوحدة العربية ، 2013م ، ص 24*57.

- .إعتماد كتب الأدب و المواعظ مصدرا للمادة التاريخية (كتاب الأغاني ، العقد الفريد ، المستطرف .....) .
- .سرد الواقعة التاريخية بنبرة صوت عالية ، وحماس متدفق ، يوهم العوام أن نصوص التاريخ هي نفسها نصوص الشريعة ، وأقوال السلاطين والأمراء والخلفاء واجبة الاتباع كأنها أحاديث النبي المعصوم عليه الصلاة و السلام !!.
- . صياغة الحدث التاريخي والاستشهاد به بعيدا عن مقاصد الشريعة ، وترتيب الأولويات ، ومراتب الواجبات .
- .استدعاء الخبر التاريخي دون النظر العقلي فيه ، قبولا أو ردا .
- .سوق الأعداد والأرقام المذهلة في المعارك و الغزوات و الفتوحات مما لا يستسغيه العقل ولا المنطق و لا الجغرافيا .
- . الحديث عن الحضارات القديمة (اليونان ، و الرومان ، و البابليين والآشوريين ، وحضارة مصر القديمة، و الفينيقيين ....وغيرها .) ،وفق تسلسل خاطئ لا ترتيب فيه .
- . الخلط عند ذكرعلماء و فلاسفة اليونان (، أرسطو ، أفلاطون ، سقراط ، أبو قراط ، وزحالينوس .....وغيرهم).
- .الخطأ في ذكر أسماء المستشرقين للرد على زيف دعاواهم و أباطيلهم في التاريخ الإسلامي (برنارد لويس ، فان فلوتن ، يوليوس فلهاوزن ،ماكدونالد ، آدم ميتز، كارل بروكلمان.....) .
- . محاكمة الرؤساء والحكام و الأمراء و الملوك في عصرنا الحديث إلى حكام العصور الوسطى ، والاستشهاد بهم عليهم ...وذكر الفروق بينهم مع جهل عريض في إدراك الفروق بين العصور ..!!.
- .التساهل في الروايات التاريخية الضعيفة السند بحجة أنها للوعظ و الترغيب و الترهيب .
- .الأخذ عن مصادر فرقة من فرق المسلمين كالشيعة مثلا ، وإلزام كل الطائفة بما نقل من كلام كالاعتماد مثلا عما قيل في كتاب " أعيان الشيعة" للنوبختي ، أو " الفرق بين الفرق " للبغدادي ، وإلزامهم بكل ما ورد فيه ، ومحاكمة عقائدهم إليه .
- . الجهل بالجغرافيا السياسية والإقليمية... سمعت خطيبا يطوح بالسامعين في خطبته من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، مخطئا في أسماء الدول و المدن التي تعيش فيها الأقليات المسلمة ، مغالطا في الحوادث و التواريخ ...
- عدم سرد الوقائع التاريخية وفق التسلسل التاريخي الصحيح ، فيستشهد الخطيب أو المحاضر بحادثة في التاريخ المملوكي ، ثم يرجع إلى العصر الأموي ، ثم يروي من السيرة العطرة ، ثم يرجع إلى العصر العباسي ، مما يشوش على السامع ، ويذهب الفائدة من التاريخ وأخذ العبرة و العظة من أحداثه .

ومن الضوابط :

- .الخروج من سجن الماضي الذي حوّل كثيرا من العرب و المسلمين من كائنات لها تراث إلى كائنات تراثية على حد تعبير المفكر المغربي محمد عابد الجابري .
- .التركيز على
- .الأخذ بعين الاعتبار الجذور السياسية والاقتصادية والاجتماعية و الثقافية السائدة ، لتفسير الحدث التاريخي .
- .في دراسة السيرة النبوية لا يمكن باي حال من الأحوال فهم أحداثها ، ولا تفسير وقائعها ، بعيدا عن الإلمام بتاريخ العرب قبل الإسلام .
- .الإلمام بحضارات عربية فبل الإسلام في جزيرة العرب و ما حولها ، يُقرب الفهم السليم لكثير من آي القرآن الكريم .
- .ضرورة المراجعة الشاملة لمختلف تفاسير القصص القرآني لعزل المساهمات اليهودية في مقاربة القرآن [1].
- .دراسة تاريخ الأفكار و المذاهب والعقائد و الملل و النحل ، يضبط المرآة الصافية للنظر في التاريخ . وضبط حركة الراهن للتقدم إلى المستقبل .
- .عدم مهاجمة فرقة من فرق المسلمين دون النظر في ما استجد من كتبهم ومخطوطاتهم ، ومراجعات علمائهم وأعلامهم ، فالمعتزلة مثلا تم اكتشاف كثير من المخطوكات الجديدة ، التي جعلتنا نقرأ فكرهم من مصادره الأصلية ، وليس من مصادر خصومهم ، الذين يزيفون فكرهم ، وينكرون جهدهم .
- وجوب مطالعة كتب الأديان وخاصة كتب السماوية ، كالعهد القديم ، و العهد الجديد ، دون الخلط بينها ، أو محاكمتها إلى نصوص مبعثرة غير موثقة ...
- .استدعاء التاريخ من وجهة نظر المذهب و الطائفة يوقع في الغلط و الخطإ و التعصب ، مما يفضي إلى استدامة الاستقطاب و التراشق و التخوين والشيطنة .
- لا بد من التفريق بين ما كتب من مصادر الفرقة نفسها أو من الكتب التي كتبت حول الفرقة ، سواء من المصادر المتقدمة أو المصادر المتأخرة ، وتطور الأفكار في المذهب الواحد ...(فمثلا يجب التفريق بين الشيعة الإثنا عشرية ، وعقائد الفرقة الإسماعيلية الباطنية ، و القرامطة ، و الدر ورز ....) .
- مع إدراكنا لأهمية الرجوع إلى الماضي يجب أن ندرك أن الحلول التي اتبعها السابقون في علاج مشكلاتهم لا تكفي لعلاج مشكلاتنا ، فالتقدم الحضاري الحاصل الان أوجد فرصا وتحديات وإمكانات وتعقيدات أوسع بكثير مما كان سائدا قبل ثلاثة أو خمسة قرون ...لذلك فإنه لا تتسع مرحلة سابقة لمرحلة لاحقة ، أي على مستوى الأفكار و المبادرات والساليب والأدوات ....والاستنجاد بعظماء الماضي كي يصلحوا ما

1 ـ زياد حافظ . الخطاب الديني و التجدد الحضاري في الأمة العربية، مرجع سابق ، ص 43.

نحن فيه ، ومقت شديد وتحقير لإنجازات الغرب ، مما يجعل المحاضر و المستمعين جميعا معلقين بين ماض لا يستطيعون استحضاره وواقع لا يرغبون فيه . وما درى أولئك ان عظماء كل الأمم الغابرة لو بعثوا في زماننا لما استطاعوا أن يفعلوا من خلال استخدام إمكانات زمانهم وأدواته إلا القليل ، ولاقتضت منهم عظمتهم أن يكونوا معاصرين بما تحمله هذه الكلمة من معنى [1].

- يجب التنبه إلى أنه إذا كان فهم الواقع معقدا وعسيرا. فإن فهم الماضي و الوقوف على أسباب وقائعه وأحداثه أشد عسرا وتعقيدا ، وذلك لأننا نحاول استيعابه وتفسيره من خلال روايات كثيرة يشوبها التناقض و النقص ، وبعضها يعاني من التزوير المتعمَّد ، وكثير منها يعاني من نقص كفاءة المؤرخ في الإحاطة بالحدث وفي فهمه .... وذا رجعنا إلى كتب التاريخ الإسلامي وجدنا أن مؤلفيها اتبعوا. في الغالب. ايلوب السرد وسوق الأحداث دون تأمل في مضامينها ودون تعليل لها ودون ترجيح لرواية على أخرى ، وهذا جعل الفائدة من قراءتها قليلة ، بل إن بعض المعلومات الموجودة فيها مضللة وصارفة عن رؤية الحقيقة ... [2]
- إن استدعاء مرحلة، أو حادثة، من الماضي لدرسها وتحليلها - لا يعني بحال أنها بدأت في تاريخ محدد وانتهت بمثله؛ وإنما يشبه عمل الخطيب أو المحاضر عمل عالم الطبيعة الذي يفحص جزءًا صغيرًا من شجرة ضخمة في مجهره، لا لشيء إلا لأن المجهر لا يسع حجم الشجرة كلها؛ أيْ: إنه (يحدِّد) الحقبة، لا لأنها نسبية لها حدود؛ (فالعملية الذهنية) التي يقوم بها لا تتسع للماضي كله، فلا بد له إذًا من انتزاع جزء منه وإخضاعه لعمليات الدرس والتحليل[3].
- " إن التاريخ في مدلوله المعاصر قد اتخذ معاني جديدة تطالب المشتغل بالتاريخ بضرورة تجديد المنهج ، وتجاوز الطريقة التقليدية. و التسلح بجملة من العوامل المنهجية ، كالإحاطة بالتاريخ المعالج إحاطة شمولية ، يستنجد قيها بمختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية كعلم الاجتماع ، والإحصاء والاقتصاد ، وعلم النفس ولا سيما الفلسفة ، كذلك تأتي حتمية إخضاع عملية التاريخ للدراسة الموضوعية ، التحليلية النقدية ، بوصفها مقدمات منهجية لتحقيق الوعي بالذات" [4] .
- "البشر يصنعون أحداث التاريخ عبر مسيرتهم في الكون وتفاعلهم مع الزمان و المكان ، و التاريخ على هذا النحو يحدث مرة واحدة ، وتبقى كل حادثة تاريخية ، أو ظاهرة تاريخية ، أو شخصية تاريخية في محطتها الزمانية وإطارها المكاني بحيث لا يمكن نقلها أو تكرارها أو إعادة إنتاجها بشكل ما " [5]، لذلك لابد من التفريق بين ما هو تاريخ وبين ما هو حاضر نصنعه نحن في الزمان الذي نعيشه ووفق الظروف التي نحياها .

---

1 ـ عبد الكريم بكار . صحوة من أجل الصحوة . ط1، الرياض: مؤسسة الإسلام اليوم ، 2011م ، ص214–215.

2 ـ عبد الكريم بكار . تكوين المفكر . ط1، دمشق : دار وحي القلم ، 2010م ، ص169.

3 ـ عماد عبد السلام رؤوف . رؤية في كتابة التاريخ . منشور في موقع الألوكة الثقافية . http://www.alukah.net/culture/

4 ـ عبد الرزاق قسوم . فلسفة التاريخ ....، ط1، المنصورة : دار الكلمة ، 2005م ، ص 7.

5 ـ قاسم عبده قاسم . قراءة التاريخ ـ تطور الفكر و المنهج ـ ، ط1، الجيزة : عين للدراسات و البحوث الإنسانية والاجتماعية ، 2013م ، ص 7.

المعرفة التاريخية
- طبيعتها وإشكالاتها -

الحاج بن يوسف.
جامعة سيدي بلعباس.

الملخص:

أخذ البحث في التاريخ ومجالاته عدة مقاربات اهتمت بها التيارات التاريخية المعاصرة التي ظهرت بأوروبا وبالخصوص في ألمانيا، ففي البدايات الأولى استُعملت الكتب التاريخية كمصادر لدراسة الماضي، ثم انتقلت لتتبع نشأة وتطور الفكر التاريخي ضمن ما يعرف بالكتابة التاريخية، تتطلب الكتابة التاريخية توافر المادة التاريخية والالتزام بمنهج البحث التاريخي، كما تتحدد نوعية مواضيعها وقيمة مضمونها العلمي انطلاقاً من الإشكالية التي تطرحها ومستوى مؤهلات الباحث العلمي الذي يتعامل معها.

إنّ إعادة تصور الماضي كما وقع عملية متعذرة لطبيعة المعرفة التاريخية التي تتحكم فيها مواصفات الحادثة التاريخية التي ننشدها ونسبيّة الحقيقة التي نبحث عنها ومستوى الموضوعية التي نحاول تلمسها والتعبير عنها.

وهذا ما يدفعنا إلى طرح الإشكالية التالية:

فهل كل ما كتب أو يكتب عن أحداث الماضي هو ما وقع بالفعل، أم هو ما تصوّره المؤرخ من خلال ذاته وظروف زمانه وشروط مكانه؟

وللإحاطة بهذا الموضوع اعتمدنا الخطة الآتية:

- **أولاً:** طبيعة المعرفة التاريخية.
- **ثانياً:** مواصفات الحادثة التاريخية.
- **ثالثاً:** نسبيّة الحقيقة التاريخية.
- **رابعاً:** محدودية الموضوعية التاريخية.
- **خامساً:** التوجهات المفسّرة للتاريخ.

الكلمات المفتاحية: المعرفة التاريخية – الحادثة التاريخية – الحقيقة التاريخية – الموضوعية.

Summary:

The research in history and its fields took several approaches that were concerned with contemporary historical trends that appeared in Europe, especially in Germany. In the early beginnings, historical books were used as sources for the study of the past, then they moved to track the origins and development of historical thought within what is known as historical writing. Historical writing requires the availability of historical material and commitment to a method Historical research, as the quality of its topics and the value of its scientific content are determined by the problem it poses and the qualifications of the scientific researcher who deals with it.

Re-envisioning the past as it took place is an impossible process of the nature of historical knowledge, which is controlled by the characteristics of the historical incident that we seek, the relativity of the truth that we seek and the level of objectivity that we are trying to touch and express.

This is what prompts us to raise the following problem:

Is everything that was written or written about the events of the past what actually happened, or is it what the historian envisioned through himself, the circumstances of his time and the conditions of his place?

To take note of this issue, we have adopted the following plan:

- **First:** the nature of historical knowledge.
- **Second:** Specifications of the historical accident.
- **Third:** The relativity of historical truth.
- **Fourth:** The limited historical objectivity.
- **Fifth:** Trends explaining history.

Key words: historical knowledge - historical incident - historical truth - objectivity.

مقدمة:

إنّ تاريخ المعرفة الإنسانية هو تاريخ الجهد الذي يبذله البشر من أجل إدراك وعي خبراتهم الناتجة من علاقتهم بالطبيعة وببعضهم البعض، من أجل تطوير حياتهم تطويراً يسمح بتنظيم اجتماعهم واقتصادهم وصحتهم، وحل المسائل والألغاز التي تحيط بهم وتواجههم في كل حين (وجيه كوثراني، 2013، صفحة 17)، وعلى هذا فإن الكم الهائل من المعارف العلمية[1] التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياتنا اليومية، هي في حقيقة الأمر ثمرة للفكر العلمي.

يرتكز التفكير العلمي[2] على حصيلة ضخمة من المعلومات والمعارف التي اكتسبها الإنسان عبر تطوره العلمي والحضاري (خالد أحمد، 2012، صفحة 09) على اعتبار أن التفكير يعكس نظرة الإنسان إلى الأشياء وكيفية مواجهته للمشكلات التي تعترضه والسعي لتلبية حاجاته اللامتناهية. ومن ثم يمكن أن نستدّل على مظاهر التفكير من خلال ما ينتجه أو ما يتوصل إليه من علوم ومعارف وفنون.

أولاً: طبيعة المعرفة التاريخية:

إن كثرة التساؤل حول طبيعة المعرفة التاريخية أمراً مشروعاً، فمن أي نوع من المعارف هو التاريخ؟ هل هو ضمن المعارف الميتافيزيقية (الغيبية، الدينية)؟ أم هو فن من الفنون الكتابية، أم هو علم بين العلوم؟ أم هو ضمن الفلسفة؟ وهل يصح أن تكون ثمة معرفة خارج المعارف المذكورة؟

يجيب محسن محمد حسين (محسن محمد حسين، 2012، صفحة 30) عن هذا السؤال بأن التاريخ خارج المعارف المذكورة، فلو كان التاريخ ضمن إحدى تلك المعارف لحُسم الأمر، وانتهى التساؤل الذي أثير منذ أن كتبت حوادث التاريخ بشكل منظم وجعلتهم يتساءلون عن طبيعة تلك الحوادث.

1. **التاريخ والمعتقد الديني:**

إن التاريخ في بداية اهتمام الإنسان كان خاضعاً للمؤثرات الدينية، في وقت كان الدين يفك ألغاز كل شيء، وتفسر ظواهر الطبيعة وأفعال البشر، وكان التاريخ يقع ضمن هذه المعتقدات، وكانت حوادثه التي سُجلت تبدو وكأنها ليست من قبيل جهود الإنسان، بل من أفعال الآلهة (كولنجوود، 1968، صفحة 51).

1- المعرفة العلمية: تقتصر على المعارف المتحصل عليها بتطبيق المناهج العلمية.

2- هو مجموعة من المفاهيم والمصطلحات والرموز والنظريات تقتضي أن يتعلمها الباحث وأن يفكر من خلالها لفهم وتفسير واقعه، واستخدام مناهجها في إنتاج المعرفة. ينظر: (خالد أحمد، 2012، صفحة 16)

وهذا النوع من الأعمال الكتابية التي تشبه مادة التاريخ، أو التاريخ الديني والأساطير قد سيطر على تفكير الشرق الأوسط كله، حتى الوقت الذي ظهر فيه التدوين التاريخي في بلاد الإغريق (كولنجوود، 1968، صفحة 54) على يد هيرودوت (484 – 425 ق م) وتوكيديدس (466 – 395 ق م)، ثم توالى وظهر كُتّاب التاريخ الذين عرضوا أحداث التاريخ عرضاً بعيداً، بدرجة أو بأخرى عن المؤثرات الدينية، فظهر في أوروبا أمثال فُولْتر ومُونْتْسكيُو وجيبُون وغيرهم، ولم تحل الكتابة التاريخية عند المسلمين من مفكرين لامعين أمثال مسكويه (ت 421 هـ / 1030 م) وابن خلدون (ت 808 هـ / 1406 م) والمقريزي (ت 845 هـ / 1442 م) (محسن محمد حسين، 2012، صفحة 32).

من هذا لا يمكن اعتبار المعرفة التاريخية ضمن المعتقد أو المعارف الدينية، بل إن المؤرخين عمدوا منذ أزمان سحيقة إلى إيجاد كيان خاص مستقل، وصارت للتاريخ مفاهيمه وطرائقه وخصوصيته، تختلف عن مفاهيم وطرائق وخصوصية الدين.

2. **التاريخ والآداب:**

يعتمد عرض وتدوين التاريخ على التعبير الكتابي الجذاب، أو أن الذي تصدى لتدوين الأخبار كانوا من رجال العلم وأهل الأساليب الجميلة، كل هذا كان سبب في أن العديد من المعنيين بقضايا التاريخ عدّوه أدباً، بل ثم من المؤرخين من كانوا أدباء أصلاً وكتبوا حوادث التاريخ وكأنهم يروون قصصاً، وفي تراث الأمم نماذج من هؤلاء ففي التاريخ الإسلامي هناك الجاحظ وابن قتيبة الدينوري، والعماد الأصفهاني.

كما أن هناك مؤرخون عالميون صُنِّفوا في عداد المؤرخين الأدباء المبدعين أمثالرانكه (RANKE) وتوينبي (TOYNBEE) ولكن هذه الأمثلة لا تقف دليلاً على أن هذا التاريخ أدب، يقول الدكتور بيوري (BURY) – أستاذ التاريخ الحديث – في محاضراته الافتتاحية بجامعة كمبريدج عام 1903: "أحب أن أذكر لكم بأن التاريخ ليس فرعاً من الأداب" (Bury, 1903, p. 16).

فهناك ثمة هوّة بين الكتابة الفنية (الأدبية البحتة) والكتابة التاريخية، بين الأعمال الإبداعية الفنية التي دونها الأدباء، وبين الأعمال التاريخية الدقيقة التي كتبها مؤرخون أو الباحثون في التاريخ.

إن المؤرخ ليس سوى ناقل أو وسيط أو جسر، فمن المُسَلَّم به أن عمل المؤرخ ينصب على وصف الأحداث التاريخية التي وقعت في أزمنة سالفة، ولم يشاهدها بنفسه، وإذا كان المؤرخ شاهد عيان فإن ما سيكتبه يدخل في نطاق ما يسمى بالكتابة الخبرية أو السيرة الذاتية، وتعتبر كتابتهم عن الأحداث من باب التأمل أو الملاحظة وإبداء الرأي في مسألة من مسائل الساعة، ومن ثم تدخل هذه الكتابات نطاق التاريخ

حيث تصلح للقراءة والتأمل والبحث واستخلاص المادة التاريخية منها في المستقبل (حسن عثمان، 1984، صفحة 61)، إذن ليس في وسع المؤرخ أن يبتدع أحداثاً ويخترع من خياله شخصيات.

وخلاصة القول أن الفنان يطلب الحقيقة على مستوى الوجدان بحسه المرهف وخياله الخلاق، فحقيقته مغايرة للحقيقة التاريخية التي لا علاقة لها بالوجدان والخيال، وعندما ننفي عن التاريخ كونه فناً من الفنون الكتابية، فلا بد أن نعرف ما الذي كان يرمي إليه ابن خلدون عندما أضفى الوصف الفني على التاريخ فاستعماله لكلمتي "الفنون" و "العلوم" استعمال مجازي، لأنه لم يكن قد رسمت الحدود بين هذين الصنفين المعرفيين بعد، وكان الرجل على دراية أن للتاريخ وجهان، وجه ظاهر ووجه باطن "ففي ظاهره لا يزيد على اخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأولى" ثم "في باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع واسبابها عميق، وهذا يعني أنه لم يقصد أن التاريخ فن (ابن خلدون، 1979، صفحة 02).

3. **التاريخ والعلم:** هل التاريخ علم؟

العلم هو المعرفة المنظمة أو المنسقة التي تنشأ عن الملاحظة والدراسة والتجريب، والتي تتم بغرض تحديد طبيعة أو أصول ما تتم دراسته بواسطة التجارب والفروض (Webster, 1960, p. 1622).

ووصف اللورد أكتن (Lord. Acton) العلم بأنه اجتماع طائفة كبيرة من الوقائع المتشابهة بحيث تنشأ عن اجتماعها وحدة عامة على هيئة مبدأ أو قانون يمكننا على وجه اليقين من التنبؤ بحدوث وقائع مشابهة للوقائع المذكورة في ظروف معينة (هرنشو، 1982، صفحة 04).

ومن المنطقي أن كل معرفة تنطبق عليها هذه التعاريف أو ما تشابهها فهم علم، والعكس صحيح.

فمن الممكن أن يغدو التاريخ علماً من حيث أنه مجموعة من المعلومات المنظمة، ويطبق منهجاً علمياً، ويتبع القد النزيه والدقيق.

وكان الفيلسوف البريطاني "كيرو" من القائلين بأن التاريخ "علم"، كما ذهب إلى ذلك أستاذ التاريخ بجامعة كمبريدج "بيوري".

ونجد أن الفلاسفة الطبيعيين، ومعهم علماء، يعترضون على الرأي السالف الذكر، لكون مادة التاريخ تختلف عن مادة العلوم لأنها مادة غير ثابتة ولا قابلة للتحديد، وأنه ليس من الميسور أن نلاحظ وقائع التاريخ بشكل مباشر، وأن الملاحظة والتجربة والفحص أمور غير ممكنة في الدراسة التاريخية، وأن كل واقعة من وقائع التاريخ قائمة بذاتها ومستقلة عن الأخرى، وليس في الإمكان تصور ظروف يتكرر فيها

وقوعها، ولا يمكن التوصل إلى شيء من قبيل التعميمات أو القوانين العامة، وأن عنصر المصادفة يهدم كل تقدير سابق، ولا يمكن الإعلام بالأحداث قبل وقوعها واختبارها، ولهذا فإن إقامة التاريخ على أسس علمية صارمة جهد ضائع يدعو إلى السخرية (هرنشو، 1982، صفحة 02).

ويرى بعض الرجال الأدب أن التاريخ سواء أكان علماً أم لم يكن فهو فن من الفنون، وأن العلم لا يمكن أن يعطينا عن الماضي سوى العظام اليابسة، وأنه لا بد من الاستعانة بالخيال لكي تنشر تلك العظام وتبعث فيها الحياة، ثم هي بحاجة إلى براعة الكاتب حتى تبرز في الثوب اللائق بها (هرنشو، 1982، صفحة 03)، ويرى هرنشو ويتفق معه هنري توماس، أنه على الرغم من أننا لا يمكننا أن نستخلص من دراسة التاريخ قوانين علمية ثابتة على غرار ما هو كائن في العلوم الطبيعية، فإن هذا لا يجوز أن يجرده من صفة العلم (هرنشو، 1982، صفحة 05).

وبهذا فإن التاريخ علم، ولكنه ليس علم تجربة واختبار بل علم نقد وتحقيق، وأن أقرب العلوم الطبيعية شبهاً به هو علم دراسة طبقات الأرض (الجيولوجيا).

ومصدر ضعف الجانب العلم في الدراسات التاريخية يعود إلى الأحكام التي يصدرها المؤرخ على قيم الوقائع والأشخاص أكثر من كونه يكتفي بوصف تلك الوقائع والأشخاص.

ويستحسن أن نذكر الاعتبارات التي يعتمد عليها دعاة علمية التاريخ ويعتبرون أن البحث التاريخي له بعض صفات البحث العلمي، فيعتمدون على المبررات التالية:

* يحدد باحث التاريخ مشكلة معينة للبحث، ويضع الفروض والأسئلة التي تتطلب الإجابة عليها، وهو يجمع ويحلل البيانات والمعلومات الأولية، وهو يختبر الفرض حتى يثبت اتفاقه أو عدم اتفاقه مع الدليل، وهو يضع أخيراً التعميمات والنتائج.

* على الرغم من أن عالم التاريخ قد لا يكون شهد حادثاً معيناً، ومع ذلك فلديه شهادة العديد من الشهود الذين حضروا الحدث ورأوه من مختلف جوانبه.

* عندما يقر عالم التاريخ نتائجه فإنه يستخدم قواعد الاحتمالات المشابهة التي يستخدمها علماء الطبيعة.

* على الرغم من أن عالم التاريخ لا يستطيع التحكم في المتغيرات بصفة مباشرة، فإن هذا العيب ليس قاصراً على المنهج التاريخي، بل هو يُميز البحوث السلوكية كلها (مثل علم الاجتماع وعلم السياسة وعلم النفس والاقتصاد وغيرها (أحمد بدر، 1978، صفحة 238).

ويذهب محسن محمد حسن إلى أن فروق بين طبيعة المعرفة التاريخية وبين طبيعة العلوم البحتة حالت دون ضم التاريخ إلى العلوم، نذكر منها:

* أن أحد أغراض العلم هو التنبؤ، إلاّ أن الباحث التاريخي لا يستطيع أن يعمم على أساس الأحداث السابقة.

* الموضوعية في البحث التاريخي أمر مشكوك فيه.

* الباحث التاريخي لا يستطيع أن يتحكم في ظروف الملاحظة، ولا يستطيع تناول المتغيرات ذات الأهمية (أحمد بدر، 1978، صفحة 237).

* إن الوقائع التاريخية يرتبط حدوثها بعنصري الزمان والمكان، فإن سلبنا من الوقائع هذين العنصرين فقدت صفتها التاريخية ولا يمكن الإفادة منها إلاّ في حدود ضيقة.

وبناءً على هذه الملاحظات فإن القول بعلمية التاريخ لا تفترض تماثلاً كاملاً في المنهج والتعميم مع العلوم الطبيعية كي يبرز إسناد صفة العلم إلى البحث التاريخي، فالتاريخ ليس علم تجربة واختبار ومعاينة، كما هي حقيقة العلوم الطبيعية، إنه وكما يقول بعض المؤرخين (وجيه كوثراني، 2013، صفحة 392)، (شوقي الجمل، 1997، صفحة 73) علم نقد وتحقيق لا يهدف اكتشاف قوانين ثابتة، وإنما ترجيح احتمالات في عملية السعي للاقتراب من الحقيقة التاريخية.

وعليه فإنه يمكن الاستنتاج بأن التاريخ من حيث طرائقه هو علم نقد لا علم ملاحظة وتجربة، وأما من حيث تعميماته، فإن هذه التعميمات لاتصالها بعالم العقل والشعور والإرادة الإنسانية لا بعالم المادة فحسب "لا يمكن أن يكون لها من الدقة والعموم ما يدل عليه قانون".

4. **التاريخ والفلسفة:**

عرفت الفلسفة بأنها المعرفة التي تقدم نفسها على أنها نشاط إنساني، وسيلة وهدف الإنسان (فؤاد زكريا، 1985، صفحة 43).

إن الفلسفة وليدة النظر العقلي الناقد والفكر الحر الطليق، فهي تتوخى الدقة في التعبير، والوضوح في التفسير، والصدق في الأحكام، باتباع منهج الاستقراء والاستدلال معاً، وبهذا الاعتبار صارت المعرفة الفلسفة قرنية المعرفة العلمية التي تتميز بالتجرد والتعميم، وتعتمد الاستقصاء والاستنباط (عرفان عبد الحميد، 1986، الصفحات 39-40).

ولطبيعة التاريخ الفريدة كونها لا تشبه بقية المعارف، صار الباحث يواجه التاريخ عبر مسألتين أولهما: مسألة المنهج وثانيهما: مسألة التفسير، يقول توينبي: "أول أساليب دراسة التاريخ تمحيص الحقائق وتدوينها، والثاني توضيح هذه الحقائق بقوانين عامة يتوصل إليها بالبحث في تلك الحقائق بحثاً مقارناً (توينبي، 1955، صفحة 63)، لهذا نلاحظ أن المنهج هو الذي يجعل دراسة التاريخ تجري وفق أصول علمية متفق عليها، أي أن التاريخ يصبح علماً فيما يتعلق بقدرة الباحث على تقصّي الحقائق، وتخطّي الانحيازات، وتجاوز النظرة المسبّقة الجاهزة.

أما مسألة التفسير فإن المراقب لا يمكن في تشخيصه لطبيعة المعرفة التاريخية سوى أن يسلّم أمر التاريخ إلى الفلسفة، ففيها يمكن أن يفهم قانونه، ما دام الفلاسفة هم الذين يحبون أن يروا الحقيقة ويتحرّون عنها في كل شيء، فينبغي ألاّ يكتفي المؤرخ بمؤهلاته الكتابية المنهجية، بل يتحتّم عليه أن يناقش الأسس العلمية التي يستند إليها تفسيره أي لا يجب عليه ألاّ يكون مؤرخاً فقط بل فيلسوفاً أيضاً (كولنجوود، 1968، صفحة 41).

إذن ففلسفة التاريخ صارت بمثابة القانون أو العلم الذي يصبح التاريخ موضوعياً عن طريق التفسير العلمي الذي هو نظريته، إلاّ أن المشكلة هي أن التاريخ ليست له نظرية واحدة، أو معادلة واحدة لا تقبل الدحض، على غرار ما هو موجود في العلوم البحتة، بل له نظريات وقوانين ومعادلات تتعايش الواحدة مع الأخرى، عكس ما هو معمول به في العلوم الصرفة حيث النظرية الجديدة تنسف النظرية السابقة وتحل محلّها، ولا تتعايش نظريتان مختلفتان معاً.

وأخيراً من الممكن أن يستعمل مصطلح فلسفة التاريخ مرادفاً على وجه التقريب للمنهج التاريخي أي العملية الفعلية التي يسلك المؤرخ في شعابها (حسين مؤنس، 1984، صفحة 38).

ونلاحظ مما سبق أن قضية طبيعة المعرفة التاريخية لم تحسم، رغم أننا وجدنا في التاريخ نفحات من الدين، وشذرات من الأدب والفن الكتابي (أو الكتابة الفنية)، وبعدها وجدنا الاستعداد بكتابته بصياغة لا تختلف عن صياغة النظريات العلمية، إضافة إلى تفسير أحداثه تفسيراً علمياً فيما يسمى بفلسفة التاريخ بتنظير تلك الأحداث.

ابن خلدون والمعرفة التاريخية:

ساهم ابن خلدون في تطور النظرة إلى المعرفة التاريخية بوصفها معرفة موضوعها "العمران البشري (الاجتماع البشري)، لها طرائقها الخاصة المستقلة عن علم الحديث والشريعة (وجيه كوثراني، 2013، صفحة 96)، يقول: "هذا العلم مستقل بنفسه، فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني،

، وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى، وهذا شأن كل علم من العلوم وضعياً كان أم عقلياً (عبد الرحمن بن خلدون، د ت، صفحة 38)، هذا التميز لموضوع التاريخ ومنهجه عن السياسة والخطابة وأدب السيرة والحديث والفقه، هو حجر الزاوية في القفزة المنهجية التي حققها ابن خلدون، داخل تطور ممارسة الكتابة التاريخية العربية.

فنقد الأخبار في مقدمته يتركز أساساً على مبدأ مطابقة الخبر لأحوال الاجتماع البشري، كما يتجاوز موضوع الخبر في التاريخ لتلك الصور التي شهدتها الكتابة التاريخية العربية، كالسيرة والمغازي والتراجم، ليتناول أحوال الاجتماع البشري وما يعرض لهذه الأحوال من تبدلات وتحوّلات على مستوى الملك والتغلُّبات (السياسة والدولة)، وعلى مستوى الصنائع والعلوم (الحضارة والأفكار والمعارف)، وعلى مستوى انتحال المعاش (الاقتصاد والمجتمع)، وهكذا نلاحظ أنه وسّع حقل الموضوع إلى شتى جوانب الحياة البشرية.

إنّ التجاوز في حقل موضوع التاريخ الذي ينشئه ابن خلدون هو نوع من إعادة تركيب لمعطيات حقلية من حضن العلوم التي ولدت في حضن الحضارة الإسلامية نفسها ونذكر من بين هذه المعطيات الحقلية:

- حقل الرحلات والجغرافيا الذي أدمج بالخبر التاريخي.
- حقل الفقه السياسي الذي تجلّى في أدب الأحكام السلطانية وحقول دراسة الولاية والوزارة والقضاء، وأدب الدنيا والدين.
- كتب الخراج والمال والتجارة والكسب والحسبة والخطط.
- كتب السياسة وتواريخ الأمم.
- تواريخ الثقافة والفكر والمذاهب والفرق (وجيه كوثراني، 2013، صفحة 99).

يمكن أن نستنتج بعد كل هذه الأمثلة أن إعادة تركيب هذه المعارف المبثوثة في المصنفات وإدخالها في صيغة معرفة جديدة لتطور أحوال العمران البشري هي في جوهر استقلال موضوع التاريخ عن الموضوعات التي حملتها اهتمامات حقلية كثيرة في مجال المعرفة.

هذه الحقول المتفرّقة استجمعتها تجربة المعرفة التاريخية عند ابن خلدون لتأمين عملية التجاوز المعرفي للحالة السابقة.

ثانياً: مواصفات الحادثة التاريخية:

تتميّز الحادثة التاريخية بكونها فعلاً منفرداً لا يقبل المعاينة من طرف الباحث، فهي ظاهرة فردية تحدث مرة واحدة في زمانها ومكانها وظروفها، لا تتكرر ولا تعيد نفسها ولا تخضع للتجربة أو الملاحظة المباشرة، فكل ما نعرفه عنها هو مصدر غير مباشر وغير كامل نستخلصه من بقايا آثار مادية أو سجلات مكتوبة أو روايات شفوية، غالباً ما تكون عرضة للتلف أو الضياع أو التزوير، بحيث يتعذر معها تطبيق القياس أو التعداد أو التعميم، فكل ما نملكه إزّاءها هو الملاحظة غير المباشرة، ولم يتعد مستوى التعميمات والفرضيات خاصة فيما تتعلق بملء الفجوات واستكمال الجوانب الناقصة في معرفتنا للأحداث التاريخية (سعيدوني، نظرة في إشكالية المعرفة التاريخية، 2008).

إن الحادثة التاريخية هي في حد ذاتها فردية ذات طابع خاص جرت في زمن معين ومحدد وعبّرت عن تصرفات أناس معينين، مما يتعذر علينا تعميمها، مما يتوجب دراستها في تفردها وطابعها الخاص، فضلاً عن أنها – أيضاً – حالة لا تتكرر لأن الزمن الماضي لا يعود والذين شاركوا فيها لا يرجعون، ومن ثمة فإن التجربة التاريخية غير ممكنة، وحتى أن الالتجاء إلى الإحصاء أو تلمس أوجه التشابه أو التواتر بين الحوادث كما هو معلوم به في علم النفس وعلم الاجتماع غير ممكن أيضاً، هذا دون أن ننسى أن الحادثة التاريخية رغم تحديدها بزمن ومكان وشروط إنسانية معينة فإن أسبابها البعيدة وبداياتها لا يمكن أن نتبينها بكل وضوح ودقة، كما لا نستطيع أن نحدد نتائجها اللاحقة، وأحسن مثال على ذلك انتشار المسيحية وظهور الإسلام (سعيدوني ن.، 2000، الصفحات 30-31).

إن الحادثة التاريخية في نظر العلم ظاهرة موضوعية لا نستطيع دراستها إلا إذا بعثت كما هي على حقيقتها وهذا شيء مستحيل بالنسبة إلى ما مضى من الأحداث، وبالتالي فإن أغراض الدراسة التاريخية هو بعث الماضي في صورته الحقيقية كما نتصوره كما وقع بالفعل، أي البحث عن الحقيقة الممكنة وليس كل الحقيقة، وهو ما يجعل كل ما نتوصل إليه من دقائق تاريخية تصوراً شخصياً للماضي لأن الحادث مهما خضع لمواصفات المنهجية وتقيّد بطرقها لا يمكن إعادته كما وقع وإنما نعيد تصوره من خلال فهمنا للماضي انطلاقاً من ثقافتنا وميولنا وموقفنا من الأحداث (سعيدوني ن.، 2000، صفحة 30).

ومادام تحديد مواصفات الحادثة التاريخية شيئًا متعذرًا لطبيعة الحادثة نفسها، فإنه يتوجب علينا في تحديدنا للنص التاريخي أن نأخذ بعين الاعتبار أبعاد «الحركة التاريخية» حتى لا تتحول معالجتنا للنص التاريخي إلى عرض قصصي لا يأخذ في الاعتبار تفاعل الإنسان مع بيئته واستجابته لحاجاته وتجاوبه مع متطلبات عصره، وحتى نبعد أيضًا عن التاريخ صفة الثبات والجمود التي تجعل من الأحداث التاريخية مجرد منظر لصورة ساكنة أو مشهد جامد (سعيدوني، نظرة في إشكالية المعرفة التاريخية، 2008).

فالفعل الإنساني بصفته نبضًا حيًا لسلوك الأفراد وحياة الشعوب في تفاعلهم مع كل ماحولهم من مظاهر وما يجد من ظروف محيطة، يتحقق من خلال «جدلية الحادثة التاريخي» التي هي حصيلة تفاعل ثلاثة عناصر هي:

- الإنسان: صانع الحدث والمؤثر فيه بسلوكه ومواقفه سواء كانت بدائية أو متطورة، سلبية أم إيجابية.
- البيئة أو الوسط: وهو الأرضية التي يتحقق عليها الفعل التاريخي ويتأثر بشروطها ومواصفاتها.
- الزمان: وهو الحيز الذي تتحقق فيه الحركية التاريخية وتخضع أثناءه للتغيير والتحول (سعيدوني، نظرة في إشكالية المعرفة التاريخية، 2008).

وهذا ما جعل التاريخ في أساسه علمًا متزامنًا إن لم يكن هو الزمن في حد ذاته كما هو الحال عند كتاب الحوليات ومسجلي الأخبار.

ثالثاً: نسبية الحقيقة التاريخية:

تتحكم في الحقيقة التاريخية طبيعة الحادثة التاريخية التي لا تكرر نفسها ولا يمكن التعرف عليها إلا من خلال ما يصلنا من بقايا مادية أو تسجيلات مكتوبة أو روايات شفوية، وهي على الرغم مما تتصف به من أصالة ومعاصرة للأحداث، ومع إخضاعها للنقد والتمحيص، تظل في نظرنا عاجزة عن تصوير الحقيقة التاريخية بجميع جوانبها وأبعادها ودلالاتها، وهذا ما يجعل الحقيقة التاريخية الكاملة الشاملة متعذرة تعذر إعادة الحياة للأحداث التي وقعت في الماضي. وتصبح معه الإحاطة بجميع أبعاد المعرفة التاريخية والتعرف على مختلف أسبابها وظروفها ومظاهرها وجزئياتها شيئًا جزئيًا وأمرًا نسبيًا (سعيدوني، نظرة في إشكالية المعرفة التاريخية، 2008).

فعلى الرغم من سعي المنهج التاريخي لتلمس دقائق الحادثة التاريخية، إلا ن هناك فرقًا بين الأعمال والمنجزات التي وقعت في الماضي وبين رواية تلك الأعمال والمنجزات، وهذا ما يجعل الحادثة التاريخية ومن خلال أحداث الماضي لا توجد إلا من خلال الشكل الذي تصور به، أي في الصورة التي أعاد تشكيلها المؤرخ لأحداث التاريخ. وهذا ما يتوجب معه الإقرار بأن كل ما كتب أو يكتب عن أحداث الماضي هو ليس ما وقع بالفعل وإنما هو ما تصوره المؤرخ من خلال ذاته وظروف زمانه وشروط مكانه (جوتشلك، 1966، صفحة 163).

وبذلك تظل الحقيقة التاريخية أمرًا مستحيل التحقيق، ومقاربتنا للماضي نسبية تتحكم فيها المصادر المتوافرة والمنهج المعتمد في معالجتها.

إن قصارى جهدنا في مقاربتنا للحقيقة التاريخية هو محاولة الاقتراب منها بالبحث عن المزيد من مصادرها ومظانها وإخضاع مادتها لمنهج البحث التاريخي القائم على النقد والتمحيص مع الحرص على تحري جوانب الصحة فيها واتخاذ جميع الاحتياطات الموضوعية لتكوين فكرة عنها. وهذا ما يسمح لنا بالقول إن ما نعرفه عن طريق الوثائق ليس هو ما حدث بالفعل بل هو قريب مما حدث بالفعل، وأن ما وصل إلينا هو شبيه جدًا بما وقع فعلاً، وأن على المؤرخ في هذه الحالة أن يقرر رجحان صحة الحدث أكثر من تقريره للحقيقة، فعليه أن يميز بين الحقائق التاريخية العامة العرضية والحقائق الثابتة التي لها صفة الديمومة وكان لها أبرز الأثر على التطورات التي أتت بعدها (جوتشلك، 1966، صفحة 164).

وما دامت معطيات الحقيقة التاريخية هكذا فإنه لا يحسن بنا أن نجزم بأن ما نكتبه من نصوص أو نتوصل إليه من معلومات تاريخية يعكس أحداثًا تاريخية ثابتة وصحيحة مادامت المعرفة الكاملة في التاريخ غير موجودة، بل هي نسبية ومتغيرة بتغير وسائل البحث والتنقيب، بل يتوجب علينا والحالة هذه أن نسلم بالفرق بين العلم التجريبي الذي يصل في الحقيقة إلى درجة يقينية، والعلم القائم على الملاحظة كما هو الشأن في التاريخ حيث الحقيقة التي يسجلها أقل بكثير من درجة اليقين التي يتوصل إليها علماء الطبيعة، لأن الفرق بينهما - كما عبر عن ذلك كروتشه - كالفرق بين الواقع والممكن (سعيدوني، نظرة في إشكالية المعرفة التاريخية، 2008).

في حين هناك من يرى أنه ما دام المؤرخ يسعى ككل العلماء في استجلاء الحقيقة، ولا يترتب على استحالة أن تكون الحقيقة نسبية كونها ليست حقيقة حالة استجلائها، لأن الحقيقة في كل العلوم مؤقتة غير مطلقة. ألم تتغير العلوم الرياضية عبر العصور؟ وقد يكون ذلك من معاني قول المؤرخ الفرنسي "مارك بلوك" عن التاريخ أنه علم الإنسان بالدرجة الأولى. ذلك أن ما يأتي به من الحقائق لا يمكن أن يكون مطلقاً دائم الصحّة، لا من جهة ميدانه الذي هو الماضي البائد، ولا من جهة المنهجية التي هي منهجية العلوم الاجتماعية (بوطالب، 2000، الصفحات 99-100).

لذا نجد المؤرخ الفرنسي بول فين يصرح: "إن المؤرخين يروون أفعال حقيقية أنجزها الإنسان(Veyne Paul , 1971, p. 10)، لكن تلك الأفعال التي يسميها المؤرخون وقائع لا يقف عليها المؤرخ بأي وجه من الوجوه لا مباشرة ولا بصفة كلية، إنما عليها جزئياً وجانبياً من خلال الوثائق والشهادات، يعني من خلال بعض الآثار (Veyne Paul , 1971, p. 134)، بيد أن التاريخ مبني على بعض الحقائق، شأنه شأن

العلوم البحتة"، وكلاهما مؤقت على اختلاف في الأسلوب، فالعلوم البحتة غير منتهية لأنها تعمل بتراكم النتائج أبداً، والتاريخ غير منته لأنه ما يجمع من الجموع قابل للمراجعة من جراء الخطأ والنسيان (Veyne Paul , 1971, p. 310).

وبناءً على الملاحظات السابقة نرى أن الحقيقة التاريخية التي يطمح المؤرخ إلى الوصول إليها ليست بأي حال من الأحوال حقيقة مطلقة وإنما هي نسبية.

: محدودية الموضوعية التاريخية:

الموضوعية ركن أساسي في العلوم الإنسانية والتجريبية وهي طريق لتمحيص الروايات التاريخية، وتعني التجرُّد من العاطفة والابتعاد عن الذاتية والتخلّي عن التحيُّز والأهواء، ولكن هل من السهل على المؤرخ أن يتجرّد من عاطفته في كتاباته؟ وإلى أي مدى يمكن أن يتحلّى بالموضوعية أثناء تدوينه للحادثة التاريخية؟

يقول جوتشلك: "يمكن الوصول إلى المعرفة المجرّدة الصادقة المستقلة عن الغرض الذاتي عن طريق تحرٍ حيادي وقانوني مجرد للتصورات العقلية والأساليب والأفكار والفروض التي هي بعيدة قليلاً أو كثيراً عن الواقع الموضوعي، ولا داعي أن نؤكد أن الحيادية "الموضوعية" يصعب التوصل إليها في مثل هذه الحقائق، ومن هنا فإن الاستنتاجات المبنية عليها يمكن أن تكون عرضة للمناقشات والنقد (جوتشلك، 1966، صفحة 56).

ولذلك فالتحليل الموضوعي مطلق في العلوم الطبيعية ولا يمكن أن يعترض سبيله إلاّ حواجز طارئة عرضية، وهو نسبي في العلوم الاجتماعية كما يعرقل سيره من الحواجز الناجمة عن جوهر مادته (بوطالب، 2000، صفحة 97) وهذا ما يجعل التاريخ وإن كان يستمد خطوطه العامة من أحداث وقعت بالفعل، يتم من خلال ذات المؤرخ أراد ذلك أم لم يرد، الأمر الذي يجعل الموضوعية المطلقة في التاريخ بدورها متعذرة إن لم تكن مستحيلة (سعيدوني ن.، 2000، صفحة 30).

مادامت الأحداث التاريخية تتعلق بماضي الإنسان وأحوال البشر يرصدها المؤرخ ويسجلها من خلال ذاته وثقافته، فإنه لا يمكن الوصول فيما نكتبه إلى الموضوعية المجردة، فهي شيء متعذر مادامت الموضوعية في حد ذاتها محكومة بالشروط الإنسانية التي ترفض تجريد العقل من الواقع الذي يعيشه وتحويله إلى ظواهر مادية وتصرفات آلية لا تأخذ في الاعتبار المواقف الشخصية والروابط الروحية والصلات الاجتماعية. وإنه من سخف القول الادعاء بأنه في إمكاننا تحقيق الموضوعية المجردة والالتزام

بالحدود القصوى للأمانة في عرض الأحداث والنزاهة في الحكم عليها والتجرد من الميول والحياد والإنصاف في تقييم نتائجها.

ومادامت الموضوعية في التاريخ نسبية فإن على الباحث أن يحاول قدر المستطاع أخذها بعين الاعتبار، باحترام المنهج التاريخي في كتابة النص التاريخي وتحليل الأحداث المتعلقة به. على أن هذا المسعى في الواقع هو أقرب إلى الأمنية منه إلى الواقع لأنه لا يمكن إلغاء شخصيتنا والتنكر لظروفنا وقيمنا الثقافية (سعيدوني، نظرة في إشكالية المعرفة التاريخية، 2008).

وإذا كانت الموضوعية تعني الخروج الذاتي من الموضوع والحياد المطلق اتجاهه والنظر إليه من خارج فإن هذا النوع من الموضوعية غير ممكن التطبيق في التاريخ لأن أساس النظر إليه وإنما هو من داخلن ومن خلال الذات (شاكر، 1974، صفحة 198).

فالموضوعية تتطلب منّا أن نكون على استعداد لأن نستبعد – على أساس الشواهد – أحب الفرضيات إلينا، وعليه ينبغي على المؤرخ أن يميّز العنصر الذاتي في البحث الموضوعي ليحول دون تشويه الموضوع بتحيُّزه (عبد العليم عبد الرحمن خضر، 1995، صفحة 115).

إن موقفنا من الأحداث بالضرورة متأثر بل ملون بالنظرة الشخصية، فمن المسلم به أن أي إنسان لا يستطيع الحكم على أشخاص أو نظم أو سياسات أو إنجازات إلا بمقدار رأيه هو وإلى حد ما بمقدار آراء الآخرين فيها، وإن مسألة الأخذ بالعلية أو السببية. والدوافع في تغير الأحداث هي مسألة اقتناع داخلي أكثر من كونها استنتاجًا منطقيًا قائمًا على الدليل المباشر المسلم به.

إن الميول الشخصية وملابسات وظروف الحادثة التاريخية وتعدد وتشابك وتنوع أسبابها ونتائجها تجعل قيمة النص التاريخي مستمدة من قيمة صاحبه وموضوعيته محددة بمؤهلاته وميوله ومواقفه، وهذا ما يوجب على كاتب النص التاريخي أن يسعى قدر المستطاع الأخذ بقواعد المنهج التاريخي كما يتوجب عليه الحذر من الغايات التربوية والأخلاقية في التاريخ، وعدم إخضاع المعلومات التاريخية لهدف أيديولوجي أو غرض سياسي، لأن عرض الأحداث وتحليلها في معزل عن الميول والضغوط والأوامر والإيحاءات هو أفضل سبيل للاقتراب من الموضوعية التي ننشدها والحياد والتجرد اللذين نسعى لتحقيقهما (سعيدوني، نظرة في إشكالية المعرفة التاريخية، 2008).

خامساً: التوجهات المفسرة للتاريخ:

إن المعلومات التاريخية تحمل بالضرورة دلالات وقيمًا وتعبر عن مواقف وتوجهات فكرية ومفاهيم فلسفية، مما أوجد رابطة قوية بين المضمون التاريخي والمفهوم الفلسفي، بحيث أصبح من المتعذر على الباحث في التاريخ أن يتعرف على وجهة الأحداث والدلالات التي تعبر عنها من دون الأخذ في الاعتبار المنظور الفلسفي المتعلق بتطور تلك الأحداث، وبالمقابل يتعذر على المشتغل بالفلسفة تحليل الأفكار وتعليل أطروحاته من دون التعرف على خلفيتها التاريخية.

وفي هذا التوجه يصبح لزامًا على المتعامل مع الحدث التاريخي الأخذ بمبدأ السببية أو العلية في تفسيره للأحداث، كما يتطلب منه التعرف على التوجهات والأفكار المفسرة للتاريخ.

وهذه الآراء والتوجهات يمكن إجمالها فيما يلي:

السببية أو العلية:

عملية التأريخ عملية ليست في الواقع شيئاً آخر سوى تفسير المجهول بالمعلوم وتعليل الحدث بما يوازيه من الأسباب وبما يمكن أن يكون منطقياً دافعاً من دوافعه وعنصراً من مكوناته (شاكر م.، 1974، صفحة 201).

تهتم السببية بتفسير أحداث الماضي وتعليلها وتحديد العوامل التي تسببت فيها، منها ما يأخذ بالسبب الواحد على حساب العوامل الأخرى، ومنها ما يرجع إلى العوامل المتعددة.

ولعل أهم الاتجاهات التي تأخذ بالنظرة الواحدية في تفسير أحداث التاريخ دعاة الفكرة القائلة إن التاريخ هو من صنع البطل أو أنه تعبير عن إرادة الجماعة أو حصيلة تطور وسائل الإنتاج.

الاتجاه البطولي للتاريخ:

أَوْلَت هذه النظرية اهتمامها لسير الأفراد الذين ساعدوا على تحويل مجرى التاريخ، وأهملت الدور الذي تلعبه الشعوب في صنع الأحداث التاريخية (أنور محمود زناتي، 2007، صفحة 89).

فالقائلون بفعل البطل في التاريخ أو بإرادة الأمة في دفع عجلة التطور كان تفسيرهم للتاريخ استجابة للتوجهات المثالية والميول الرومانسية والعواطف القومية في أوربا في القرن التاسع عشر. فقد ساد الاعتقاد بأن القوة الدافعة التي تتسبب في تطور التاريخ تعبر عن نفسها في دور البطل في صنع الأحداث، سواء كان هذا البطل كاهنًا أو ملكًا أو زعيمًا أو قائدًا أو مفكرًا أو مخترعًا أو غيره من الأشخاص المميزين، كما ذهب إلى ذلك الكاتب الإنجليزي توماس كارلايل (1795 - 1881) (Thomas Carlyle). كما أن هذه القوة الدافعة

للتاريخ تعبر عن نفسها أيضًا من خلال عمل الجماعة وإرادة الأمة حسبما حاول المؤرخ الفرنسي جول ميشلي (Jules Michilit) (1798 - 1874).

الاتجاه المادي:

أما القائلون بكون النشاط البشري المتحكم في سير التاريخ يسيره ويوجهه تطور قرى الإنتاج وما ينتج عنه من علاقات اقتصادية، فقد تبنوا حرفيًا مفهوم «المادية التاريخية في تفسير التاريخ»، وهو ما دعا إليه كارل ماركس (Karl Marx) (1818 - 1883) في كتاباته (مهران، 1992، صفحة 46).

- أما الصنف الثاني من السببية التاريخية فيأخذ بالعوامل المتعددة في تفسير التاريخ على اعتبار أن أحداث التاريخ تتضافر عدة عوامل على تحقيقها من حيث أسبابها وتفاعلها ونتائجها، مما يتطلب تلمس مختلف الأسباب والتعرف على ملابسات الأحداث انطلاقًا من ظروف العصر وشروط البيئة وقدرات الفرد ووجهات الجماعة، بحيث لا يهمل أي سبب ولا يتجاوز أي عامل سواء كان اقتصاديًا أم فكريًا أم جغرافيًا أم روحيًا أو غيره من العوامل التي لها تأثير في تفسير الحادثة التاريخية سواء في مظاهرها أو نتائجها (سعيدوني، نظرة في إشكالية المعرفة التاريخية، 2008).

إن النظرة المتعددة العوامل في تفسير أحداث التاريخ أصبحت تمثل الاتجاه السائد في قراءة التاريخ وتحليل أحداثه، لكونها تتماشى والتوجه الوضعي في دراسة التاريخ الذي يخضع التاريخ لشروط البحث العلمي، ولا يأخذ في الاعتبار سوى الأحداث التي تثبتها الوثائق الخاضعة للتحليل والنقد، بعيدًا عن التجريد العقلي والمفاهيم الفلسفية التي تميزت بها المدارس التاريخية الملتزمة في أوربا في القرن التاسع عشر (سعيدوني، نظرة في إشكالية المعرفة التاريخية، 2008).

الاتجاه الوضعي:

يرفض هذا الاتجاه أي ارتباط بين البحث التاريخي والتفسير الفلسفي لمعالجة التاريخ، ويسعى إلى تخليص الوثائق التاريخية من كل زيف أو فهم خاطئ، بلوره ووضع قواعده مؤرخون فرنسيون وألمان اشتهر منهم خاصة كل من فون رانكه (L.Von Ranke) (1795 - 1886) وفوستال دو كولانج (Fustil de Coulanges) (1830 - 1889) (سعيدوني، نظرة في إشكالية المعرفة التاريخية، 2008).

الاتجاه الديني:

هذا المفهوم قديم قدم البشرية (الدسوقي، 1999، صفحة 124).

نظرية التفسير الديني أو اللاّهوتي (مذهب العناية أو المشيئة الإلهية) وتقوم على أساس الاعتقاد بأن هناك قوى محركة لجميع الأحداث والأعمال البشرية.

يأخذ هذا التجاه بمفهوم "العناية الإلهية" المتحكمة في مصير الإنسان والموجهة لشؤون البشر، حسبما ذهب إليه القديس أوغسطين (Saint Augustin) في كتابه "مدينة الله"، وقد ظلّ العقل الأوروبي منشدّاً إلى فكرة العناية الإلهية طيلة العصور الوسطى، كما حاول رجل الدين الفرنسي جاك بوسويه (J. Bossuet) (1627 – 1704 م) الدعوة لها في كتاباته التاريخية(سعيدوني، نظرة في إشكالية المعرفة التاريخية، 2008)، ولا يؤمن هذا الاتجاه بالمصادفة، لأنها تعني الفوضى والعبث خارج التخطيط الإلهي المحكم.

ولعل أهم ما يعيب هذا التفسير هو أنه يتجاهل دور البشر في صنع التاريخ، كما أن مصادره الأساسية هي مصادر محدودة (النصوص المقدسة)، بالإضافة إلى عدم إمكانية النقد والتحليل فيه، واستمرت تلك النزعة اللاّهوتية في التفسير حتى أواخر القرن الثامن عشر (أنور محمود زناتي، 2007، صفحة 195).

الاتجاه التحرري:

يدعو في دراسته للتاريخ إلى التحرر من قيود التقاليد ويؤمن بسيادة العقل ويثق في قدرات الإنسان على صياغة مستقبله لتحقيق التقدم والوصول إلى الكمال في حياته. وقد مهّدت أفكار هوبز ولوك حول المجتمع الطبيعي لهذا التوجه الذي أصبح تيارًا مؤثرًا في الثقافة الأوربية في القرن الثامن عشر (عصر التنوير) بفضل جهود كل من فولتير (1694 - 1778) (Voltaire) وديدرو (1713 - 1784) (Diderot) وكوندورسي (1743 - 1974) (Condorcet) ومونتيسكيو (1689 - 1755) (Montesqieu) (سعيدوني، نظرة في إشكالية المعرفة التاريخية، 2008).

الاتجاه العقلي:

يعتمد على التحليل النظري ويحاول عقلنة حركية التاريخ بتجاوز البحث في مظاهر الأحداث إلى محاولة فهم دوافعها الكامنة. أخذ به الفلاسفة المثاليون بألمانيا خاصة وفي مقدمتهم فيخته (J.Fichte) (1762 - 1814)) وشوبنهاور (1788 - 1860) (Schopengauer) وهيجل (1770 - 1831) (Hegel).

يركز في دراسته لأحداث التاريخ على تطور وتعاقب الحضارات من حيث خصائصه والأدوار التي تمر بها، وقد كان في طليعة من أخذ بهذا التوجه المؤرخ العربي عبدالرحمن بن خلدون الذي اعتبر بأن الشعوب من خلال أنظمة الحكم التي تعرفها تعيش دورة تاريخية مغلقة أساسها بفعل العصبية.

وأخذ بهذا التوجه في أوربا المفكر الإيطالي فيكو (1744 - 1686) (J.B.Vico) والمؤرخ البريطاني أرنولد توينبي (1889 - 1975) (سعيدوني، نظرة في إشكالية المعرفة التاريخية، 2008).

التفسير الإسلامي:

يعد التفسير العلمي القائم على البرهان والدليل ويؤكد على العبرة والدرس من أحداث التاريخ الذي يسير وفق منهج وناموس إلهي عميق مع التأكيد على حرية الإنسان وإرادته التي تجعل منه مسؤولاً عن جميع أفعاله في الدنيا والآخرة (أنور محمود زناتي، 2007، صفحة 94).

ومن هنا نلاحظ تباين الاتجاهات في تفسير التاريخ، ففي العصر الوسيط سيطرت الكنيسة وساد الاتجاه الديني، وانصبّ التفسير على أثر المشيئة الإلهية، وفي عصر النهضة بدأ التأكيد في الغرب ينصبّ على دور البشرية وعلى مسؤوليتهم في أحداث التاريخ، وفي عصر التنوير ظهرت النزعة العقلية وسادت فكرة التطور والتقدم البشري.

ونتيجة للتقدم العلمي، ظهر الاتجاه إلى ربط التاريخ بالعلم، وظهرت المدرسة الإيجابية في القرن التاسع عشر، كما اتخذ التاريخ لدى البعض وسيلة لأحداث ثورة أو تبديل في أوروبا (كما فعلت الماركسية والنازية)، فقد كان لدى الآخرين (حتى القرن التاسع عشر) وسيلة للمحافظة على أوضاع وكيانات أو بالأحرى عامل ركود وجمود.

تباينت الآراء وتعددت وجهات النظر، وقد اضطرب الرأي بين من يأخذ بنظرية أو بفكرة في تفسير التاريخ (مثل الحرية، العقل المسيطر، البطل، الجماهير) وبين من لا يريد إلاّ الاستقراء.

خاتمة:

نصل في هذا البحث المنصبّ حول المعرفة التاريخية إلى جملة من النتائج نذكر منها:

- المعرفة التاريخية ليست معرفة معطاة بل إنها معرفة مبنية يبنيها المؤرخ بمنهج علمي، كما يبنيها انطلاقاً من الوثائق والأرشيفات والمحفوظات فيقوم باستنطاقها وفحصها ومن ثم تفسيرها.

- قضية طبيعة المعرفة التاريخية لم تحسم، رغم أننا وجدنا في التاريخ نفحات من الدين، وشذرات من الأدب والفن الكتابي (أو الكتابة الفنية)، وبعدها وجدنا الاستعداد بكتابته بصياغة لا تختلف عن صياغة النظريات العلمية، إضافة إلى تفسير أحداثه تفسيراً علمياً فيما يسمى بفلسفة التاريخ بتنظير تلك الأحداث.

- موضوع المعرفة التاريخية حسب ابن خلدون، يتجاوز تلك الصور التي شهدتها الكتابة التاريخية العربية، كالسيرة والمغازي والتراجم ليتناول أحوال الاجتماع البشري من تبدلات وتحولات، ليتناول المُلْك والتغلُّبات (السياسة والدولة) والصنائع والعلوم (الحضارة والأفكار والمعارف) والمعاش (الاقتصاد والمجتمع).

- يمكن أن نصل إلى كتابة تاريخية موضوعية بواسطة النقد التاريخي طالما أن المؤرخ يريد الانتصار للحقيقة التاريخية.

- يتبين من خلال الملاحظات السابقة أن أساس كل النظريات والآراء المذكورة اجتهادي، وأنها جميعاً ترتبط بظروف المجتمعات الغربية وبتطورها، وأنه ليس من الدقّة أن نأخذها مجردة عن ظروف نشأتها.

- يتوجب الحذر من تبني مبدأ السببية حرفياً أو الانسياق وراء المدارس المفسّرة للتاريخ، وذلك حتى لا يتناول المؤرخ الأحداث بفكرة مسبّقة أو يعرضها من خلال توجهات فكرية غالباً ما تتصل بالتبسيط والتعميم وتميل إلى الحدس والتخمين.

- تباينت الآراء وتعددت وجهات النظر، وقد اضطرب الرأي بين من يأخذ بنظرية أو بفكرة في تفسير التاريخ (مثل الحرية، العقل المسيطر، البطل، الجماهير) وبين من لا يريد إلاّ الاستقراء.

قائمة المصادر والمراجع:

- **العربية:**

- إبراهيم بوطالب. (2000). الكتابة التاريخية بين الموضوعية والالتزام. مجلة أمل (التاريخ – الثقافة – المجتمع)، العدد 21 السنة السابعة.
- ابن خلدون. (1979). المقدمة. بيروت: مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر.
- أحمد بدر. (1978). أصول البحث العلمي ومناهجه (الإصدار ط 4). الكويت: وكالة المطبوعات.
- أنور محمود زناتي. (2007). علم التاريخ واتجاهات تفسيره (الإصدار ط 1). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- ج. هرنشو. (1982). علم التاريخ (الإصدار ط 2). (عبد الحميد العبادي، المترجمون) بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر.
- حسن عثمان. (1984). منهج البحث التاريخي (الإصدار ط 5). القاهرة، مصر: دار المعارف.
- خالد أحمد. (2012). منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والانسانية (الإصدار ط 2). الجزائر، الجزائر: جسور للنشر والتوزيع.
- شوقي الجمل. (1997). علم التاريخ – نشأته وتطور ومناهج البحث فيه –. مصر: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات.
- عاصم الدسوقي. (1999). البحث في التاريخ. مؤسسة ابن خلدون.

- عبد الرحمن بن خلدون. (د ت). مقدمة ابن خلدون. بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.
- عبد العليم عبد الرحمن خضر. (1995). المسلمون وكتابة التاريخ (الإصدار ط 2). هيرندون، فرجينيا، الولايات المتحدة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- عرفان عبد الحميد. (1986). المدخل إلى معاني الفلسفة. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
- فؤاد زكريا. (1985). الفلسفة والدين في المجتمع العربي المعاصر. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- كولنجوود. (1968). فكرة التاريخ. (محمد بكير خليل، المترجمون) القاهرة، مصر: منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- لويس جوتشلك. (1966). كيف نفهم التاريخ. (عائدة سليمان عارف وأحمد مصطفى أبو حاكمة، المترجمون) بيروت، نيويورك: دار الكتاب العربي، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.
- محسن محمد حسين. (2012). طبيعة المعرفة التاريخية (الإصدار ط 1). أربيل، العراق: مؤسسة موكرياني للدراسات والنشر.
- محمد بيومي مهران. (1992). التاريخ والتأريخ. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- محمود شاكر. (1974). التاريخ هل هو علم. مجلة عالم الفكر، العدد 01.
- مصطفى شاكر. (أفريل, 1974). التاريخ هل هو علم. مجلة عالم الفكر، المجلد 5(العدد 1).

- ناصر الدين سعيدوني. (2000). أساسيات منهجية التاريخ. الجزائر: دار القصبة للنشر.
- ناصر الدين سعيدوني. (فبراير, 2008). نظرة في إشكالية المعرفة التاريخية. تم الاسترداد من مجلة العربي: http://www.3rbi.info/Article.asp?ID=7577
- وجيه كوثراني. (2013). تاريخ التأريخ (إتجاهات، مدارس، مناهج). الدوحة، قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

- **الأجنبية:**

- Bury, J. B. (1903). An Inaugural Lecture: Delivered in the Divinity School, Cambridge, on January 26 1903. Cambridge University Press.
- Veyne Paul . (1971). Comment on écrit l'histoire (1ère édition ed.). Paris, Seuil: Éditions du Seuil.
- Webster, N. (1960). Webster's New Twentieth Century Dictionary of the English Language. Cleavland And New York: The World Publishing Company.

ضريح شهداء المسيحية بتيبازة ، دراسة وصفية أثرية .

شيباني محمد

-السنة الثانية دكتوراه تخصص : أثار قديمة معهد الآثار جامعة الجزائر 2 ، أبو قاسم سعد الله .

ملخص

نحاول في هذه الدراسة المتواضعة دراسة اهم المعالم المسيحية الأولى خلال فترة الاضطهاد الروماني و التي عان منها المسيحيون قبل ان تصبح المسيحية الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية . سنتناول أحد المعالم المسيحية و هو "الضريح الدائري " المتواجد بتيبازة ، وهو عبارة عن فضاء جنائزي يتجمع فيه عدد من التوابيت و الذي يجهل إلى حد الآن وظيفته الأساسية.

يتناول هذا الموضوع الدراسة الوصفية و التحليلية لهذا الفضاء الجنائزي محاولين معرفة محتوياته وأقسامه.

الكلمات المفتاحية : كوة ، طقوس ، شهداء، قديس ، توابيت .

Title:

Shrine of the Martyrs of Christianity in Tipasa, an archaeological descriptive study.

Summary :

In this modest study we attempt to study the most important early Christian monuments during the period of Roman persecution that Christians suffered before Christianity became the official religion of the Roman Empire. We will look at one of the Christian monuments, the `` circular mausoleum " located in Tipasa, a funerary space containing or assembling a number of sarcophagi, which is still unknown to its basic function. And its sections.

Keywords: skylight, ritual, martyrs, saint, coffins.

Keywords: skylight, ritual, martyrs, saint, coffins.

مقدمة:

طالما استهوتنا العمارة عامة و الجنائزية خاصة ، كونها المصدر الباقي للعيان يمكن وصفه ، ومن هنا وقع اختيارنا على هذا المعلم موضوعا للدراسة و بالمسمى الضريح الدائري المسيحي " المتواجد بالمقع الأثري الروماني بتيبازة، وهو عبارة عن فضاء جنائزي يحتوي و تتجمع فيه عدد من التوابيت لشخصيات مرموقة في العالم المسيحي . يعد هذا المعلم من المواضيع التي لم تحظ بدراسات حديثة تعطيه الأهمية التي منحت لباقي المعالم الجنائزية في الجزائر. ومن جهة أخرى أردت ان اعرف بهذا المعلم والذي يحتفظ بعناصره المعمارية الإنشائية.

يتناول هذا الموضوع الدراسة الوصفية لهذا الفضاء الجنائزي محاولين معرفة محتوياته وأقسامه، وعلية يمكن طرح الإشكالية الرئيسية التالية:

ماهية و طبيعة هذا المعلم؟ وما هي وظيفته؟ و من هي الشخصيات المدفونة في هذا الفضاء الجنائزي ؟ وما تأريخه و الفترة التي يعود إليها؟

1 - دخول المسيحية للمنطقة :

عرفت مدينة تيبازة [1] ظهور المسيحية حوالي سنة 291م ، وقد عانى معتنقو هذا الدين الجديد في تلك الفترة الاضطهادات من طرف الوثنيين ، حيث اشتهرت المدينة بالقديسة (صالصا St Salsa) التي تعتبر من أوائل شهداء المسيحية . و قد عرفت المدينة أوج تطورها مع نهاية القرن الرابع إذ قدر عدد سكانها عشرين ألف نسمة دون حساب المناطق الريفية المجاورة للمدينة.

2 - تاريخ الأبحاث التي أجريت في الموقع :

السنة	الباحث	مناطق التدخل
1850	Louis Leschi	وضع مخطط للمدينة
1891	Abb é saint gérand Stephane Gsell	كشف عن كنيسة القديسة صالصا و كنيسة القديس ألكسندر

1. مدينة ساحلية ثم بنائها خلال خلال فترة الحكم الروماني فوق مجموعة من التلال الصغيرة المتقابلة والمطلّة على ساحل البحر الأبيض.

1913	Gsell و ballou و Christofle	الساحة العامة و المعبد والنافورة و البازيليكا
1921	Ballu	حفريات بالو في المعبد المجهول حيث تم الكشف عن جدرانه
1932	Heur gon" "Duva وLassus"	كثفت الحفريات في المعبد بعد زيارة بعض أعضاء مدرسة روما المتمثلين في واثم توقفت الحفريات فيه سنة1949.
1955	Baradez	بحفرية في الجهة الغربية وراء سور المدينة اكتشاف فضاء جنائزي وما يحتويه من توابيت و كوات ، (Arcosoliae) وقد قام بإبراز عناصره المعمارية التي بني بها الضريح من حجارة مصقولة و كلسية و أعمدة بقواعدها و تيجان.

3 – موقع الضريح الدائري (الفضاء الجنائزي) :

يقع هذا الفضاء الجنائزي في الجهة الشمالية الغربية للموقع الأثري الروماني بتيبازة و بالتحديد خارج سور المدينة ، يحده من الشمال البحر الأبيض و من الجنوب كنيسة الاسكندر ، أما من الشرق نجد الحوانيت (مقابر صخرية) ومن الغرب نجد المقبرة الغربية .(مخطط رقم 01 : الحضيرة الاثرية)

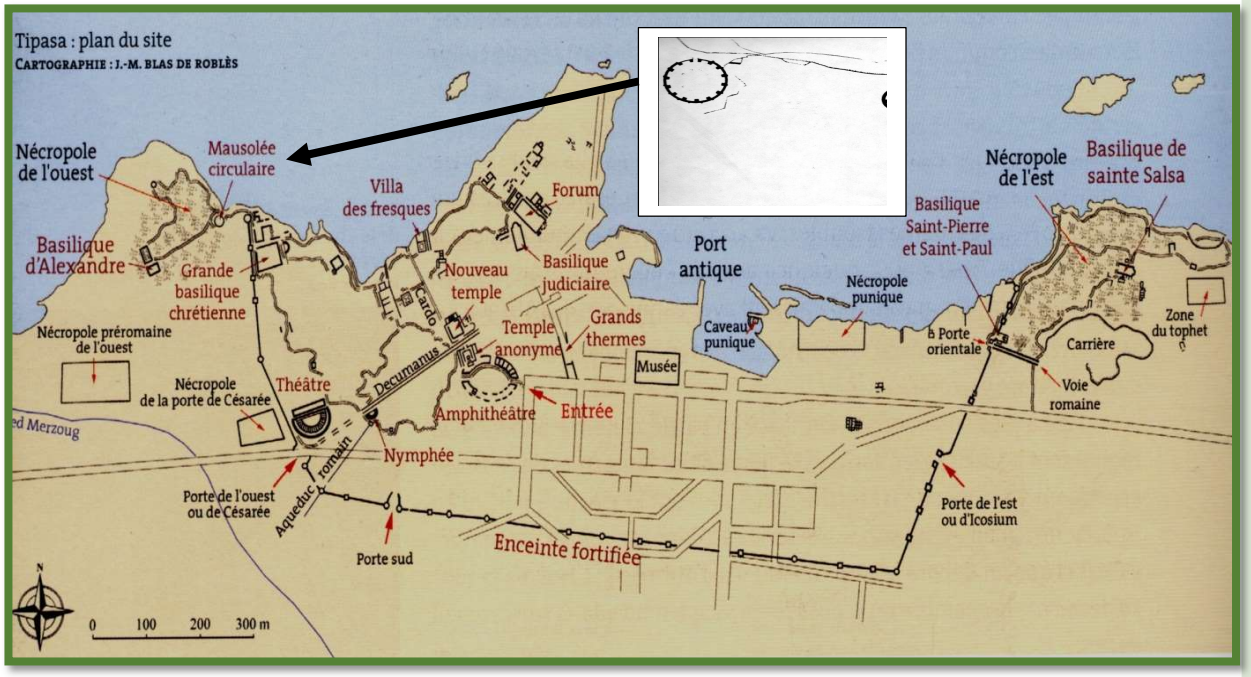

مخطط رقم 01 : الحضيرة الاثرية بتيبازة

4- الشكل العام للضريح :

إن مخطط الضريح الدائري (الفضاء الجنائزي) حسب كل من الباحثين ستيفان قزال [1] (ST Gsell) و لونسال (Lancel) [2] انه ذو شكل دائري يبلغ قطره الخارجي 22 م وقاعدة دائرية ، زين ب 11 عمود نصفي(colonne engagée) ذات دعامات خلفية ذات قواعد مكونة من الحجر الكلسي ، ومن الداخل توجد كوات تحتوي على توابيت ، كما انجد وسط الضريح توابيت من كل الجهات .

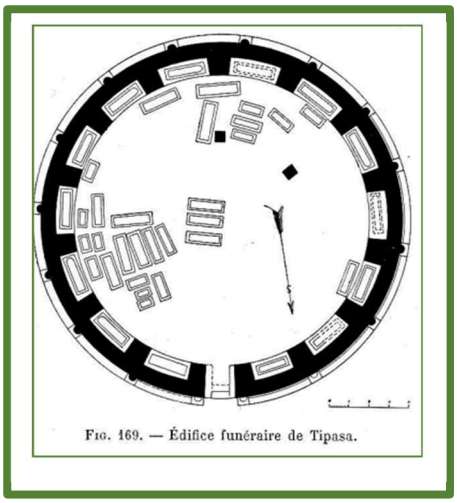

انظر صورةرقم 01 :

صورة جوية توضح الضريح الدائري و المخطط

5 - الوصف الخارجي للضريح الدائري (الفضاء الجنائزي):

هذا الضريح الجنائزي يرتكز على قاعدة ذات درجتين من الحجارة المصقولة حيث أن الدرجة الأولى تكاد لا تظهر وما بقي منها سوى جزء في الجهة الشرقية و الشمالية الشرقية ، أما الدرجة الثانية فهي من الحجارة المصقولة منها الكبيرة و المتوسطة الحجم طولها يتراوح ما بين 0.45 م و 1 م وعرضها ما بين 0.50 م و 0.45 م و ارتفاعها ما بين 0.30 م و 0.25 م ، حيث تظهر في الجهة الشمالية الشرقية و الشمالية الغربية والغربية عددها بالكامل 45 قطعة من الحجارة ، أما في باقي الجهات فلا تظهر لكونها مطمورة تحت التراب ، بينما نجد في الواجهة الرئيسية باب موجه نحو الشمال. (**انظر صورة رقم : 02**)

1 Gsell (S P) ; Tipasa, ville de la Maurétanie Césarienne Mélanges d'archéologie et d'histoire T. 14, 1894; PP 404-406.

2 Lancel (S) ; Tipasa de Maurétanie ; Alger 1966 ;P 47 .

صور رقم : 02 :

توضح قاعدة الفضاء الجنائزي/ عن الطالبة لاشمي سهيلة و حلزي خديجة)

اما الجدار الخارجي زين بـ 14 عمود لم يبق منها سوى ثمانية أعمدة : تم سقوط احد الاعمدة بالجهة الغربية على التابوت داخل الضريح . أما باقي الاعمدة لم يبقى منها إلا القاعدة ، حيث قدرت المسافة بين عمود و اخر بـ 2.95. م و نجد البعض من هذه الأعمدة تتوسطها ثقوب في الجهة الأمامية والخلفية ومن الجانب طولها 0.15 م وعرضها 0.05 م وعمقها 0.10 م ، كما يمكن إرجاع وجودها إلى احتمالين : اولا : استعمالها لرفع الأعمدة و نقلها من مكان نحتها إلى المعلم ، ثانيا : أو هي ثقوب لتثبيت دعامات خشبية لحمل السقف المحتمل انه كان بارز على الجدران .(**انظر صورة رقم : 03**)

صور رقم : 03

اعمدة الفضاء الجنائزي(عن الطالبة لاشمي سهيلة و حلزي خديجة)

6 - الوصف الداخلي :

يتكون مدخل الضريح من عتبة ترتفع على مستوى الأرضية بـ 0.06 م طولها 1.82 م وعرضها 0.36 م ، وبعد العتبة مباشرة نجد بلاطة حجرية طولها 1.33 م وعرضها 38 سم. **(انظر صورة رقم : 04)**أما أرضية المعلم فهي مكسية بطبقة من الملاط المختلط بقطع من الأجر و الحصى.

(انظر صورة رقم :05)

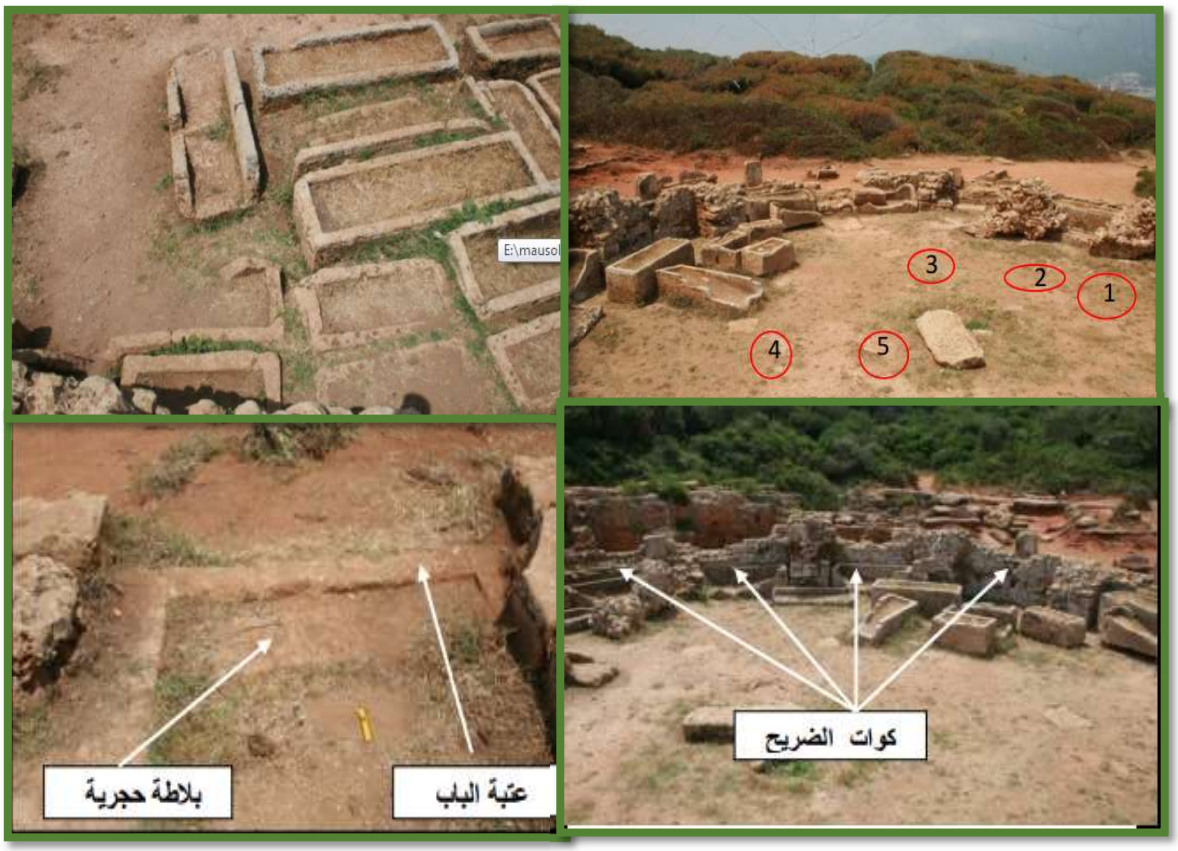

صور رقم : 04

توضح توزع التوابيت في الفضاء الجنائزي عن/ الطالبتين

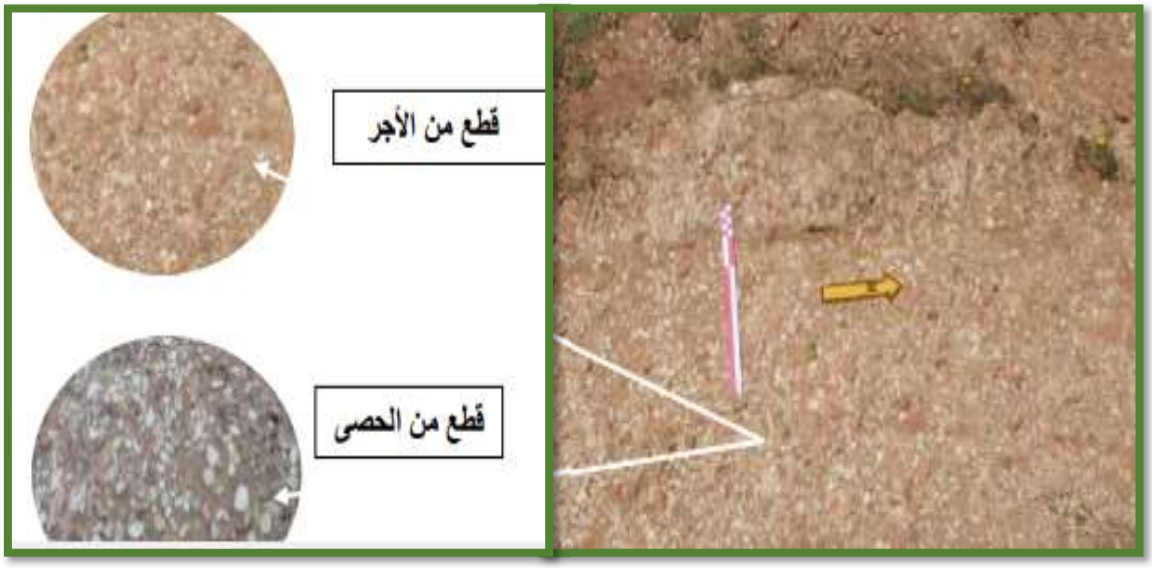

صورة رقم : 05

توضح تبليط أرضية الفضاء الجناؤي / عن الطالبتين

و نجد في الجدران الداخلية للضريح احدى عشرة كواة (Arcosoliae) معظمها يحتوي على توابيت كبيرة الحجم .

7 - تقنيات البناء:

استعمل في بناء هذا الضريح عدة تقنيات البناء و هي(Quadratum Opus) أي تقنية الحجارة بالنظام الكبير وتقنية الكامينتانيوم (Opus Caemeticium).

8- تاريخ الضريح :

أما بالنسبة لتأريخ الضريح فلا نملك أدلة دقيقة حول الفترة الدقيقة التي يعودان إليها. لكن الارجح يمكن ان يعود الى الفترة التي بنيت فيها المقبرة الغربية التي تؤرخ في حوالي القرن الرابع ميلادي وذلك لكونه قريب منها .

8 – البطاقات التقنية للكوات المعلم

بطاقة رقم 1	الكوة رقم 1
الجهة	الشمالية
الطول/ م	2.25
العرض/ م	0.83
الارتفاع/ م	0.45
البقايا	جزئ صغير
بلاطة	
غطاء القبر	
أخر	تحتوي على تابوت مطمور

الصورة عن الطالبتين: لاشمي سهيلة و حازي خديجة

بطاقة رقم 2	الكوة 2
الجهة	الشمالية
الطول/ م	2.25
العرض/ م	0.86
الارتفاع/ م	0.75
البقايا	جزئ صغير
بلاطة	طول / م:1.45 عرض/ م :0.75 م

الصورة عن الطالبتين : لاشمي سهيلة و حازي خديجة

غطاء القبر	حسب قزال أن في هذه الكواة يوجد قبر مغطى بطاولة تقدم فيه وليمة المحبة
أخر	تحتوي على تابوت مطمور

بذاقة رقم 3	**الكوة رقم 3**
الجهة	الشمالية
الطول/ م	2.25
العرض/ م	0.83
الارتفاع/ م	0.37
البقايا	جزئ صغير
بلاطة	
غطاء القبر	
أخر	تابوت لم يبقى منه سوى القاعدة موضوع فوق بلاطة حجرية

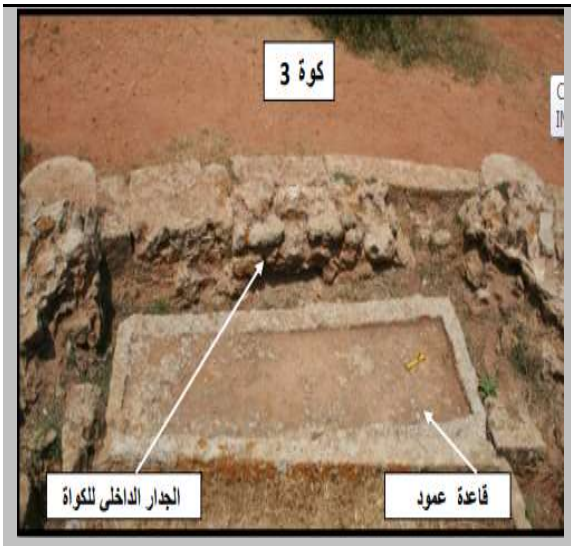

الصورة عن الطالتين : لاشمي سهيلة و حازي خديجة

بطاقة رقم 4	الكوة رقم 4
الجهة	الغربية
الطول/ م	2.25
العرض/ م	0.85
الارتفاع/ م	0.70
البقايا	جزئ صغير
بلاطة	طول / م: 0.85 عرض/ م 0.80:
غطاء القبر	
أخر	

الصورة عن الطالبتين : لاشمي سهيلة و حازي خديجة

	كوة رقم 5
بطاقة 5	
الجهة	الغربية
الطول/ م	2.20
العرض/ م	0.88
الارتفاع/ م	0.60

البقايا	جزئ صغير عليه صفوف من الأجر موضوعة بشكل أفقي مستطيلة و مربعة الشكل
بلاطة	
غطاء القبر أخر	تابوت مكسر ويوجد فوقه جذع عمود

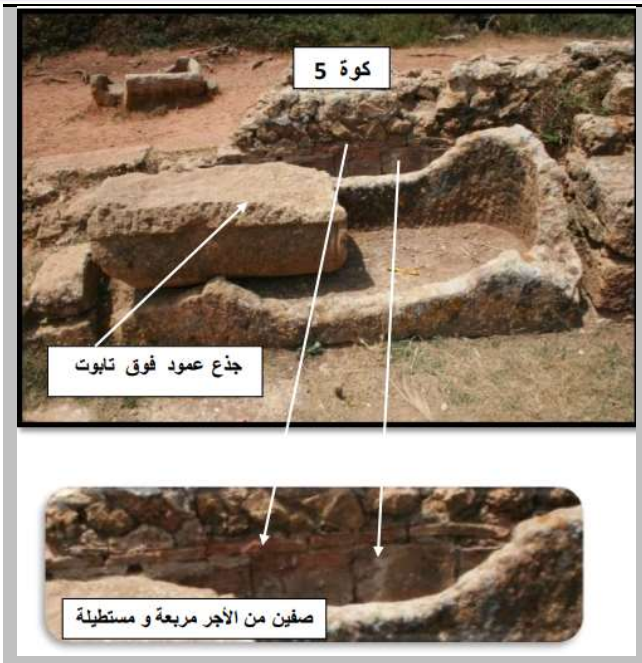

الصورة عن الطالبتين : لاشمي سهيلة و حازي خديجة

بطاقة 6	كوى رقم 6
الجهة	الغربية الجنوبية
الطول/ م	2.36
العرض/ م	0.85
الارتفاع/ م	0.83
البقايا	جزئ صغير عليه صفوف من الأجر موضوعة بشكل أفقي
بلاطة	

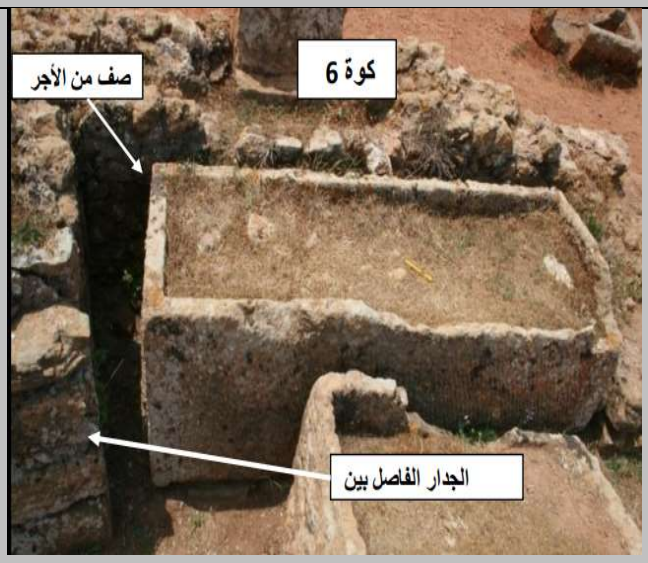

الصورة عن الطالبتين : لاشمي سهيلة و حازي خديجة

غطاء القبر	
أخر	تحتوي على تابوت فيه كسور خفيفة

بطاقة 7	كوة 7
الجهة	الغربية الجنوبية
الطول/ م	2.38
العرض/ م	0.90
الارتفاع/ م	1.38
البقايا	جزئ صغير عليه صفين من الأجر موضوعة بشكل أفقي في الجهة اليسرى
بلاطة	
غطاء القبر	
أخر	

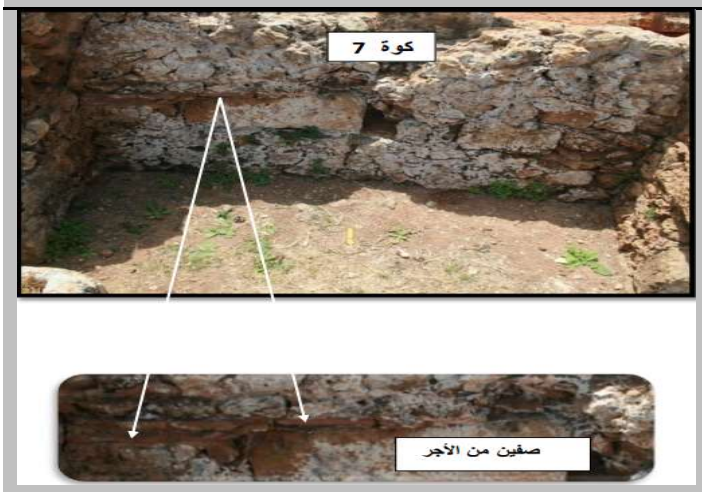

الصورة عن الطالبة : لاشمي سهيلة و حازي خديجة

بطاقة 8	كوة رقم 8
الجهة	الجنوبية
الطول/ م	2.25
العرض/ م	0.92
الارتفاع/ م	1.38
البقايا	جزئ صغير عليه صفوف من الأجر موضوعة بشكل أفقي مستطيلة و مربعة الشكل
بلاطة	
غطاء القبر	
أخر	تحتوي على تابوت مكسر من الواجهة الأمامية

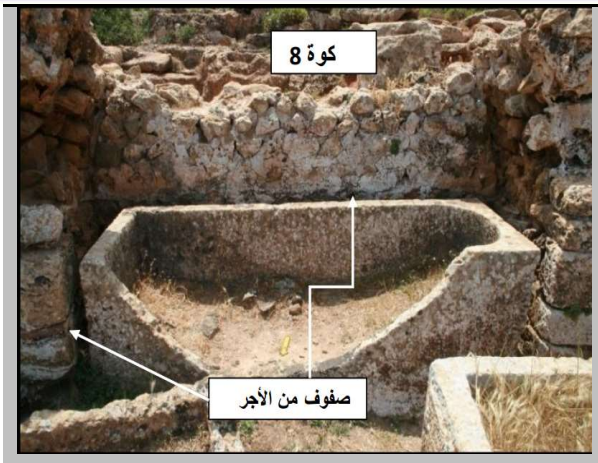

الصورة عن الطالبة : لاشمي سهيلة و حازي خديجة

بطاقة 9	كوة 9
الجهة	الجنوبية
الطول/ م	2.25
العرض/ م	0.90
الارتفاع/ م	1.30
البقايا	جزء منه

بلاطة	الصورة عن الطالبة : لاشمي سهيلة و حازي خديجة
غطاء القبر	
أخر	تحتوي على تابوت مكسر من كل جهاته

بطاقة 10	كوة رقم 10
الجهة	الجنوبية الشرقية
الطول/ م	2.25
العرض/ م	0.63
الارتفاع/ م	0.85
البقايا	جزئ صغير علية صفوف من الأجر متواضعة بشكل أفقي
بلاطة	
غطاء القبر	
أخر	تحتوي على تابوت مكسر

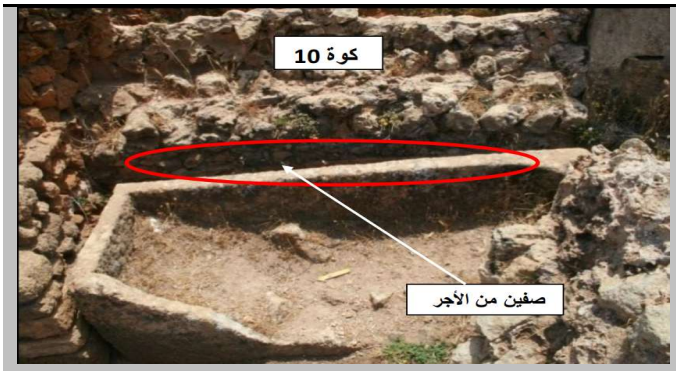

الصورة عن الطالبة : لاشمي سهيلة و حازي خديجة

بطاقة 11	كوة رقم 11
الجهة	الشرقية
الطول/ م	2.25
العرض/ م	1
الارتفاع/ م	1.25
البقايا	جزئ صغير عليه صفوف من الأجر موضوعة بشكل أفقي في الجهة اليمنى
بلاطة غطاء القبر	القوس مبني بحجارة صغيرة على شكل اجر عددها 34 يتراوح طولها ما بين .22 سم، و 25 سم وعرضها ما بين . 25 و 21 سم
أخر	تحتوي على تابوت مكسر

الصورة عن الطالبة : لاشمي سهيلة و حازي خديجة

بطاقة 12	كوة رقم 12
الجهة	الجنوبية
الطول/ م	2.25

العرض/ م	0.90
الارتفاع/ م	0.45
البقايا	جزئ صغيرو فيه صفوف من الأجر متواضعة بشكل أفقي
بلاطة	
غطاء القبر	
أخر	تحتوي على تابوت مكسر

الصورة عن الطالبة : لاشمي سهيلة و حازي خديجة

بطاقة	كوة رقم 13
13	
الجهة	الشرقية الشمالية
الطول/ م	2.33
العرض/ م	0.89
الارتفاع/ م	0.45

الصورة عن الطالبة : لاشمي سهيلة و حازي خديجة

البقايا	جزئ صغير فيه صف من الأجر متواضع بشكل أفقي
بلاطة غطاء القبر	
أخر	تحتوي على تابوت مكسر فوقه بلاطة حجرية

بطاقة 14	كوة رقم 14
الجهة	الشمالية
الطول/ م	2.25
العرض/ م	0.90
الارتفاع/ م	0.45
البقايا	جزئ صغيرثلاث بلاطات حجرية

الصورة عن الطالبة : لاشمي سهيلة و حازي خديجة

بلاطة	طول / م :0.73 – 0.74 -0.65	
	عرض/ م :0.60 – 0.72- 0.55	
غطاء القبر أخر	تحتوي على تابوت مطمور	

9 – توابيت الضريح:

خلال المعاينة الميدانية نجد توابيت أخرى من الحجارة الكلسية مبعثرة في الداخل عددها 26 تابوتا بمختلف الأحجام تحمل زخارف في شكل أحازيز على واجهاتها الأربعة وهناك وأخرى تحمل رمز الصليب المسيحي بغض النظر على تلك المتواجدة في الكوات.

كما يوجد في وسط الفضاء قبر للقديس المتميز و المكرس للعبادة وهو مغطى بصفين من البلاطات الحجرية :الصف الأول فيه عبارة عن حجارة متواضعة بشكل أفقي يتراوح طولها ما بين (2.32 و 2.34 م) أما الصف الثاني فيه عبارة عن بلاطة حجرية كبيرة طول ضلعها 2.74 و فوق هذا القبر تابوت مكسر لم يبقى منه سوى القاعدة.

10 – التحليل:

بدأت تظهر كنائس ومقابر المسحيين لدفن شهدائهم وموتاهم مع بداية القرن الرابع للميلاد ، ففي مدينة تيبازة عثر على بقايا لمقابر مسيحية تعود إلى أواخر القرن الثالث للميلاد، كما عثر على نقوش تذكر أسماء شهداء من موريتانيا القيصرية، ففي تيبازة يذكر الشهيد فيكتورينوس" (Victorinus) والذي ورد اسمه على نقيشة مؤرخة ما بين 315 و 320 م ، و"سوفوسار" (Sofosar) اسم الشهيد الطفل الذي ذكر اسمه على نقيشة مؤرخة بسنة 320 م.

10 – 1- قائمة الشهداء: حسب المصادر الأدبية و النقائش اللاتينية ، يعتقد أن أقدم شهداء القيصرية هو "فابيوس فيكليسبر" (Fabius vixillifer) [1] يرجح أنه استشهد ما بين سنتي(299 و 304 م)بالقيصرية ، واستشهدت في نفس الفترة مجموعة أخرى نذكر منها "أركاديوس" (Arcadius) في 12/01/304م و"سيفيروس" (Severius) و"أكويلا " (Aquila) في 23 /01/304 م و "ثيودوتا" (Theodota) والأبناء السبعة و"أركاديوس" (Arcadius) و"مارسيانا" (Mariciana) [2]وإلى الغرب عثر على كتابات مسيحية في "كاسترا بوروروم" - (Castra Puerorum) الأندلسيات-تعود إلى سنة 289 م، وفي ريجياو" (Regiae) غير بعيد عنها، تعود إلى سنة 295 م.

كما وجدت نقائش بقيصرية نقيشة تحمل اسم "سيفيريانوس"، (Siverianus) والذي مات أثناء اضطهادات "دقلديانوس" مع نهاية القرن الثالث للميلاد. يتطابق ذلك مع وجود نقوش مسيحية في عديد مناطق مقاطعة القيصرية، إذ وجدت نقوش مسيحية في "سيفسار" (Sufasarيرجع تاريخها إلى من ما بين سنتي)301 و 322 م) وفي "مانليانا") (Manliana) و خميس مليانة و"زوكبار(Zucchaber) مليانة، تعود إلى الفترة ما بين (300 و 314 م) و"كارتينا " (Cartenae)تنس، ترجع إلى الفترة الممتدة ما بين(357 و 412 م).

مما لا شك فيه ان القبور الموجودة في وسط الضريح والمطمورة في الأرض تسبق هذا المبني وهي لشهداء المحليين وفيما بعد يبدو ان المسحيين في فترة الهدوء أرادوا ممارسة طقوسهم الاعتيادية للشهداء فبنو عليهم هذا الضريح ولكن نظرا لعدد الكبير للشهداء فكروا في بناء هذا المعلم وقسموه إلى غرف على شكل كوات مخصصة لكل شهيد ويبدوا انهم جلبوا من مناطق مجاورة والدليل انهم لم تغمر توابيتهم كلها في الأرض فأما ووجود قبور أو توابيت أطفال ربما يعود للدفن الأولي قبل بناء الضريح ومع

1 . فابيوس، كان ضابطا في الجيش الروماني في القيصرية، رفض تقديم مظاهر الطاعة للوثنية، أثناء حفل كبير حضره حاكم وأعضاء المقاطعة، وتخلى عن دوره كضابط، بحجة أنه مسيحي، سجن و حوكم بتهمة العصيان، وصدر ضده حكم الإعدام بقطع رأسه، وتُركت جثته دون دفن لمدة ثلاثة أيام، ثم رميت في البحر.

2 مارسيانا") (Marcianaفتاة من بلدة "روسيكاري "،من عائلة غنية ونبيلة، سقطت شهيدة في القيصرية، كانت تعيش في خلوة وذات يوم زارت المدينة والقي عليها القبض، وبعد المحاكمة بتهمة عدم تقديم القرابين للآلهة الوثنية، حكم عليها بالإعدام بطريقة وحشية بدهس جثتها ثور ورميت جثتها إلى الذئاب، وكان لليهود والوثنيين دور كبير في قتلها.

ظهور عادة تقديس الشهداء، وهي امتداد حسب المؤرخ " **فرانسوا ديكريه**" لعادة مرتبطة بالديانة الوثنية في المنطقة والتي تقوم على عادة عبادة الأسلاف الموتى، ومنذ أحداث 17 جويلية 180م صار ينظر إلى الشهداء الذين ثبتوا على دينهم نظرة تقديس وتبجيل واحترام، بل ويعظمونهم تعظيما جليلا، وكان هؤلاء الشهداء يشكلون قدوة لأتباع المسيحية، الذين صاروا أكثر تشبثا بها، ولعل ذلك ما أدى إلى زيادة أعداد المتنصرين الذين يضمرون العداء للسلطة الرومانية في المنطقة.

لقد انتشرت عادة التقديس في كامل أرجاء الإمبراطورية ، ومع بداية القرن الرابع للميلاد اتخذت عملية تقديس الشهداء منحى بطوليا لمسيحيي سكان ا لمغرب القديم المعادين للكنيسة الكاثوليكية والسلطة الرومانية. أصدر الإمبراطور "جاليريوس" قرارا بوقف جميع أعمال العنف الممارس ضد المسيحيين في 30 أفريل 311م ، في الوقت الذي يعاني فيه من مرض شديد ملتمسا من المسيحيين

10 -2 – طقوس أعياد الميلاد : La célébration du jour anniversaire des martyrs

وهو ما يطلق عليها باللغة اللاتنية: (La memoria martyrum et confessorum)، وهنا يحتفل بعرض وتقديم الاضحيات (oblationes et sacrificia. [1] يقام هذا الاحتفال في اليوم ذكرى وفات القديسين والشهداء. وهذا يعني أن الكنيسة تحافظ على ذاكرتهم، كل عام ، في تاريخ وفاتهم. هذا الاحتفال هو طقوس حقيقية الكنسية ، منظم ، مدون والاجتماعية. وعليه فان الاحتفال بيوم الاستشهاد هو يوم المولد الحقيقي عند المسحيين وهو ما يطابق ما جاء في القران ان الحياة الحقيقية هي في الآخرة . والملاحظ في توابيت هذا الضريح أنها مغطاة ببلاطات مسطحة و هذا دليل على أنها مهيأة لتقديم القربان لهؤلاء الشهداء في الأعياد لكي يشاركونهم مأساتهم يوم الاستشهاد.

ولفهم عقيدة حقيقة وفلسفة هذه الاحتفالات نقوم بمقارنة بين أعظم شخصيات المسيحية وهما ترتوليان وسيبريان (Tertullien et Cyprien) : بشكل عام الفرق بين الرجلين يكمن ان(ترتوليان) يعتقد ان الشهداء لا يحتاجون إلى صلاة لهم فهم في الجنة ويعيشون في سلام وهم يشاركون في صلاة الكنيسة بخفاء من قبل الروح (أنيما) وعليه يقر بانهم أحياء كما جاء في القران بينما (سيبرا) يرى انهم يحتاجون للصلوات والقرابين لخلاصهم التام وهذا الذي يلومونا بطرس زكراي حين يقول انتم تصلون على رسولكم فهو لا يحتاج لصلواتكم عليه ؟ وعليه بالنظر إلى كل ما تقدم يمكن ان ننسب شهداء التوابيت التي تتوزع في الضريح الى الشخصيات التي نقشت أسماؤها على مختلف النقشات التي عثرت بالمنطقة خاصة وان المسيحيين عرفوا ظاهرة جلب شهداء من مناطق بل من مقاطعات رومانية الى مجمعات مثل ما

1 Oblationes = (القربان او نسك)

حدث في كيرتا حسب مقال أستاذنا حاجي حول تبجيل شهداء قسنطينة وضواحيها في الفترة المسيحية البيزنطية مجلة منبر التراث الأثري العدد الخامس 2016 حيث يذكر في صفحة 41 انه في القرن السادس انتشرت عبادة الشهداء القديسين بكثرة في كل إرجاء الإمبراطورية الرومانية حيث نجد قديسين شهداء غير أفارقه جيء بهم من المشرق إلى المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي .كون هذا الضريح قريب من بزيليكا الإسكندر، ويعود سبب عدم دفن هذه الشخصيات في الكنيسة بدون شك إلى كونها دوناتية ولم تكن أرثوذكسية .

الخلاصة:

كتب كبريانوس من منفاه منتصف القرن الثالث الميلادي يحثهم بكتابة أسماء الشهداء و اماكن قبورهم ليتسنى للمسحيين الاحتفال بشهدائهم ، وعليه يمكن ان نتصور الكوات المقسمة عبر المعلم الجنائزي الدائري بتيبازة هيئت كلافتات نقشت فيها اسماء و أمجاد وتاريخ وفاة كل شهيد و كذا يوم الاحتفال به.

كما يمكن أن نتصور وجود نقائش تحمل هذه المعلومات في نفس المعلم ، فأما الشكل الدائري فله علاقة بالطواف و بالعلو ، و أيضا لتسهيل عملية العرض خاصة و أن المسحيين يدفنون موتاهم بالقرب من القديس او الشهيد الذي كرس شهادته لله و كلمة شهادة هو أن تشهد برحدانية الاله أمام الخلق . كما انه بالنظر إلى بلاطات المدخل والحنة في الشرق فان هذا المعلم روعي فيه الفلسفة العامة لهيكل الكنيسة فهو كنيسة بشكل مصغر. فأما الحفر المتواجدة في الأعمدة ما هي إلا عوارض توحي بان المعلم كان خال من الجدران التي أضيفت فما بعد . و اذا سلمنا بان الدفن كان عند الرومان يبدا ببعد معين عن السور الخارجي للمدينة فان دفن هؤلاء الشهداء كان في الفترة الأخيرة للوثنية لدى الرومان لذلك كان موقعه بالقرب من السور الخارجي للمدينة .

أما القبور المبعثرة يمكن ان تكون لذوي الأموال بحيث عرفت ظاهرة دفع الأموال للدفن قرب القديس . وعليه فالشخصيات التي في الكوات هي للشهداء والتي في الوسط قديسة بينما الباقية سواء في محيط الضريح أو في داخله تبقى للعامة من المسيحيين.

قائمة المراجع

1- Gsell (S P.) ; Tipasa, ville de la Maurétanie Césarienne Mélanges d'archéologie et d'histoire T. 14, 1894; PP404-406.
2 - Lancel (S.) ; Tipasa de Maurétanie ; Alger 1966 ;P 47 .
3 – مجلة منبر التراث الأثري العدد الخامس 2016 ، ص

الثورة في سورية ودور جماعة الإخوان المسلمين

2011-2017م

حسام نعيم عبد العزيز شخشير

الأستاذ الدكتور محمد سالم الطراونة

ملخص:

تحوَّلت الثورة السورية التي اندلعت بتاريخ 3/15/ 2011م إلى صراع مسلح نتيجةً لسياسة العنف التي انتهجها النظام السوري في التعامل مع المظاهرات السلمية التي كانت تنادي بالكرامة والحرية. يعرض هذا البحث لدور جماعة الإخوان المسلمين في الثورة، مُقدِّمًا لذلك بلمحة عن تاريخ نشأة الجماعة في سوريا، والظروف التي عايشتها الجماعة منذ ظهورها عام 1937م حتى أحداث حماة عام 1982م، التي انتهت بخروج الجماعة من سوريا، وبدء العمل من المنفى.

لقد ركَّز البحث على المرحلة التي شهدت قيام الثورة السورية في الأعوام (2011م-2017م)، وتمثَّل فيها دور الإخوان المسلمين في ثلاثة محاور، هي:

1- دور جماعة الإخوان المسلمين في الداخل السوري:

تردَّدت جماعة الإخوان المسلمين في المشاركة في الثورة السورية التي اشتعل فتيلها في شهر آذار من عام 2011م؛ نظرًا إلى ضعف تمثيلها داخل سوريا، وإيمانها بأنَّ نار الثورة ستخمد قريبًا جدًّا.

وما إنْ أدركت قوة الثورة، وزخمها المتزايد، وإصرارها على المُضي قُدُمًا في تحقيق أهدافها، حتى عقدت العزم على المشاركة الفاعلة فيها، لكنَّها واجهت تحديًا كبيرًا في ما يخصُّ تعزيز مواقعها وترميم علاقاتها في الداخل السوري؛ نظرًا إلى غيابها الطويل عن المشهد السوري الذي استمرَّ ثلاثين عامًا منذ أحداث حماة، وظهور جيل من الشباب قاد الحراك الثوري بعيدًا عن جماعة الإخوان المسلمين عقائديًّا وتنظيميًّا.

2- دور جماعة الإخوان المسلمين في العمل السياسي مع هيئات المعارضة السورية:

عملت جماعة الإخوان المسلمين السورية من دول المهجر في تركيا، وقطر، والسعودية، وألمانيا، وبريطانيا على مدار ثلاثة عقود. وهي تُمثِّل أكبر الحركات الإسلامية السورية، وأكثر أحزاب المعارضة وجودًا بينها. عكفت الجماعة على مدار ثلاثين عامًا من عملها في الخارج على بناء مؤسسات سياسية واجتماعية وإغاثية. وما إنِ اندلعت الثورة السورية حتى سارعت تلك المؤسسات إلى تقديم الدعم اللازم. ومنها: رابطة العلماء السوريين، ورابطة أدباء الشام، ومؤسسة وطن.

شاركت جماعة الإخوان أيضًا في تأسيس حزب وعد (الحزب الوطني للعدالة والدستور) الذي أعلن عن برنامجه الإصلاحي في سوريا، وجاء مُتناغِمًا مع مطالب الثورة السورية المُتمثِّلة في الحرية، والعدالة الدستورية، والنهوض بالبلاد اقتصاديًّا، وثقافيًّا، واجتماعيًّا.

وأسهمت جماعة الإخوان في تشكيل الهيئات السياسية للمعارضة خارج سوريا، وكان أبرزها المجلس الوطني السوري الذي كان للإخوان اليد الطولى فيه عن طريق عناصرها وحلفائها من الشخصيات اليسارية العلمانية. ثم جاء إنشاء الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، وهو ائتلاف ضمَّ مجموعات المعارضة في الثورة السورية، وجاء تلبيةً لمطالب العديد من الدول – على رأسها أمريكا– في تحجيم جماعة الإخوان، وإعادة الحياة إلى الثورة السورية بتوفير جميع أنواع الدعم اللازم لها دوليًّا. غير أنَّ الجماعة تمكَّنت من الاحتفاظ بنفوذ فاعل لها داخل هذا الائتلاف.

3- دور جماعة الإخوان المسلمين في العمل المسلح:

اتبعت الجماعة سياسة مُبهَمة في ما يخصُّ مشاركتها في عسكرة الانتفاضة؛ إذ أعلنت في بداية الثورة عن عدم وجود فصائل مسلحة لها في الثورة، وأنَّ دعمها للفصائل المسلحة يقتصر فقط على الجوانب المالية واللوجستية، ولكنَّها كانت تسعى – في الوقت نفسه– إلى إعادة إحياء التنظيم في الداخل السوري، مُتذرِّعةً بالعمل الخيري. ولذلك حرص قادة الجماعة على عدم الإعلان صراحةً عن علاقة الجماعة بالدروع مثلًا، وغيرها من التشكيلات المسلحة، ولا سيَّما بعد تجربة الجماعة المريرة مع النظام في ثمانينيات القرن الماضي، وما نتج منها من

قتلٍ وسجنٍ وتشريدٍ للآلاف من أتباعها، وهو ما أدّى إلى حدوث شرخ كبير فيها، تمثَّل في الانقسامات الكبيرة داخلها، ثم إصابتها بالوهن والضعف، وعملها من خارج سوريا. ولهذا أعلن قادة الإخوان في أكثر من مناسبة أنَّ علاقة الإخوان المسلمين بالفصائل المسلحة تقوم فقط على الدعم اللوجستي على أساس التقارب العقائدي.

والحقيقة أنَّ الجماعة عقدت العزم على إعادة بناء تنظيمها العسكري داخل سوريا تحت مُسمَّيات عديدة، مثل: هيئة حماية المدنيين، وهيئة دروع الثورة، وفيلق الشام، وذلك بالتنسيق مع حليفيها الرئيسين: تركيا، وقطر، اللذين قدَّما لها الدعم المالي والسياسي.

Abstract

The Syrian revolution emerged on 15 March 201, turned into internal armed conflict consequence to the violent policy adopted by the Syrian regime in dealing with the peaceful demonstrations calling for people`s dignity and freedom.

This study begins with a brief review on the founding and the evolution of the Muslim Brotherhood in Syria from 1937 until the incident of Hama in 1982 and ended the gruop to leave Syria and work in exile.

This study aims to explore the role of Syrian Muslim Brotherhood (SMB) in the Syrian revolution from its insurgence on March 15 to 2011 and stops in 2017. It comprises three aspects:

1- **The Muslim Brotherhood's Role in the Syrian Revolution post 2011:**

At the beginning of the revolution, SMB was reluctant to support the Syrian revolution. It believed it would not last long. However, SMB reconsidered its approach as soon it realized the revolution's strong

determination to move forward in achieving its goals. SMB utilized the experience and resources that gained in exile to re-establish itself. But faced with major challenges of positioning itself and restoring its relations inside Syria. Impacted by the 30 years of absence from the Syria. Whilst, young generations led the revolution that were far from the Muslim Brotherhood`s movement and its ideologically.

2- The Role of the SMB within political opposition bodies.

Despite have being in exile for three decades, SMB represented the largest of the Syrian Islamist movements, and the most prominent opposition operated from exile; from Turkey, Suadi Arabia, Qatar, Great Britain, Germany and others.

Over the three decades of work in exile, SMB has build political, social and relief institutions. As soon the Syrian revolution broke out, SMB provided support through these institutions such as the Syrian Scholars League, the Sham Writers Association, and Watan Foundation. **Furthemor,** SMB was the co-founder of Waad party (the National Party for Justice and the Constitution), to operate from Turkey. The SMB and Waad Party share the common desire to establish a strong relationship with the Syrian people that came in agreement with the demands of the Syrian revolution of calling for freedom, constitutional justice and economic, cultural, and social reforms.

SMB had a major role in founding outside Syria political bodies to support the opposition. The Syrian National Council, SNC, in which SMB represented the largest power of the Syrian Islamist movements,

and the most prominent part in the Council. The main goal of the SNC was to overthrow the regime by using all legal means. The Syrian National Coalition of Syrian Revolution and Opposition Forces established in a widened umbrella organization to include more opposition groups. It had a profound effect on the influence enjoyed by the SMB and reduced its political impact within the Syrian oppositional body due to calls came from Arab, regional and interantional powers led by USA. Despit that SMB succeed to maintain effective influence within this coalition.

3- Regarding the SMB and the Non-State Brigades in Syria.

SMB followed unclear policy regarding its support to armed groups in Syria. It was unclear to what extent, and in what manner, its support to armed resistance groups in Syria. SMB announced it was not part of the armed resistance and its support limited to financial and logistical aspects. However, some observers claimed the SMB does not transparently admit to all its involvements with rebel groups. It supported armed groups such as the Committee to Protect Civilians (Hayat Himayat Al-madaniiyn), The Shields of the Revolution Council (Hayat Duru al-Thawra) and Fayalq Al-sham. The SMB`s support came in coordination with its main allies: Turkey and Qatar, who provided the financial and political support.

نشأة الإخوان في سورية

المقدمة:

كانت سورية من أوائل الدول العربية التي نشأت فيها جماعة الإخوان المسلمين خارج مصر، مُتأثِّرةً برؤى مُؤسِّس الجماعة الشيخ حسن البنا، وبمُسوِّغات قيام الحركة في مصر، مُمثَّلةً في مواجهة التغريب الثقافي، والنفوذ الاستعماري، وانتشار الإرساليات التبشيرية.[1]

تعود بدايات *النشأة* الأولى للجماعة في سوريا إلى عام 1937م، عندما أسَّست الجماعة أول مركز مُرخَّص لها باسم دار الأرقم في حلب، وكان مركزًا رئيسًا لجميع الجمعيات التي أنشأها الإخوان في سوريا في تلك الحقبة، مثل: جمعية الرابطة الدينية في حمص التي أسَّسها مصطفى السباعي، وجمعية الإخوان المسلمين في مدينة حماة التي أسَّسها الشيخ محمد الحامد الذي كان على صلة وثيقة بالشيخ حسن البنا، وجمعية الشبّان المسلمين في دمشق التي أسَّسها الشيخ محمد المبارك، ودار الأنصار في دير الزور.[2]

في شهر تشرين الثاني من عام 1945م، عقدت جمعيات الإخوان المسلمين مؤتمرها الخامس في مدينة حلب، وقرَّرت فيه إلغاء مركزها الرئيس في هذه المدينة، وأعلنت عن توحيد هذه الجمعيات، وتأليف لجنة مركزية تُمثِّل جميع أطياف الجماعة في سوريا، واتخاذ مكتب دائم لها في دمشق، وتعيين مراقب عام[3] يرأس هذه اللجنة، هو الشيخ مصطفى السباعي الذي بايع حسن البنا عندما كان يدرس في مصر.

---

1 عبد الرحمن، صادق. الإخوان المسلمون في سوريا: المسألة الطائفية والاجتثاث، موقع (حبر)، تاريخ 2018/4/26م. الرابط الإلكتروني:
https://www.7iber.com/politics-economics/muslim-brotherhood-in-syria

(2) حمود، عبير. تيارات الإسلام السياسي وتحولها إلى العنف، موقع (عربي برس)، تاريخ 2018/11/3م. سيشار إليه لاحقًا بـ: حمود، تيارات الإسلام السياسي وتحولها إلى العنف. الرابط الإلكتروني: https://www.arabipress.net/?page=article&id=40890
انظر أيضًا:
- صدر الدين البيانوني، المراقب العام السابق، في لقائه مع قناة (العربي) بتاريخ 2016/4/23م. الرابط الإلكتروني:
https://www.youtube.com/watch?v=Mo2t_UCotrs

(3) حمود، تيارات الإسلام السياسي وتحولها إلى العنف، مرجع سابق.

في عام 1947م، قرَّر الإخوان خوض الانتخابات السورية بأربعة مرشحين، فاز منهم الشيخ معروف الدوالبي عن حلب، ومحمود الشقفة عن حماة، ومحمد المبارك عن دمشق. وعقب انقلاب العقيد سامي الحناوي، أُجرِيت انتخابات فاز فيها الإخوان بعشرة مقاعد، وشكَّلوا مع حلفائهم كتلة برلمانية كان لها تأثير كبير في بسط نفوذ الجماعة على النقابات العمّالية والحرفية. وبعد انقلاب عام 1949م، خاض الإخوان الانتخابات باسم كتلة الجبهة الاشتراكية الإسلامية بالتحالف مع بعض الجماعات الإسلامية. (1)

عاشت الجماعة في خمسينيات القرن الماضي أوضاعًا طبيعيةً، بوصفها حزبًا فاعلًا نشيطًا، توسَّع، وانتشر، وشارك في العملية السياسية بصورة فاعلة تحت قيادة زعيمها المُراقِب العام الشيخ السباعي. ولكن، ما إنِ استولى القوميون العرب على السلطة، وتبعهم حزب البعث عام 1963م، حتى بدأت بوادر الصدام السياسي والعسكري تلوح في الأفق بين النظام السوري وجماعة الإخوان. وباستيلاء حافظ الأسد على السلطة عام 1970م إثر قيامه بما عُرِف بالحركة التصحيحية، حدثت مواجهات مسلحة بين الجماعة ونظام الحكم، مُعلِنةً بداية مرحلة جديدة عمادها البُعْد الطائفي.(2)

يشار إلى أنَّ الجماعة شهدت – منذ بداية ظهورها– انقسامات داخلية واضحة بين جماعة حلب وجماعة حماة بخصوص الأفكار الثورية والإصلاحية التي ينادي بها كلٌّ منهما؛ سواء في الأُطر الشبابية، أو القيادية. وفي خضم هذا التنافس والانقسام، انشق عن جماعة الإخوان المسلمين فريقٌ أنشأ تنظيمًا سريًّا عُرِف باسم الطليعة المقاتلة، مُعلِنًا بدء العمل المسلح ضد النظام، فأعدم عددًا من الطلبة العلويين في كلية المدفعية، من دون المساس بالطلبة السُّنة،[3] وكان ذلك في السادس عشر من شهر حزيران لعام 1979م في حلب. وعلى إثر ذلك

---

(1) المرجع السابق.

(2) أبو رمان، محمد. الإسلاميون والدين والثورة، فريدرش إيبرت، عمّان، 2013م، ص18. سيشار إليه لاحقًا بـ: أبو رمان، الإسلاميون والدين والثورة.

(3) بشارة، عزمي. سورية: درب الآلام نحو الحرية: محاولة في التاريخ الراهن، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2013م، ص290. سيشار إليه لاحقًا بـ: بشارة، سورية: درب الآلام نحو الحرية.

انظر أيضًا:

الاعتداء، وضعت السلطات السورية في السابع من شهر تموز لعام 1980م القانون رقم (49) الذي يحظر الجماعة، ويُعاقِب كل مَنْ ينتمي إليها بالإعدام شنقًا بتهمة الخيانة العظمى.[1]

لقد أفضت هذه العملية وما تبعها من عمليات، مرورًا بانتفاضة عام 1980م، إلى تصاعد وتيرة المواجهات، وعجَّلت الصدام المسلح مع النظام الذي نجح باجتثاث الجماعة في أحداث حماة عام 1982م، بعد قتل الآلاف من جماعة الإخوان، واعتقال كثير منهم، وهروب مَنْ بقي حيًّا إلى خارج سوريا، وبذلك نجح النظام السوري في التخلُّص من الجماعة في سوريا.

منذ ذلك التاريخ، أصبحت جماعة الإخوان المسلمين في سوريا جماعة مهاجرة،[2] تعمل في المنفى، لكنَّها ظلَّت أهم فصيل سوري مُعارِض طوال هذه المدَّة التي استمرَّت (30) عامًا، وانشغلت فيها الجماعة بنزاعاتها الداخلية القائمة على أسس شخصية ومناطقية بين الجناحين المتنافسين، اللذيْنِ وُصِفا شعبيًّا باسم فصيل حلب المُعتدِل، وفصيل حماة المُتطرِّف.[3]

حظيت جماعة الإخوان بحضور اجتماعي وسياسي علني واضح في سوريا قبل عقد الثمانينيات من القرن الماضي؛ إذ كانت مُنتشِرة في مناطق عِدَّة، وبلغ تأثيرها في هذه المناطق شأنًا كبيرًا. وقد أسهمت عوامل عديدة في هذا الانتشار، أبرزها:

– القيادي في إخوان سوريا محمد السيد في لقائه مع قناة (حوار) في برنامج: مراجعات، الحلقة السادسة، بتاريخ 2018/4/16م. الرابط الإلكتروني:

https://www.youtube.com/watch?v=cBwBq4WVCFQ

(1) لوند، أرون. الصراع من أجل التكيف: جماعة الإخوان المسلمين في سوريا الجديدة، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، تاريخ 7/5/ 2013م. سيشار إليه لاحقًا بـ: لوند، الصراع من أجل التكيف. الرابط الإلكتروني:

https://carnegie-mec.org/2013/05/07/ar-pub-51715

(2) المراقب العام محمد وليد في لقائه مع قناة (حوار) بتاريخ 2016/6/29م. سيشار إليه لاحقًا بـ: لقاء مع المراقب العام محمد وليد. الرابط الإلكتروني:

https://www.youtube.com/watch?v=YhV1cvJlYWw

(3) لوند، الصراع من أجل التكيف، مرجع سابق.

1- استقطاب إخوان مصر العديدَ من الطلبة السوريين الموجودين فيها للدراسة، أمثال: مصطفى السباعي (أول مُراقِب عام للجماعة)، والشيخ محمد حامد الحموي (أحد مُؤسِّسي الجماعة السورية البارزين الذي كان على علاقة وثيقة بالشيخ حسن البنا).

2- رعاية الإخوان في مصر لعلماء سوريين، مثل سعيد العرفي الذي سكن مصر بعد خروجه من سورية، ثم عاد إليها لنشر فكر الإخوان المسلمين.

3- تنامي الفكر الإسلامي في سورية بسبب سياسة الاستعمار الفرنسي؛ إذ ساعد وجوده على انتشار فكر الإخوان، لا سيَّما في الأحياء الفقيرة، والمناطق الزراعية.[1]

من جانب آخر، اختلف المُحلِّلون في مسألة البِنية التنظيمية والفكرية لجماعة الإخوان المسلمين؛ إذ اعتقد بعضهم أنَّ هذه البِنية كانت مُوحَّدة ومُتراصَّة، واعتقد آخرون أنَّها كانت تعاني انقساماتٍ واضحةً، وذهب فريق إلى القول بأنَّها جماعة مُتعصِّبة وضيِّقة الأفق، في حين أكَّد فريق آخر أنَّها جماعة مُعتدِلة وإصلاحية ووسطية ومُحافِظة. والحقيقة أنَّ كل فريق مُحِقٌّ في ما يعتقد؛ نظرًا إلى طبيعة الظروف والأحوال المضطربة التي مرَّت بها الجماعة في كل مرحلة منذ أربعينيات القرن الماضي. فقد تأثَّرت الجماعة بما خلَّفه انقلاب حافظ الأسد الأب، وبسياسته التي انتهجها، وأدَّت إلى حالة من الصدام مع النظام، وعملت على مواجهة التحريض الطائفي الذي مارسه العلويون وحلفاء الأسد في المذهب والأقليات الأُخرى التي تبوَّأت معظم المراكز الأمنية والعسكرية في سوريا؛ إذ قامت سياسة الأسد الأب على تحييد المسلمين السُّنة، فدخلت الجماعة في موجة من العنف مع نظام الأسد، تخلَّلها صدامات عِدَّة، كان آخرها مشاركة الجماعة في انتفاضة مسلحة في حماة عام 1980م، وتبعتها أحداث حماة عام 1982م التي أفضت إلى اجتثاث الجماعة من مدينة[2] حماة، وحدوث انشقاقات أكثر من ذي قبلُ في قيادتها.

---

(1) الحداد، حسام. الإخوان المسلمون في سوريا ريادة نهج العنف، بوابة الحركات الإسلامية، تاريخ 2016/6/16م. الرابط الإلكتروني:

https://www.islamist-movements.com/2744

(2) لوند، الصراع من أجل التكيف، مرجع سابق.

شهد عقد الثمانينيات ومطلع عقد التسعينيات استقطابًا واضحًا من الجناحين المتنافسين: جناح حلب، وجناح حماة. فبعد تعيين المُراقِب العام علي صدر الدين البيانوني (1996–2010م)، المحسوب على جناح حلب، أخذ يعمل جاهدًا على دعم هذا الجناح، ويُمهِّد له الطريق في ظلِّ المستجدات على الساحة السورية؛ بإضفاء سياسة الاعتدال على الجماعة وخطابها، والذود عنها، ونبذ فكرة التطرُّف والعنف الطائفي التي وُسِمت بها الجماعة في أثناء انتفاضة الثمانينيات. وقد بدأت دلائل تلك السياسة تظهر عام 2004م، استنادًا إلى الظروف السياسية والاجتماعية والطائفية التي تعيشها سوريا، وأوضاع جماعة الإخوان المسلمين داخلها وخارجها؛ إذ اعتمد البيانوني برنامجًا سياسيًّا يُؤيِّد الديمقراطية والتعدُّدية السياسية والتسامح الديني، ولكنَّ العديد من السوريين شكَّكوا بصدق هذا التحوُّل الأيديولوجي، فضلًا عن مواجهة مُعارَضة من أتباع جناح حماة الذين اتهموا البيانوني بمحاولة استرضاء النظام والمعارضة العلمانية.[1]

(1) أبو رمان، الإسلاميون والدين والثورة، مرجع سابق، ص18.

أولًا: الإخوان المسلمين والثورة السورية بعد 2011:

اختلف المُحلِّلون في تحديد قوة الجماعة في ظلِّ قيام الثورة؛ إذ رأى بعضهم أنَّها كانت تتبع من داخل المعارضة، في حين تجاهل آخرون أهميتها تمامًا. وقد عزا محمد أبو رمّان هذا الارتباك إلى المرحلة التي غابت فيها الجماعة سياسيًّا واجتماعيًّا عن المشهد السوري منذ أحداث حماة.[1] وما زاد من إرباك المُحلِّلين في تقدير قوة جماعة الإخوان السورية، عدم الفصل بين قوة الجماعة في الخارج وقوتها في الداخل. وقد أكَّد ذلك أرون لوند الذي عَدَّ جماعة الإخوان مُجرَّد فصيل واحد فقط بين العديد من الفصائل في الحركة الثورية السورية. صحيح أنَّه لاعب سياسي مُنضبِط وفاعل، ولكنَّه يفتقر إلى القوة البشرية والسلطة في الداخل السوري، خلافًا للجماعة في الخارج التي تتمتَّع بقوة مُؤثِّرة في مجتمع الشتات، ولها ارتباطها ومؤسساتها القائمة منذ أمد طويل.

وفي هذا السياق، أشار محمد أبو رمان إلى أنَّ مرحلة ما قبل الثورة امتازت بحضور مؤسسي وسياسي سري للجماعة، وما إنْ قامت الثورة حتى بدأت الجماعة تُرمِّم أُطرها المُفكَّكة والمُمزَّقة نتيجة سياسة الاجتثاث التي عانتها من سياسة النظام السوري، وهجرة معظم قياداتها إلى الخارج؛ ما أدّى إلى حدوث فجوة في عملها التنظيمي على الساحة السورية.[2]

وبالرغم من ذلك، فقد تمكَّنت جماعة الإخوان في سوريا، مقارنةً بأحزاب المعارضة الأُخرى، من تشكيل أكثر القوى تنظيمًا وحضورًا في عهد حكم بشّار الأسد، وفي أثناء ثورات الربيع العربي. ويتفق المُحلِّلون على أنَّ جماعة الإخوان قبل الثورة كانت من أكبر الجماعات السورية المُعارِضة وأفضلها من حيث التمويل.

وهذا ما أكَّده أبو رمّان حين قال إنَّ جماعة الإخوان في سوريا من أعرق الحركات الإسلامية السورية، وأكثرها حضورًا في التاريخ السياسي السوري المعاصر، لكنَّ إسهامها في الثورة المسلحة كان مُتواضِعًا، ويكتنفه الغموض، لا سيَّما في علاقتها بالفصائل المسلحة. ويُؤيِّد هذا القول أرون لوند المُتخصِّص في الشأن السوري؛ إذ قال إنَّ جماعة الإخوان في سوريا لم تكن قوية، كما يُعتقَد عمومًا، وإنَّ قدرتها السياسية والتنظيمية الفعلية كانت أكثر

(1) المرجع السابق، ص17.

(2) المرجع السابق، ص17-18.

تواضعاً؛[1] نظرًا إلى الصورة المخيفة التي رُسِمت لها، وهي سياسة اتبعها مُعارِضو الجماعة، مُمثَّلين في نظام الأسد، والدول الغربية، والمجموعات المناوئة للإخوان.

ما إنْ قامت الثورة في سوريا حتى واجهت جماعة الإخوان المسلمين تحديًا رئيسًا تمثَّل في التكيُّف مع الحراك الثوري؛ لتعزيز وجودها، وترسيخ مواقعها في الثورة التي اندلعت في الداخل السوري. وكانت الجماعة قد عملت في المنفى منذ نحو ثلاثين عامًا، في جو مُلبَّد بالنزاعات الداخلية بين قيادات الجماعة؛ تحقيقًا لمآرب شخصية، وإثباتًا للوجود في المناطق التي تدور في فَلكها، وظهر ذلك جليًّا بين جناحي الجماعة في حماة وحلب، في ظلِّ عدم الاهتمام بتعزيز نفوذها في الداخل السوري بجيل من الشباب يُواكِب التطوُّرات السياسية والاجتماعية التي شهدتها الساحة السورية عام 2011م.

والحقيقة أنَّ اشتعال فتيل الثورة السورية في منتصف شهر آذار من عام 2011م، مثَّل مفاجأة لجماعة الإخوان المسلمين السوريين التي يقيم قادتها في الخارج، ومثَّل أيضًا صدمة ومفاجأة للنظام الحاكم، والأحزاب السياسية المُؤيِّدة للنظام وتلك المُعارِضة له؛ إذ خرج إلى الشوارع جيل جديد من الشاب، مُعارِض للنظام، بعيدًا عن التيارات السياسية والأحزاب والكيانات؛ جيل غرٌّ حديث العهد بالسياسة، دفعته سياق الأحداث إلى الميدان، وزادت من زخمه وسائل التواصل الاجتماعي، وكان القاسم المشترك بين جميع هؤلاء الشباب هو الشعور بالظلم، وانسداد الأفق أمام وجه التغيير، والقنوط من تحقيق العدالة؛ إذ لم تجمعهم استراتيجية أو أيديولوجية معينة، وإنَّما جمعهم برنامج عمل غير متكامل، وأهداف غير واضحة،[2] رافعين شعارات الحرية والعدالة والكرامة، وإنْ غلب على كثير منهم النزعة الإسلامية السلفية المحافظة، مُتأثِّرين بالمدارس والثانويات الشرعية الداخلية التي انتشرت في عهد حافظ الأسد، وأُقيمت في مراكز المدن الصغيرة والمتوسطة، لا سيَّما ريف دمشق، وإدلب، ودرعا.[3]

أظهرت جماعة الإخوان المسلمين تردُّدا في المشاركة في الثورة لحظة اندلاعها؛ لعدم يقينها من نجاح الثورة في تحقيق أهدافها.[4] وهذا ما أكَّدته عبير حمود التي عَزَتْ تردُّد الجماعة

(1) لوند، الصراع من أجل التكيف، مرجع سابق.

(2) النيال، عبد القادر. ماذا يجري في سورية؟، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2017م، ص154. سيشار إليه لاحقًا بـ: النيال، ماذا يجري في سورية؟.

(3) المرجع السابق، ص155.

(4) أبو رمان، الإسلاميون والدين والثورة، مرجع سابق، ص19.

في الالتحاق بصفوف الثورة إلى شكوكها في حتمية الانتصار على النظام، وإدراكها ضعف قوة الجماعة داخل سوريا.[1] ولكن، ما إنْ أدركت حقيقة استمرار الثورة وديمومة الصدام بين المجتمع السوري والنظام، وأنَّ مجريات الأحداث تسير نحو اللاعودة، وبخاصة بعد الفظائع التي ارتكبها النظام ضد المشاركين في المسيرات السلمية؛ حتى أخذت الجماعة تشارك تدريجيًّا في أنشطة المعارضة.

بدأت الجماعة تتواصل مع قيادة الثورة الشبابية في الداخل السوري، لكنَّها اصطدمت بحقيقة افتقارها إلى القوة البشرية وضعف السلطة داخل سوريا، بالرغم من تمتعها بقوة مُؤثِّرة في مجتمع الشتات، عندئذٍ أدركت الجماعة مدى عمق الهُوَّة بينها وبين جيل شباب الثورة. وقد عزا مُحلِّلون ذلك إلى أسباب عِدَّة، منها: استقرار قادة الإخوان خارج سوريا أكثر من ثلاثين عامًا، حيث شاخوا في دول المنفى، وأصابهم الهرم (أغلب هؤلاء تجاوزوا سنَّ السبعين عامًا). وكذلك عدم تواصل قادة الجماعة بصورة فعلية مع الداخل السوري بُغْيَةَ إعادة تأسيس قواعد للجماعة داخل سوريا.

وقد ذكر بعض المُحلِّلين سببًا آخرَ لذلك مفاده أنَّ جيل الإخوان نشأ وترعرع في أحضان الطبقة المتوسطة التي تسكن مدينة دمشق، وحلب، وحمص وحماة، في حين جاء زخم الثورة من المناطق الفقيرة والريفية[2] في إدلب، ودير الزور، ودرعا.[3] غير أنَّ ذلك كله لم يُثنِها أنْ تُقدِّم الدعم للثورة من الخارج، مستفيدةً من إمكاناتها وقوتها، مقارنةً بأحزاب المعارضة الأُخرى.

لم يألُ الإخوان جهدًا في محاولة إثبات وجودهم المُتواضِع على ساحة الثورة، عن طريق تجنيد الحلفاء من أقارب عناصر الإخوان في سوريا، بعد إغرائهم بالدعم المالي. ويُمكِن إجمال الاستراتيجية التي اتبعها الإخوان داخل سوريا في ما يأتي:

---

(1) حمود، تيارات الإسلام السياسي وتحولها إلى العنف، مرجع سابق. انظر أيضًا:
– لوند، الصراع من أجل التكيف، مرجع سابق.

(2) المرجع السابق.

(3) القيادي الإخواني محمد سيد في لقائه على قناة (حوار) في برنامج: مراجعات، الحلقة السابعة، بتاريخ 2018/4/24م. الرابط الإلكتروني:
https://www.youtube.com/watch?v=oSNcLUokZLo

1- دعم غير الأعضاء في محاولةٍ لكسب حلفاء جُدُد، وإيجاد مصادر للمعلومات في الحراك الثوري.

2- إحياء الشبكات التنظيمية القديمة، عن طريق الروابط الأُسرية، وتعبئة الأُسر الإخوانية السابقة.

3- بناء تحالفات مع القادة الرئيسيين في الحراك الشعبي وقادة المناطق.

4- عقد تحالفات مع أطراف المعارضة في الخارج؛ لبسط نفوذها على المجموعات في الداخل السوري.[1]

تُصنَّف جماعة الإخوان المسلمين السورية ضمن حركات المعارضة المهاجرة[2] التي هجرت سوريا عام 1982م، وعملت قيادتها على مدار ثلاثة عقود من دول المهجر في تركيا، وقطر، والسعودية، وألمانيا، وبريطانيا، وغيرها. وقد عُدَّت الجماعة من أكبر الحركات الإسلامية السورية، وأعرق أحزاب المعارضة فيها؛ إذ كان لها حضور فاعل وكبير في مسيرة المعارضة السورية التي تعمل من الخارج. وقد دأبت الجماعة – قبيل قيام الثورة السورية– على الترويج بأنَّها تتبع النهج الإسلامي الوسطي المعتدل، في محاولةٍ منها لتغيير الصورة الذهنية النمطية التي وُسِمت بها إبّان أحداث السبعينيات والثمانينيات من القرن المنصرم.

بدأ نشاط الجماعة في العمل الثوري السلمي عن طريق مجموعات من شباب الحركة في الخارج، وكان حضور الجماعة الأبرز في المجال الإعلامي؛ إذ أسَّست مجموعة منهم صفحة "الثورة السورية 2011م" في موقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك"؛ ما ساعد على ضبط سير المظاهرات، واختيار الشعارات يوم الجمعة، وفي المسيرات. وقد حظيت هذه الصفحة بإعجاب الكثيرين، وعُدَّت من أكثر الصفحات قراءة، ثم تحوَّلت لاحقًا إلى أحد أهم المنابر الإعلامية التي تنقل أخبار الثورة ويومياتها وتطوُّراتها.[3] وفي هذا السياق، بيَّن أرون لوند أنَّ

(1) الحداد، الإخوان المسلمون في سوريا ريادة نهج العنف، مرجع سابق.

(2) لقاء مع المراقب العام محمد وليد، مرجع سابق.

(3) أبو رمان، الإسلاميون والدين والثورة، مرجع سابق، ص19. انظر أيضًا:
– حمود، تيارات الإسلام السياسي وتحولها إلى العنف، مرجع سابق.

الصفحة التي أُعلِن أنَّها مستقلة رسميًّا كانت تضم في إدارتها عددًا من أنصار جماعة الإخوان المسلمين السورية.[1]

لقد عملت الجماعة في المنفى – على مدار ثلاثين عامًا– على بناء مؤسسات سياسية واجتماعية وإغاثية، وسارعت إبّان قيام الثورة السورية في شهر آذار من عام 2011م، إلى المشاركة في المعارضة السلمية الخارجية والسياسية تدريجيًّا،[2] مُستثمِرةً تلك المؤسسات في دعم الثورة، وترسيخ وجود الجماعة[3] فيها.

بحثت عبير حمود في طبيعة بعض المؤسسات التابعة للجماعة، التي تعمل من الخارج السوري، وفي الآليات المُتَّبَعة لمساعدة السوريين.[4] وقد انتهى بحثها إلى وجود مجموعة من المؤسسات المُنتخَبة عملت على تنظيم عمل جماعة الإخوان السورية، عن طريق مجلس شورى يُصدِر التشريعات الداخلية، وسلطة تنفيذية يرأسها المُراقِب العام، في حين تُقِرُّ محكمة عليا النظام الداخلي.[5] وفي ما يأتي أهم المؤسسات التي تُمثِّل واجهةً لجماعة الإخوان المسلمين في سوريا، أو تلك المُقرَّبة جدًّا منها:

1- **رابطة العلماء السوريون برئاسة محمد الصابوني:** الذي يُعَدُّ مرجعًا في علوم القرآن الكريم، وأحد العلماء المعروفين في العالَم العربي. وهي تضم أيضًا شخصيات وقيادات إخوانية معروفة ومُؤثِّرة.[6] وقد عملت الرابطة على دعم سياسة تمكين الجماعة في الثورة السورية، وإصدار الفتاوى، وعقد المؤتمرات المُؤيِّدة للثورة السورية.

2- **رابطة أدباء الشام التي يرأسها عبد الله الطنطاوي،** ولها موقع إلكتروني مُتخصِّص في نشر المقالات، والآراء، والبيانات، والأعمال الأدبية ذات الصلة بالثورة السورية.[7]

---

(1) لوند، الصراع من أجل التكيف، مرجع سابق.

(2) أبو رمان، الإسلاميون والدين والثورة، مرجع سابق، ص19.

(3) لوند، الصراع من أجل التكيف، مرجع سابق.

(4) حمود، تيارات الإسلام السياسي وتحولها إلى العنف، مرجع سابق.

(5) المرجع السابق.

(6) لوند، الصراع من أجل التكيف، مرجع سابق.

(7) أبو رمان، الإسلاميون والدين والثورة، مرجع سابق، ص20.

3- **مؤسسة وطن المُسجَّلة في المملكة المتحدة**، التي يُعتقَد أنَّها واجهة لمجموعات تابعة للإخوان المسلمين، ويعمل في إطارها منظمات غير حكومية مُتخصِّصة في مجال المساعدات الإنسانية، والتمويل، والإعلام،[1] ويتبع لها مجموعة من المؤسسات تعمل في مجالات مختلفة، مثل: مؤسسة الريّان للعمل الخيري والإنساني في سوريا، ومؤسسة جيل الحرية المُتخصِّصة في حقوق الإنسان والحريات العامة، والمركز السوري للدراسات، والمركز السوري للأعمال، والمركز الوطني السوري للإعلام، ومؤسسة خير الخيرية التي تُعَدُّ من أهم المؤسسات المُتخصِّصة في العمل الخيري والتطوعي لمساعدة السوريين.[2]

وكان محمد أبو رمّان قد أشار إلى أنَّ "وطن ترفض رفضًا تامًّا أنْ يكون لها أيُّ اتجاه سياسي معتمد، وتُؤكِّد أنَّ عملها لا يمتُّ بصلة إلى الاتجاهات السياسية."[3] بيد أنَّ عبير حمود تُؤكِّد مشاركة وطن في تجنيد العمالة الوافدة السورية، ولا سيَّما أبناء الأُسر المُرتبِطة تاريخيًّا بجماعة الإخوان المسلمين. وفي هذا الشأن، اقتبس أرون لوند عن مالك عبده، وهو صحفي بريطاني من أصل سوري مُلِمٌّ بالسياسة الإسلامية، ما نصُّه: "إنَّها مسألة رعاية." وقال إنَّ ما يفعلونه هو تجنيد منظمتهم للإمساك بالناس، ولا سيَّما الشباب منهم الذين يُمكِن إلحاقهم بالجيش، أو تعيينهم في الوزارات، أو نشرهم في الشوارع بعد سقوط النظام.[4]

4- **حزب وعد (الحزب الوطني للعدالة والدستور)**، حزب سوري وطني مستقل ذو مرجعية إسلامية وسطية، تأسَّس في إسطنبول عام 2013م، وأُعلِن عن قيامه في مدينة إدلب عام 2014م. ترى بهية مارديني أنَّ فكرة إنشاء الحزب شبيهة بفكرة إنشاء حزب الحرية والعدالة المصري الذي تأسَّس عام 2011م، وكان من أبرز مؤسسيه محمد حكمت وليد الذي ترأَّس الحزب عند قيامه، ثم أصبح عام 2014م المُراقِب العام لجماعة

---

(1) حمود، تيارات الإسلام السياسي وتحولها إلى العنف، مرجع سابق.

(2) انظر الموقع الإلكتروني الرسمي لوطن على الرابط: https://watan.foundation/

(3) أبو رمان، الإسلاميون والدين والثورة، مرجع سابق، ص20.

(4) لوند، الصراع من أجل التكيف، مرجع سابق.

الإخوان المسلمين، وذكر أنَّ الإخوان شاركوا في إنشاء هذا الحزب، وأنَّه يُمثِّل أحد مشاريعها، لكنَّه ليس ذراعًا سياسيا للإخوان.[1] وقد تبنّى الحزب دعم الثورة في مطالبها المُتمثِّلة في الانتقال بسوريا من مرحلة الدكتاتورية الشمولية إلى مرحلة الحريات والعدالة الدستورية، وتحقيق التنمية على مختلف المستويات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية.[2]

أمّا نائب رئيس الحزب نبيل قسيس فقد نفى أنْ يكون الحزب فقط مبادرة إخوانية، وإنَّما هو أيضًا مبادرة يسارية، مشيرًا إلى أنَّ التقاطع بين التيارات الإسلامية اليسارية أدّى إلى ولادة حزب، يضم في مكتبه التنفيذي أربعةً من الإخوان، وإسلاميّيْنِ ليبراليّيْنِ، وخمسة يساريين؛ ما يمنع الإخوان من التحكُّم في قراراته، ويُحقِّق التنمية لسوريا في جميع المجالات الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية.[3]

5- **مجموعة العمل الوطني من أجل سوريا**، أنشأ هذه المجموعة نفر من الشباب استقلوا عن الجماعة؛ نتيجةً لانتخابات الجماعة، وسيطرة جناح حماة عليها، وكان تأسيسها مطلع عام 2011م.[4] وقد تبنَّت المجموعة خطابًا ديمقراطيًّا إصلاحيًّا، وأدَّت دورًا رائدًا في إنشاء المجلس الوطني السوري في شهر أيلول من عام 2011م، وانتُخِب أحمد رمضان ومحمد فاروق طيفور عضوين للمكتب التنفيذي في المجلس.[5]

---

(1) لقاء مع المراقب العام محمد وليد، مرجع سابق.

(2) ماردیني، بهية. إخوان سوريا يشكلون جزءاً يشبه حزب الحرية والعدالة المصري، موقع (إيلاف)، تاريخ 2013/6/25م. الرابط الإلكتروني:
https://elaph.com/web/news/2013/6/820450.html

(3) موقع (العربي الجديد)، سوريا (وعد)، حزب إخواني يساري ليبرالي، تاريخ 2014/3/27م. الرابط الإلكتروني:
https://www.alaraby.co.uk/%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7%22%D9%88%D8%B9%D8%AF%22%D8%AD%D8%B2%D8%A8%D8%A5%D8%AE%D9%88%D8%A7%D9%D9%80% %86%D9%8A%D9%80
D9%8A%D8%B3%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D9%80%D9%80%D9%84%D9%8A%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%84%D9%8A

(4) المرجع السابق.

(5) قنديل، ناصر. الصراع من أجل التكيف: الإخوان المسلمون في سورية، موقع (توب نيوز)، تاريخ 2013/10/1م. سيشار إليه لاحقًا بـ: قنديل، الصراع من أجل التكيف: الإخوان المسلمون في سورية. الرابط الإلكتروني:

ثانيًا: دور جماعة الإخوان في الهيئات السياسية التي شكَّلتها المعارضة خارج سوريا:

1- المجلس الوطني السوري:

أُعلِن عن تشكيل المجلس الوطني السوري في الثاني من تشرين الأول عام 2011م، في مدينة إسطنبول، بدعم من الحكومة التركية.[1] وقد دعا المجلس في بيانه التأسيسي إلى إسقاط جميع أركان النظام ورموزه، بمَنْ فيهم رئيس الدولة، وشُكِّل له قيادة سياسية وأمانة عامة، وعَدَّ نفسه العنوان الرئيس للثورة السورية، والهيئة السياسية التي تربط سوريي الداخل بالخارج،[2] وضمَّ أغلب أطياف المعارضة، وعمل على تنسيق تحرُّكاتها،[3] مُعلِنًا أنَّه سيُوفِّر الدعم اللازم للثورة، ويكون الإطار المُوحَّد للمعارضة، استنادًا إلى ثلاثة مبادئ عامة ومشتركة، هي:

أ- مواصلة النضال إلى حين سقوط نظام بشّار الأسد.

ب- اللجوء إلى الوسائل السلمية لتحقيق جميع المطالب.

ج- الحفاظ على سلامة الأراضي السورية.[4]

عقد برهان غليون؛ المعارض والأكاديمي السوري الذي أصبح أول رئيس للمجلس، مؤتمرًا صحفيًّا بيَّن فيه أهداف المجلس ومسؤولياته، ونوَّه "بأنَّ القوى المُوقِّعة على البيان تُعلِن عن تشكيل المجلس الوطني السوري إطارًا لوحدة القوى المعارضة والثورة السلمية، وأضاف أنَّ هذا المجلس هو العنوان الرئيس للثورة السورية، ويُمثِّلها في الداخل والخارج، ويعمل على تعبئة فئات الشعب السوري، ويُوفِّر الدعم اللازم من أجل تقدُّم الثورة وتحقيق تطلُّعات شعبنا بإسقاط

http://www.topnews-nasserkandil.com/final/Full_Article.php?id=2748

(1) فرغلي، ماهر. إخوان سوريا وماذا يفعلون، موقع (أمان)، تاريخ 2018/6/5م. سيشار إليه لاحقًا بـ: فرغلي، إخوان سوريا وماذا يفعلون. الرابط الإلكتروني:

http://aman.dostor.org/show.aspx?id=11094

(2) بشارة، سورية: درب الآلام نحو الحرية، مرجع سابق ص405.

(3) النيال، ماذا يجري في سورية؟، مرجع سابق، ص191.

(4) المرجع السابق، ص191.

النظام القائم بكل أركانه، بما فيه رأس النظام، وإقامة دولة مدنية دون تمييز على أسس القومية، أو الجنس، أو المُعتقَد السياسي، أو الديني."[1]

وقد أسهمت جماعة الإخوان المسلمين في تأسيس المجلس الوطني السوري، وهي تُعَدُّ المُكوّن الرئيس له، وتُمثِّل نحو ربع أعضائه، البالغ عددهم (310) أعضاء،[2] وبخاصة أعضاء مجموعة العمل الوطني من أجل سوريا، التي عُدَّت القوة المُؤثِّرة فيه.[3] وفي هذا الصدد، أشار محمود وليد المُراقِب العام لجماعة الإخوان المسلمين في سوريا (2014م) إلى أنَّ الجماعة أسهمت بفاعلية في تشكيل العديد من الأجسام المعارضة للنظام السوري، بما في ذلك المجلس الوطني السوري.[4]

ضمَّ المجلس المجموعات الرئيسة التي أسَّسته، وهي: الكتلة الوطنية، وإعلان دمشق، وتحالف الإخوان المسلمين، والكتلة الكردية، ومنظمة الآشوريين، وربيع دمشق، والحركة الشعبية، وشخصيات وطنية مستقلة.[5] أمّا أمانته العامة فضمَّت (29) عضوًا يُمثِّلون (7) مجموعات، توزَّعت على النحو الآتي: (6) مُمثِّلين عن اللجان التنسيق المحلية، و(5) مُمثِّلين عن الإخوان المسلمين، و(4) مُمثِّلين عن إعلان دمشق، و(4) مُمثِّلين عن التيار الليبرالي برئاسة برهان غليون، و(4) مُمثِّلين عن الأكراد، ومسيحي واحد، و(5) مستقلين.[6]

---

(1) المرجع السابق، ص193.

(2) جماعة الإخوان المسلمين في سورية، بيروت: مركز كارنيغي للشرق الأوسط، تاريخ 2012/2/1م. سيشار إليه لاحقًا بـ: جماعة الإخوان المسلمين في سورية. الرابط الإلكتروني: https://carnegie-mec.org/syriaincrisis/?fa=48396

(3) فرغلي، إخوان سوريا وماذا يفعلون، مرجع سابق.

(4) لقاء مع المراقب العام محمد وليد، مرجع سابق.

(5) المجلس الوطني السوري، بيروت: مركز مالكوم كير كارنيغي للشرق الأوسط، تاريخ 2013/9/25م. الرابط الإلكتروني:
https://carnegie-mec.org/syriaincrisis/?fa=48399

(6) النيال، ماذا يجري في سورية؟، مرجع سابق، ص194. انظر أيضًا:
- بشارة، سورية: درب الآلام نحو الحرية، مرجع سابق، ص406.

اتبعت الجماعة سياسة الحفاظ على مكانة غير بارزة في المجلس؛ لكيلا يُظَنَّ أنَّها الجهة المُهيمِنة عليه،[1] وتجنُّبًا لأيِّ اعتراض من فصائل المعارضة السورية والأطراف العربية والدولية، لا سيَّما الولايات المتحدة الأمريكية. ولهذا لم تطرح الجماعة مُرشَّحًا خاصًّا بها لرئاسة المجلس، وإنَّما قدَّمت بعض الشخصيات اليسارية العلمانية التي تربطها بها علاقات جيدة، وتتفق معها في الرؤى والتطلُّعات، مُمثَّلةً في برهان غليون (2011/11م– 2012/5م)، وعبد الباسط سيدا (2012/5م–2012/11م)، وجورج صبرة (2012/11م–2015م)، علمًا بأنَّها لم تمارس أيَّ ضغطٍ لإدراج المبادئ الإسلامية في برنامج المجلس.

صحيح أنَّ جماعة الإخوان في سوريا لم تشغل سوى (20) مقعدًا من أصل (310) مقاعد في الهيئة العامة للمجلس، غير أنَّها كانت تتمتَّع بنفوذ قوي في الأمانة العامة للمجلس الوطني والمكتب التنفيذي؛ إذ كانت تتلقّى الدعم من أعضائها العشرين، ومن الإسلاميين المستقلين، مثل جماعة الـ (74) ومعظمهم من الأعضاء السابقين في جماعة الإخوان المسلمين، ومن بعض الحلفاء في المعسكر الليبرالي،[2] وبخاصة إبراهيم غليون، فضلًا عن العشائر التي كانت تَدين بالولاء لجماعة الإخوان المسلمين.[3] وهذا يُؤكِّد تشكيلها كتلة داعمة عريضة في الجمعية العامة للمجلس الوطني؛[4] ما ساعدها على تمرير قرارات تُوافِق مصالحها

---

(1) Blanga, Yahuda, The Role of the Muslim Brother head in the Syrian Civil War, Middle East Foragn Polieg, VXXIV, fall, 2017.

سيشار إليه لاحقًا بـ:

The Role of the Muslim Brother head in the Syrian Civil War. Blanga,

(2) المجلس الوطني السوري، مرجع سابق.

(3) لقاء رياض الترك مع جريدة (القدس العربي)، رياض الترك: في أول حديث له بعد خروجه مُتسلِّلًا من سوريا، تاريخ 2018/9/2م. الرابط الإلكتروني:

https://www.alquds.co.uk/%EF%BB%BF%D9%81%D9%8A%D8%A3%D9%88%D9%84%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%AB%D9%84%D9%87%D8%A8%D8%B9%D8%AF%D8%AE%D8%B1%D9%88%D8%AC%D9%87%D9%85%D8%AA%D8%B3%D9%84%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%86%D8%B3%D9%88%D8%B1

(4) The Role of the Muslim Brother head in the Syrian Civil War. Blanga,

وتوجُّهاتها في مجالات عِدَّة، ويتعلَّق أهمها بالعمليات العسكرية والمساعدات الإنسانية، وهما المجالان اللذان استأثر بهما معظم دعم المعارضة.

يضاف إلى ذلك أنَّ جماعة الإخوان مثَّلت الفصيل الأكبر والأكثر تماسكًا وتأثيرًا داخل المجلس الوطني؛[1] ما دفع بخصوم الجماعة والنقّاد وبعض الدول إلى اتهام الجماعة بأنَّها تدير شؤون المجلس، وتمارس نفوذًا مُفرِطًا في عملية صنع القرار وتبنّي السياسات. وفي مسعًى منها إلى تهدئة تلك المخاوف، أصدرت جماعة الإخوان السورية وثيقة "عهد وميثاق" جديدة، في الخامس والعشرين من شهر آذار عام 2012م، تُجدِّد فيها التزامها بالدستور المدني، والديمقراطية الكاملة والمساواة، بغضِّ النظر عن العِرق، والدين، والجنس، وحرية المُعتقَد.[2]

في أوائل شهر تشرين الثاني من عام 2012م، زاد المجلس الوطني عدد مقاعد الجمعية العمومية إلى (420) مقعدًا. وبعد وقت قصير، انتُخِب في اجتماع المجلس الخاص الذي عُقِد في الدوحة رئاسته وأطره التنفيذية القريبة من الإخوان؛ ما عزَّز سطوة الجماعة في الأمانة العامة والمكتب التنفيذي، وزاد هيمنة الإخوان على المجلس. فمثلًا، انتُخِب – بدعم من الإخوان– محمد فاروق طيفور[3] القيادي البارز في الجماعة نائبًا لرئيس المجلس ورئيس مكتب مشاريع الإغاثة والتنمية، وجورج صبرة (المُقرَّب إلى الإخوان، وهو مسيحي أرثوذكسي من المعسكر اليساري) رئيساً للمجلس.[4]

وفي المقابل، واجه المجلس الوطني مشكلات وعقبات عِدَّة حالت دون الحفاظ على وحدته الداخلية؛ إذ انسحب منه المجلس الوطني الكردستاني الذي يضم (11) حزبًا كرديًّا في شهر نيسان من عام 2012م، ولم تكن علاقة المجلس الوطني بالجيش السوري الحر أفضل حالًا،[5] وأعلنت مجموعة العمل الوطني السوري، التي تُعَدُّ منبرًا مُتميِّزًا داخل المجلس الوطني السوري، انشقاقها في شهر شباط من عام 2012م، بحجة عجز المجلس، وتقاعسه عن العمل،

(1) جماعة الإخوان المسلمين في سورية، مرجع سابق.

(2) المجلس الوطني السوري، مرجع سابق.

(3) نائب عام المراقب العام لجماعة الإخوان محمد رياض الشقفة، ومُمثِّل الجناح الحموي، وهو من الشخصيات التنظيمية الفاعلة في الجماعة.

(4) The Role of the Muslim Brother head in the Syrian Civil War. Blanga,

(5) المجلس الوطني السوري، مرجع سابق.

وقدَّم أعضاء المجموعة استقالاتهم الجماعية من المجلس، وتبعهم نحو (70) عضوًا آخرين. وبالرغم من عودة هؤلاء إلى المجلس بعد ذلك بأسبوعين، عند محاولة المجلس توحيد صفوفه قبل اجتماع مؤتمر أصدقاء سوريا في إسطنبول في الأول من شهر نيسان عام2012م، فإنَّ العلاقات بين الأعضاء ظلَّت متوترة.

في منتصف شهر حزيران من عام 2012م، أدَّت خلافات في المجلس الوطني السوري بين مجموعة الـ (74) (المؤلّفة بمعظمها من أعضاء سابقين في جماعة الإخوان المسلمين، العديد منهم من رجال الأعمال) وفصائل أُخرى أصغر حجمًا من الكتلة الوطنية إلى انشقاق هذه الأخيرة إلى جناحين؛ يرأس أولهما أحمد رمضان، ويحمل اسم اتحاد التنسيق الديمقراطي، ويرأس ثانيهما رضوان زيادة. وقد تمكَّن المجلس الوطني السوري من حلِّ هذا الخلاف؛ بمنح كلا الجناحين ثلاثة مقاعد في الأمانة العامة، ومقعدًا واحدًا في المجلس التنفيذي، ليتضاعف بذلك تمثيل الكتلة الوطنية في المجلس، وتتلاشى مخاوف بعض الأوساط الحزبية في المجلس من تنامي نفوذ الإسلاميين فيه.[1]

أوضح عزمي بشارة في كتابه (درب الآلام نحو الحرية) أنَّ المجلس الوطني لم ينجح في إحداث نقلة نوعية في مسار الثورة السورية بسب عقلية المحاصصة التي تشترط التوافق؛ ما جعل اتخاذ أيِّ قرار للأمانة العامة والمكتب التنفيذي رهنًا بموافقة الكتل كلها، وهو ما أدّى إلى تعطيل فاعلية المجلس، وشلِّ حركته نتيجة الخلافات المُتكرِّرة بين الكتل.[2]

لقد فشل المجلس الوطني السوري في تحقيق أهم أهدافه، وهو توحيد صفوف المعارضة السورية تحت مظلة واحدة، وخيَّب آمال أطراف سورية مُعارِضة، وأطراف عربية ودولية. وإدراكًا من قيادة المجلس فشلها في تحقيق الوحدة، وما آلت إليه أوضاع الثورة السورية، وحالة الشرذمة والانقسام التي يعانيها المجلس؛ فقد طرح المجلس مُقترَحًا بديلًا عن الوحدة، يتمثَّل في تبنّي برنامج عمل سياسي تتفق عليه جميع الأطراف، ويستمر العمل به مدَّة انتقالية مُحدَّدة.[3]

---

(1) المرجع السابق.

(2) بشارة، سورية: درب الآلام نحو الحرية، مرجع سابق، ص406-407.

(3) المجلس الوطني السوري، مرجع سابق.

إلى جانب ذلك، تقدَّمت شخصيات المعارضة بمبادرات أُخرى لمواجهة الأزمة بعد فشل المجلس الوطني، كان أبرزها مبادرة رياض سيف التي اصطُلِح على تسميتها هيئة المبادرة الوطنية، وذلك بإقامة جسم جديد، وقد ارتكز عليها الجهد القطري والتركي والعربي لتوحيد المعارضة السورية. ذكر عزمي بشارة أنَّ رياض سيف حمل في أثناء مارثون المشاورات في قطر وعودًا غربية بالاعتراف بالجسم الجديد ودعم أنشطته الإغاثية والسياسية بمليارات الدولارات، واتُّفِق – فيما بعدُ– على تسميته الائتلاف الوطني، وتبلورت فكرة تشكيله بحيث يضم برلمانًا يتولّى الإشراف على تشكيل حكومة مُؤقَّتة، وهيئة قضائية، ومجلس عسكري مُوحَّد.[1]

رأى الائتلاف الوطني لقوى الثورة المعارضة السورية النور يوم الحادي عشر من شهر تشرين الثاني عام 2012م، بعد أخذ موافقة المجلس الوطني السوري – بأطيافه المختلفة– الذي تمكَّن من الاستئثار بالحصة الكبرى من مقاعد الائتلاف؛ إذ فاز بـ(22) مقعدًا من أصل (60) مقعدًا بما نسبته (40%) من مجموع المقاعد.[2]

لم تكن عملية تأسيس الائتلاف سهلة؛ فقد مرَّت بمخاض عسير تخلَّلته مفاوضات ومباحثات طويلة مع أطراف المعارضة، ولا سيما المجلس الوطني السوري، الذي ارتاب أول الأمر من المبادرة المطروحة؛ لتجاوزها دوره ومكتسباته في ما يخصُّ شرعية تمثيل الشعب السوري، ولأنَّها جاءت استجابة لتحقيق مطالب أمريكية بتفكيك المجلس واستبدال[3] جسم جديد به. وكان رئيس المجلس الوطني جورج صبرة قد صرَّح بأنَّ الموافقة على تشكيل الائتلاف سيلغي دور المجلس الوطني السوري، وأنَّ توقيعه على الوثيقة التأسيسية للائتلاف – بوصفه رئيسًا للمجلس الذي قرَّر أكثر أعضائه الانضمام إليه– كان أشبه بإصدار حكم الإعدام على المجلس.[4]

---

(1) بشارة، سورية: درب الآلام نحو الحرية، مرجع سابق، ص408.

(2) Wikipedia, Syrian National Council, last update, 2016. Link: https://en.wikipedia.org/wiki/Syrian_National_Council

(3) بشارة، سورية: درب الآلام نحو الحرية، مرجع سابق، ص408.

(4) لقاء جورج صبرة مع موقع (أنا برس)، حوار الذكريات والكواليس، بتاريخ 2019/3/4م. الرابط الإلكتروني:

في العشرين من شهر كانون الثاني عام 2014م، أعلن المجلس الوطني السوري انسحابه من الائتلاف الوطني السوري احتجاجًا على قرار الأخير حضور مؤتمر جنيف من دون تحقيق الشروط المتفق عليها، وبخاصة عدم بقاء بشّار الأسد في السلطة، لكنَّه ما لبث أنْ عاد إلى الائتلاف في نهاية شهر شباط، مُعلِّلًا ذلك بفشل مفاوضات جنيف.[1]

http://www.anapress.net/ar/articles/%D8%AD%D9%88%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA/214035647514611/%D9%81%D9%8A%D8%AD%D9%%D8%A7%D8%B1%C2%AB%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%83%D8%B1%D9%8A%D8%A7%D8%AA%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%B3%C2%BB%D8%AC%D9%88%D8%B1%D8%AC%D8%B5%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%84%D9%80%C2%AB%D8%A3%D9%86%D8%A7%D8%A8%D8%B1%D8%B3%C2%BB%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B3%D9%87%D9%84%D9%86%D8%A7%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B9%D8%A7%D9%85%D9%84%D9%85%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B6%D9%8A%D8%A9!

(1) موقع (الحرة)، المجلس الوطني السوري قرَّر العودة إلى الائتلاف المعارض بعد فشل جنيف، تاريخ 1-2014/3/2م. الرابط الإلكتروني:

https://www.alhurra.com/latest/2014/03/01/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%B3%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B7%D9%86%D9%8A%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D9%8A%D9%82%D8%B1%D8%B1%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%88%D8%AF%D8%A9%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%A6%D8%AA%D9%84%D8%A7%D9%81%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D8%A7%D8%B1%D8%B6%D9%81%D8%B4%D9%84%D8%AC%D9%86%D9%8A%D9%812

انظر أيضًا:

- لقاء جورج صبرة مع قناه (DW)، لدينا ثلاثة شروط للمشاركة في جنيف-2، بتاريخ 2013/10/24م. الرابط الإلكتروني:

https://www.dw.com/ar/%D8%AC%D9%88%D8%B1%D8%AC%D8%B5%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%84%D9%80dw%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86%D8%A7%D8%AB%D9%84%D8%A7%D8%AB%D8%A9%D8%B4%D8%B1%D9%88%D8%B7%D9%84%D9%84%D9%85%D8%B4%D8%A7%D8%B1%D9%83%D8%A9%D9%81%D9%8A%D8%AC%D9%86%D9%8A%D9%812/a17180560

منذ نشأة هذا الائتلاف، أخذت قوى المجلس الوطني تتهاوى، بالرغم من تمثيله أكبر تجمُّعات المعارضة في المنفى ما بين عام 2012م وعام 2013م، حتى إنَّه عُدَّ مرجعًا رئيسًا لبعض البلدان التي تدعم المعارضة؛ فقد بذل المجلس جهودًا حثيثةً لكسب اعتراف دولي بوصفه المُمثِّل الشرعي والوحيد للشعب السوري، غير أنَّ بعض الأطراف نظرت إليه على أنَّه المُمثِّل الشرعي غير الوحيد للسوريين، وظلَّ المجلس يُصِرُّ على وجوده، واستمر في أداء دوره حتى عام 2015م، حيث انتهى دوره الفعلي الفاعل، واستمر وجوده اسميًّا وشكليًّا حتى أُغلِق مكتبه في إسطنبول نهاية عام 2018م.[1]

2- الائتلاف الوطني لقوى الثورة المعارضة السورية:

هو ائتلاف مجموعات المعارضة السورية في الثورة السورية، الذي تشكَّل في العاصمة القطرية الدوحة بتاريخ 2012/11/11م، وضمَّ (60) مقعدًا، ومثَّلت أعضاءَه معظمُ قوى المعارضة.[2]

جاء تأسيس الائتلاف نتيجة مبادرات عِدَّة لقوى وشخصيات مُعارِضة، إضافةً إلى ضغوط بعض القوى العربية والدولية[3] لتكوين تحالف جديد يكون فيه الإخوان المسلمون أقل سطوةً وتأثيرًا، ويراعى فيه التنوُّع والشمول أكثر ممّا كان في المجلس الوطني الذي لم يستطع تحقيق النتائج التي قام من أجلها بسبب الخلافات الداخلية بين أطيافه، والضغوط الخارجية من القوى العربية والدولية.

---

(1) المجلس الوطني السوري، مرجع سابق.

(2) موقع (المعرفة): الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية. الرابط الإلكتروني:
https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%A6%D8%AA%D9%84%D8%A7%D9%81%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B7%D9%86%D9%8A%D9%84%D9%82%D9%88%D9%89%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%88%D8%B1%D8%A9%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D8%A7%D8%B1%D8%B6%D8%A9%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A9

(3) دليل المعارضة السورية، الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، تاريخ 2013/12/13م. الرابط الإلكتروني:
https://www.bbc.com/arabic/middleeast/2014/01/131213syriapoliticaloppositionbackgroundd

ضمَّ الائتلاف بوجه خاص تمثيلًا أكبرَ للمجموعات العاملة داخل البلاد، وتمثَّل هدف تأسيسه أول الأمر في نيل اعتراف دولي على نطاق أوسع من المجلس الوطني، والحصول على مزيد من الدعم المالي والمادي،[1] وتلبية رغبة الأمريكان في تحجيم المجلس الوطني السوري الذي هيمن عليه الإخوان المسلمون، وأداروا فيه دفَّة قيادة المعارضة السورية، وصولًا إلى ولادة جسم يتوافق مع السياسات الأمريكية وتوجُّهاتها في المنطقة.[2]

وفي هذا السياق، أشار مُحلِّلون إلى أنَّ تفاهمات روسية أمريكية أفضت إلى ظهور هذا الجسم الجديد على الساحة السياسية السورية. وكان محمد سيد رصاص قد بيَّن في مقالته التي نُشِرت في جريدة "الأخبار" بتاريخ 2017/3/27م أنَّ تأسيس الائتلاف جاء نتيجة مُخطَّط أمريكي روسي لإيجاد جسم سوري مُعارِض يكون أكثر ملاءمةً من المجلس الوطني السوري الذي نشأ في أحضان تركيا، وأكثر قدرةً على التعامل مع استحقاقات التسوية السلمية للأزمة السورية.

وعرض رصاص للدور الأمريكي في تشكيل الائتلاف الذي أشرف عليه مباشرة مسؤول الملف السوري في وزارة الخارجية الأمريكية (السفير الأمريكي في دمشق) روبرت فورد الذي عمل بجهد على إعداد هذا الجسم المُعارِض، مُبيِّنًا أنَّ المسؤول الأمريكي واجه عقبات من الإخوان الذين رأوا في الجسم الجديد محاولةً لتهميش دورهم في الائتلاف الوطني.

لم يكن الإخوان وحدهم مَنْ عبَّر عن عدم ارتياحه لذلك الجسم ومُسوِّغات ميلاده؛ إذ أبدت أطراف أُخرى من المعارضة السورية قلقها وتوجُّسها حيال ذلك، ومن هؤلاء رياض الترك (الأمين العام السابق للحزب الشيوعي السوري، والسياسي المخضرم، والمُعارِض للنظام السوري منذ الثمانينيات، وعضو المجلس الوطني السوري) الذي أكَّد خشيته من ولادة هذا الجسم الجديد الذي سيُستخدَم لتمرير تسوية سلمية للأزمة السورية، بشروط أقل من تلك التي وضعها

---

(1) موقع (ائتلاف): الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية. الرابط الإلكتروني:
https://www.etilaf.org/syriancoalitioncomponents/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%AE%D9%88%D8%A7%D9%86%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%84%D9%85%D9%88%D9%86

(2) بشارة، سورية: درب الآلام نحو الحرية، مرجع سابق، ص408.

المجلس الوطني. ففي مقابلته مع صحيفة "القدس العربي" الصادرة من لندن يوم السادس من شهر كانون الأول عام 2012م، أكَّد أنَّ الائتلاف سيُشكِّل واجهة سياسية بديلة عن المجلس الوطني، الذي يراد له أنْ يختفي وَفقًا لرغبة الأمريكيين، واصفًا الائتلاف بأنَّه هبط بمظلة دولية لجرِّ المعارضة إلى التفاوض مع النظام وَفق إرادة وخطة أمريكية روسية.[1]

وقد أكَّد ذلك خالد الناصر الذي شغل منصب عضو اللجنة السياسية في الائتلاف؛ إذ أعلن أنَّ الائتلاف قد تشكَّل برعاية دولية للقيام بعملية الانتقال السياسي، وتأسيس حكومة مُؤقَّتة، وهيئة قضائية عليا، ومجلس عسكري أعلى، والحصول على اعتراف دولي بوصف الائتلاف المُمثِّل الوحيد لقوى الثورة والمعارضة، وتشكيل وفد للتفاوض في مواجهة وفد النظام في مؤتمر جنيف.[2]

لقد كان من أهداف تأسيس الائتلاف الوطني السوري تهميش دور جماعة الإخوان المسلمين، لكنَّ مصادر عِدَّة أشارت إلى إخفاق الائتلاف في تحقيق هذا الهدف على النحو الذي رسمه بعض أطراف المعارضة والقوى العربية والإقليمية؛ إذ ظلَّت الجماعة تتمتَّع بنفوذ واضح في الائتلاف، وانعكس ذلك على سياسته والقرارات والتوجيهات التي اتخذها. فقد حصلت جماعة الإخوان على نصيب الأسد في مجلس الائتلاف المُكوَّن من (60) عضوًا، وشارك أعضاء الإخوان في مُكوِّناته التأسيسية؛ فمنهم مَنْ دخل عن طريق عضويته في المجلس الوطني العشرين الذي نال الحصة الكبرى من مقاعد الائتلاف (40%)،[3] أمثال: محمد

---

(1) رصاص، محمد سيد. مأزق الائتلاف السوري: عقليتان متضادتان في جسم واحد، الأربعاء 27 شباط 2013م. سيشار إليه لاحقًا بـ: رصاص، مأزق الائتلاف السوري: عقليتان متضادتان في جسم واحد. الرابط الإلكتروني:
https://al-akhbar.com/Arab/46908

(2) لقاء خالد الناصر مع موقع (أنا برس)، الائتلاف موجود فقط لحاجة طرف إقليمي له كورقة مساومة، تاريخ 2018/5/8م. الرابط الإلكتروني:
http://www.anapress.net/ar/articles/%D8%AA%D9%82%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%B1%D9%85%D9%83%D8%AA%D9%88%D8%A8%D8%A9/227847448725823/%D9%82%D9%8A%D8%A7%D8%AF%D9%8A%D8%B3%D8%A7%D8%A8%D9%82%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%A6%D8%AA%D9%84%D8%A7%D9%81%D9%85%D9%88%D8%AC%D9%88%D8%AF%D9%81%D9%82%D8%B7

(3) بشارة، سورية: درب الآلام نحو الحرية، مرجع سابق، ص410.

فاروق طيفور، ونذير الحكيم، وأحمد رمضان، ومنهم مَنْ عُدَّ من الشخصيات الوطنية مثل علي صدر الدين البيانوني (المُراقِب العام السابق)، أو مُمثِّلًا عن رابطة العلماء السوريين مثل محمد الصابوني، فضلًا عن وجود أعضاء في الائتلاف مُقرّبين إلى الجماعة من أحزاب المعارضة الأُخرى، أمثال: جورج صبرة، وبرهان غليون، وعبد الباسط سيد.[1]

لقد انعكس نفوذ الجماعة على بعض القرارات والتوجُّهات التي اتخذها الائتلاف، وبخاصة عند اختيار رئيس الائتلاف؛ إذ أوضح الكاتب رصاص أنَّ فاروق طيفور (نائب رئيس المجلس الوطني عن جماعة الإخوان، الذي أصبح عضوًا في الائتلاف الوطني) اتفق مع رياض الترك (عضو المجلس الوطني السوري، والشخصية البارزة في حزب الشعب الديمقراطي)[2] على إفشال انتخاب ترشيح المُرشَّح الأمريكي لرئاسة الائتلاف؛ رياض سيف، وهو رجل أعمال سوري، وعضو سابق في مجلس الشعب،[3] نسَّق مع روبرت فورد تفاصيل تكوين الائتلاف. وقد انتُخِب الشيخ أحمد معاذ الخطيب،[4] وهو الإمام السابق للجامع الأموي في دمشق، في حين انتُخِب رياض سيف نائبًا للرئيس مع سهير الأتاسي، وهي ناشطة علمانية، وانتُخِب مصطفى الصباغ أمينًا عامًّا للائتلاف.[5] ولمّا بدأ الائتلاف الإعداد للمفاوضات اختير فاروق طيفور عضوًا في الهيئة العليا للمفاوضات، وهي صاحبة السلطة العليا في شؤون المفاوضات، حيث يخضع الفريق المفاوض ومعه فريق الخبراء لسلطتها.[6]

---

(1) وكالة الأناضول للأنباء، تشكيل الائتلاف الوطني السوري، تاريخ 2012/11/12م. الرابط الإلكتروني:
https://www.aa.com.tr/ar/archive/%D8%AA%D8%B4%D9%83%D9%8A%D9%84%D8%A9%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%A6%D8%AA%D9%84%D8%A7%D9%81%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B7%D9%86%D9%8A%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A/310336

(2) الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، مركز مالكوم كير كارنيغي للشرق الأوسط، (د.ت) الرابط الإلكتروني:
https://carnegie-mec.org/syriaincrisis/?fa=50819

(3) النيال، ماذا يجري في سورية؟، مرجع سابق، ص103. رجل أعمال سوري، وعضو سابق في مجلس الشعب.

(4) رصاص، مأزق الائتلاف السوري: عقليتان متضادتان في جسم واحد، مرجع سابق.

(5) الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، مرجع سابق.

(6) رصاص، مأزق الائتلاف السوري: عقليتان متضادتان في جسم واحد، مرجع سابق.

خلاصة القول أنَّ جماعة الإخوان المسلمين في سوريا ظلَّت شريكًا أساسيًّا في الائتلاف الوطني السوري، وتمتَّعت بنفوذ ملحوظ انعكس على قرارات الائتلاف وتحرُّكاته.

رابعًا: دور جماعة الإخوان المسلمين والمجموعات المسلحة في سوريا:

أشار القيادي البارز في الجماعة فاروق طيفور إلى أنَّ الحراك السلمي دام قرابة (7) شهور؛[1] أيْ حتى نهاية شهر تشرين الأول من عام 2011م. أمّا عزمي بشارة فقال إنَّ ذلك كان في منتصف شهر كانون الثاني من عام 2012م، حيث أعلنت الثورة السورية الكفاح المسلح بعد إظهار المسلحين من أهالي الزبداني مقاومة شرسة ضد قوات النظام.[2] وفي المقابل، أكَّدت بعض المصادر أنَّ حادثة باب عمرو في أطراف مدينة حمص[3] التي استخدم فيها النظام السوري سلاح المدفعية والدبابات، وحصدت العشرات من أرواح الناشطين المعتصمين والمئات من المعتقلين في شهر شباط عام 2012م؛ كانت إيذانًا بانتهاء المرحلة السلمية،[4] وانتقال الثورة إلى مرحلة المقاومة المسلحة.

لقد اكتنف الغموض هذه المرحلة في ما يخصُّ دور الجماعة على صعيد عسكرة الثورة السورية؛[5] إذ اختلف المراقبون حيال السياسة التي اتبعتها الجماعة تجاه عسكرة الثورة، وطبيعة علاقتها بالجماعات والفصائل المسلحة التي بدأت تتشكَّل في هذه المرحلة. فبعض

---

(1) فاروق طيفور في لقائه مع قناة (حوار) بتاريخ 2016/4/13م. الرابط الإلكتروني:
https://www.youtube.com/watch?v=c82yMhG5fzo

(2) بشارة، سورية: درب الآلام نحو الحرية، مرجع سابق، ص198.

(3) قصة بابا عمرو: أول الرصاص في الثورة السورية ... في البدء كانت سلمية، موقع جريدة (القدس العربي)، تاريخ 2014/5/5م. الرابط الإلكتروني:
https://www.alquds.co.uk/%D9%82%D8%B5%D8%A9%D8%A8%D8%A7%D8%A8%D8%A7%D8%B9%D9%85%D8%B1%D9%88%D8%A3%D9%88%D9%84%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%B5%D8%A7%D8%B5%D9%81%D9%8A%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%88%D8%B1%D8%A9%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88/

(4) حتاحت، سنان. الأزمة السورية من البداية إلى اليوم: رؤية تركية، 2015م، ص28-31.

(5) أبو رمان، الإسلاميون والدين والثورة، مرجع سابق، ص20.

الكُتّاب وقادة الجماعة[1] أوضحوا أنَّ الجماعة كانت بعيدة عن العمل العسكري، وليس لها فصائل مسلحة. وهذا ما أكَّده محمد أبو رمّان حين أشار إلى أنَّ الجماعة "حرصت منذ البداية على التأكيد بأنَّها لا تمتلك فصائل مسلحة في الثورة، وأنَّها تكتفي بمهمة توفير الدعم المالي واللوجستي للفصائل المسلحة، وتسعى من جانب آخر إلى ترميم التنظيم في المناطق المختلفة الداخلية، والعمل الخيري والدعوي والإنساني."[2]

وفي المقابل، أكَّد بعض المُحلِّلين والمراقبين تشكيل الجماعة فصائل مسلحة[3] تابعة لها، فضلًا عن توفيرها الدعم المالي واللوجستي للفصائل المسلحة، مستندين إلى ذلك بأقوال وتصريحات صدرت عن قادة الإخوان؛ إذ أشار القائد في الجماعة فاروق طيفور إلى علاقة الجماعة بفصائل دروع الثورة، وفصائل مسلحة أُخرى.[4] ونقل ناصر قنديل تصريحًا عن الناطق الرسمي باسم حركة الإخوان المسلمين في سوريا ملهم الدروبي، لصحيفة "الشرق الأوسط"، مفاده أنَّ جماعة الإخوان قد شكَّلت أُولى وحداتها المسلحة داخل سوريا؛ ما دفع المُراقِب العام آنذاك محمد رياض الشقفة إلى نفي ما صرَّح به كلٌّ من طيفور والدروبي.[5]

وتأكيدًا لحالة الإرباك الداخلي التي عاشتها الجماعة بخصوص عسكرة الثورة، أكَّد المُراقِب العام للإخوان محمد وليد (2014م)، في لقائه مع قناة "حوار" أنَّ الإخوان المسلمين السوريين كانوا منقسمين فعلًا في هذه المسألة؛ فمنهم مَنْ كان يُعارِض عسكرة الثورة، ومنهم مَنِ اعتقد أنَّ النظام السوري لن يستجيب لمطالب الناس إلّا بالقوة.[6] والحقيقة أنَّ القيادة السياسية لجماعة الإخوان أكَّدت – في كثير من المناسبات– عدم وجود تشكيلات عسكرية مسلحة لها في الثورة السورية.

(1) فاروق طيفور في لقائه مع قناة (حوار)، مرجع سابق.

(2) أبو رمان، الإسلاميون والدين والثورة، مرجع سابق، ص21.

(3) المرجع السابق.

(4) لوند، الصراع من أجل التكيف، مرجع سابق.

(5) قنديل، الصراع من أجل التكيف: الإخوان المسلمون في سورية، مرجع سابق.

(6) لقاء مع المراقب العام محمد وليد، مرجع سابق.

بيد أنَّ سلسلة المقابلات التي أجراها الباحثان: رفائيل لوفيفر وعلي اليسير[1] مع أعضاء الإخوان السوريين على مدار أشهر عديدة، كشفت عن الشوط الذي قطعه الإخوان المسلمون في سوريا لإعادة بناء نفوذهم العسكري، والتحديات الخطيرة التي قد تُخلِّفها هذه الخطوة للتنظيم على صعيد صورته وتماسكه.[2]

لقد استثمرت الجماعة في دعم كتائب وألوية من الجيش الحر، ضمن (3) تشكيلات، هي: هيئة دروع الثورة، وهيئة حماية المدنيين، والهيئة المركزية لدعم الحراك الثوري في حلب.[3] وقد اهتم المراقبون والباحثون بتسليط الضوء على جناحين عسكريين تأسَّسا في سوريا، وكانت تربطهما علاقة وثيقة بجماعة الإخوان المسلمين السورية، هما:

1- هيئة حماية المدنيين التي يرأسها نذير الحكيم، ويديرها هيثم رحمة. وقد ذكرت المصادر أنَّهما عضوان في جماعة الإخوان المسلمين، وفي الهيئة السياسية للائتلاف الوطني، وأنَّ هيثم رحمة هو صاحب فكرة هيئة حماية المدنيين، والمُنسِّق الأول لهذا المشروع في الخارج.[4] تأسَّست هيئة حماية المدنيين بوصفها منصَّة جامعة لمجموعات الثوار،

---

(1) رفائيل لوفيفر: باحث زائر في مركز كارنيغي للشرق الأوسط، ومُؤلِّف كتاب (رماد حماة: الإخوان المسلمون في سورية Ashes of Hama: The Muslim Brotherhood in Syria).
علي اليسير: مُحلِّل مقيم في بيروت، مُتخصِّص في الشؤون السياسية والأمنية في سوريا ولبنان.

(2) لوفيفر، رفائيل، واليسير، علي. الإخوان المسلمون في سورية وسؤال الميليشيات، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، تاريخ 2013/10/29م. سيشار إليه لاحقًا بـ: لوفيفر، واليسير، الإخوان المسلمون في سورية وسؤال الميليشيات. الرابط الإلكتروني:
https://carnegieendowment.org/sada/53453

(3) الموسى، عبد الله. فيلق الشام- الفريدة في العسكرة، موقع (تلفزيون سوريا)، تاريخ 2010/10/29م. سيشار إليه لاحقًا بـ: الموسى، فيلق الشام- الفريدة في العسكرة. الرابط الإلكتروني:
https://www.syria.tv/%D9%81%D9%8A%D9%84%D9%82%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%A7%D9%85%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D9%88%D9%84%D8%A7%D8%AA%D9%88%D8%B4%D8%A8%D9%83%D8%A9%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A7%D8%AA%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%A7%D9%84%D8%A9%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D9%8A%D8%AF%D8%A9%D9%81%D9%8A%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B3%D9%83%D8%B1%D8%A9

(4) المرجع السابق.

وتركَّزت أساسًا في مدينتي حماة وحمص وريفهما. وقد أفاد ناصر قنديل بأنَّ هذه الهيئة مثَّلت تيار الشباب في الجماعة،[1] وأنَّها حاولت العمل في الظلِّ بعيدًا؛ لتتمكَّن من التحرُّك بحرية، وتحقيق أهدافها بسهولة، مُبيّنًا أنَّها كانت مؤسسة عسكرية تُقدِّم خدمات مدنية في المناطق التي نشطت فيها في ريفي حماة وحمص.

وفي السياق نفسه، أشارت عبير حمود إلى تأسيس أعضاء الائتلاف الوطني لدعم الثورة السورية هيئة حماية المدنيين في شهر كانون الثاني من عام 2012م، ومن هؤلاء نذير الحكيم الذي كان أيضًا عضوًا في المجلس الوطني، واصفةً الهيئة بأنَّها كانت تُمثِّل ذراع التمويل غير الرسمية لجماعة الإخوان، المسؤولة عن توزيع المال على المعارضين.[2]

2- هيئة دروع الثورة التي بدأت فكرة تشكيلها تتبلور في صيف عام 2012م؛ إذ حشد الإخوان الدعم اللازم للحركة المسلحة المتنامية، وقدَّموا المال والأسلحة لمَنْ أراد التحالف معها. وقد أكَّد ناصر قنديل أنَّ الإخوان أسهموا في تأسيس تحالف موالٍ للجماعة يُسمّى هيئة دروع الثورة، بوصفه جناحًا شبه رسمي لجماعة الإخوان.[3] وأجمعت معظم المصادر على أنَّ عدد العناصر القتالية في هيئة دروع الثورة يتراوح بين (5000) مقاتل و(7000) مقاتل.[4] وقد عزَّز هذا الطرح رفائيل لوفيفر حين قال إنَّ الإخوان جمعوا مجموعات في شمال سوريا، ووضعوها تحت المظلة الرسمية لما

---

(1) فيلق الشام: استراتيجية الحياد ... والصمت الإيجابي، موقع (مرصد الشمال السورية)، تاريخ 2018/4/10م. سيشار إليه لاحقًا بـ: فيلق الشام: استراتيجية الحياد ... والصمت الإيجابي. الرابط الإلكتروني:
https://nso.news/Details/1074/%22Faylaq-al-Sham%22,-a-strategy-of-neutrality-and-positive-silence/ar

(2) حمود، تيارات الإسلام السياسي وتحولها إلى العنف، مرجع سابق. انظر أيضًا:
- قنديل، الصراع من أجل التكيف: الإخوان المسلمون في سورية، مرجع سابق.

(3) Samojedny, Małgorzata, The Muslim Brotherhood in Syria and its role in Syria's current situation, Faculty of Law, Administration and Economics, University of Wroclaw, P. 103.

(4) حمود، تيارات الإسلام السياسي وتحولها إلى العنف، مرجع سابق.

عُرِف بهيئة دروع الثورة التي بدأت نشاطها الفعلي الكامل في شهر كانون الثاني من عام 2013م، وتركَّز اكثرها في منطقة إدلب. ويرى المراقبون أنَّ هيئة دروع الثورة كانت أقرب إلى جماعة الإخوان من هيئة حماية المدنيين، مستدلين على ذلك بما يأتي:

أ- مشاركة اثنين من قادة الجماعة البارزين في المؤتمر الأول لدروع الثورة، هما: محمد رياض الشقفة (المُراقِب العام وقتئذٍ)، ونائبه فاروق طيفور، إضافة إلى علي صدر الدين البيانوني (المُراقِب العام الأسبق).

ب- اعتماد هيئة دروع الثورة شعارًا بدا كأنَّه مستوحى من الشعار الرسمي لجماعة الإخوان المسلمين، الذي يحوي سيفين متقاطعين.[1]

يرى علي العبد الله أنَّ جماعة الإخوان استغلَّت عملها في هيئة الإغاثة لتجنيد المواطنين في كتائب بدأت تأسيسها تحت مُسمَّيات الدرع، مثل: لواء درع الصديق، ولواء درع حماة، ولواء درع أحرار حمص، ولواء درع الجبل، ولواء درع فرسان الحق، ولواء درع ثوار إدلب. وقد ذكرت العديد من المراجع أسماء بعض الفصائل والجماعات التي كانت جماعة الإخوان تُموِّلها، مثل لواء التوحيد المُتمركِز في منطقة حلب، فضلًا عن كتائب أُخرى استفادت من دعم الإخوان، مثل: صقور الشام، وأحرار الشام.

أشارت بعض التقارير إلى أنَّ انتشار الفصائل الموالية للإخوان المسلمين تركَّز في بعض المحافظات الشمالية بإدلب؛ إذ كان فيها (20) كتيبة، ضمَّت بعضها مئات المقاتلين. أمّا في المحافظات الجنوبية فكان عدد الفصائل قليلًا، وكذلك عدد المقاتلين فيها؛ إذ لم يتجاوز بضع عشرات. فعلى غرار محافظة درعا، لم يتجاوز عدد فصائل الإخوان فيها (4) كتائب، ولم يزد عدد مقاتليها على بضع عشرات؛ ما جعل قدرة الدروع قوية في مناطق شمال سوريا، وضعيفة في الجنوب.[2] ويعود سبب قوة الفصائل في الشمال إلى قربها من تركيا؛ حليف جماعة الإخوان المسلمين وداعمهم الرئيس، ولا سيَّما أنَّ لتركيا مصالح استراتيجية (أمنية، وسياسية، واقتصادية) في شمال سوريا الواقعة على مساحة واسعة من حدود تركيا الجنوبية.

ذكرت مصادر مختلفة وجود فصائل أخرى تابعة للإخوان المسلمين؛ فقد أوضح محمد أبو رمّان أنَّ الباحث السوري وعضو المجلس الوطني عبد الرحمن الحاج أعلن عن تأسيس الإخوان تجمُّع كتائب السلام في حلب في شهر تشرين الثاني من عام 2012م. وفي مقابلة

(1) قنديل، الصراع من أجل التكيف: الإخوان المسلمون في سورية، مرجع سابق.

(2) حمود، تيارات الإسلام السياسي وتحولها إلى العنف، مرجع سابق.

خاصة مع مراسل شبكة "سكاي نيوز" إياد الجغبير، أفاد بأنَّه زار مكتب كتيبة الإيمان في ريف حماة، والتقى بقادتها الذي أكَّدوا له انتماءهم إلى جماعة الإخوان المسلمين، وشاهد شعارهم وهو شعار جماعة الإخوان المسلمين المعروف. يضاف إلى ذلك تأسيس الجماعة ألوية المعتز بالله في محافظة درعا مطلع عام 2013م.[1]

من المُلاحَظ أنَّ قادة الجماعة كانت تتوخّى الحذر الشديد عند الإدلاء بتصاريح علنية عن علاقة الجماعة بالدروع وغيرها من التشكيلات المسلحة؛ نظرًا إلى ما حدث في ثمانينيات القرن الماضي عندما تورَّط الإخوان في القتال المسلح ضد النظام، الذي تسبَّب في حدوث انقسامات كبيرة داخل الجماعة، أدّى إلى إضعافها، وخروجها في نهاية المطاف إلى المنفى. ولذلك اكتفى قادة الإخوان بالإقرار علنًا بوجود تقارب عقائدي بين الفصائل المسلحة والإخوان المسلمين.[2]

في بداية الثورة، اعتقدت تركيا أنَّ الفرصة سانحة لبسط نفوذها عن طريق جماعة الإخوان السورية، وإيجاد شبيهٍ بحزب العدالة والتنمية، ولا سيَّما أنَّ جماعة الإخوان مثَّلت القوة الأكثر تنظيمًا وحضورًا في ثورات الربع العربي، فحاولت دعم إخوان سورية في التغلغل في مُكوِّنات الحراك السوري، وسعت إلى إيصالهم سلميًّا إلى سدَّة الحكم. بيد أنَّ تمثيل الجماعة داخل سوريا كان محدودًا جدًّا، فأدركت تركيا عدم قدرة الجماعة على السيطرة على الأحداث، وأنَّ تسلُّمها السلطة بعيد المنال.[3] وقد أسهم في ذلك عوامل أُخرى، منها: التنوُّع الديني والطائفي الواسع في سوريا، التي تتجذَّر فيها التوجُّهات العلمانية والقومية؛ ما جعل سوريا بيئة غير صالحة لتأسيس الإخوان نظامهم فيها.

عندما أخذت مجريات الأحداث تتطوَّر على الساحة السورية، وتنحو منحى العنف، بدأت تركيا تدعم الجماعات المسلحة المعارضة، بما في ذلك الجماعات المُقرَّبة إلى الإخوان؛ لتكون موالية لها.

(1) أبو رمان، الإسلاميون والدين والثورة، مرجع سابق. ص22.

(2) لوفيفر، واليسير، الإخوان المسلمون في سورية وسؤال الميليشيات، مرجع سابق.

(3) النيال، ماذا يجري في سورية؟، مرجع سابق، ص284، 288.

بعد عام 2014م، توقف المحللون إلى الإشارة إلى هيئة دروع الثورة وهيئة حماية المدنيين، كحال فصائل أخرى عديدة كانت قد ظهرت واختفت أو دمجت مع فصائل إسلامية كبيرة بسميات أخرى، وتربطها علاقات بتيار جماعة الإخوان المسلمين وبدرجات متفاوتة مع قيادتها في الخارج.

في العاشر من شهر آذار عام 2014م،[1] أنشأ نذير الحكيم (مُؤسّس هيئة حماية المدنيين، الذي ما فتئ ينفي علاقته بالإخوان المسلمين) فصيلًا مسلحًا عُرِف بقوة نفوذه بين فصائل المعارضة السورية، وأطلق عليه اسم فيلق الشام، وعُرِف أيضًا باسم فيلق حمص. وقد عرَّفته ويكيبيديا الحرة بأنَّه تحالف ضمَّ جماعات إسلامية معارضة، تشكَّلت لتعزيز قوة الإسلاميين المعتدلين في أثناء الحرب الأهلية السورية، وأنَّه تألَّف من (19) لواءً من الفصائل الإسلامية العاملة في محافظة حلب، وإدلب، وحمص، وحماة، إضافة إلى ريف دمشق. وكان بعض هذه الفصائل تنتسب سابقًا إلى جماعة الإخوان المسلمين السورية، وهيئة دروع الثورة.[2]

تعهَّد التشكيل الجديد بالعمل على إسقاط النظام، واستعادة كامل الأراضي السورية، وعُيِّن منذر سرار قائدًا عامًّا للفيلق.[3] وقد حظيت تشكيلات فيلق الشام بالدعم المالي الجيد، وحيازة نوعية جيدة من العتاد العسكري، مقارنةً بما لدى فصائل المعارضة الأُخرى. وعزا عبد الله الموسى ذلك إلى شبكة علاقات الفيلق الداخلية والخارجية الوثيقة بجماعة الإخوان المسلمين،[4] وبتركيا. وقد عُرِف عن فيلق الشام بأنَّه أصبح الملجأ الذي يلوذ إليه كل تشكيل

(1) بكور، جلال. من هو فيلق الشام الذي استهدفته روسيا في إدلب؟، موقع (العربي الجديد)، تاريخ 2017/9/25م. سيشار إليه لاحقًا بـ: بكور، من هو فيلق الشام الذي استهدفته روسيا في إدلب؟. الرابط الإلكتروني:
https://www.alaraby.co.uk/%D9%85%D9%86%D9%87%D9%88%22%D9%81%D9%8A%D9%84%D9%82%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%A7%D9%85%22%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%87%D8%AF%D9%81%D8%AA%D9%87%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D9%81%D9%8A%D8%A5%D8%AF%D9%84%D8%A8%D8%9F

(2) ويكيبيديا الحرة. الرابط الإلكتروني:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D9%8A%D9%84%D9%82%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%A7%D9%85

(3) بكور، من هو فيلق الشام الذي استهدفته روسيا في إدلب؟، مرجع سابق.

(4) فيلق الشام- الفريدة في العسكرة، مرجع سابق.

أو مقاتل هاجمته هيئة تحرير الشام المُتمركِزة في إدلب، والمنشقة عن جماعة القاعدة؛ ما ضاعف عدد مقاتليه حتى بلغ بين عام 2016م وعام 2018م نحو (15) ألف مقاتل. وذكرت المصادر أنَّ فيلق الشام من أكبر فصائل الثورة والمعارضة العسكرية.[1]

من جانب آخر، نفى قادة فيلق الشام وجود علاقة تربطهم بجماعة الإخوان المسلمين، مُؤكّدين أنَّهم أصدقاء للجماعة، ووجود قواسم مشتركة كثيرة[2] بينهم وبين الإخوان المسلمين، أبرزها: رسالتهم "الوسطية"، ومناداتهم بالديمقراطية، والتعدُّدية السياسية، ودعم مجموعات المعارضة الأساسية، مثل: الائتلاف الوطني، والجيش السوري الحر. وأكثر ما يجمعهم بها صلابة العلاقة مع تركيا وقطر (المُموِّلان الرئيسان لفيلق الشام).

أشارت بعض المصادر إلى أنَّ علاقة جماعة الإخوان بفيلق الشام تراوحت بين مَدٍّ وجزْرٍ. وذكر عبد الله الموسى أنَّ أصل هذه العلاقة يعود إلى زمن تأسيس هيئة حماية المدنيين، وأنَّ تاجرًا من حمص، اسمه صلاح الحاكمي، كانت تربطه علاقات تجارية بتركيا، هو المُؤسِّس الحقيقي لهيئة حماية المدنيين التي أُنشِئت في حمص مطلع عام 2012م، وضمَّت مجموعات من حمص، وأُخرى من ريف اللاذقية، وأنَّ عضو الهيئة السياسية للائتلاف الوطني هيثم رحمة كان أحد المشاركين في تأسيس هيئة حماية المدنيين، والمُنسِّق الأول للمشروع في الخارج، في حين عمل عضو الهيئة السياسية للائتلاف الوطني منذر سراس بصورة مباشرة مع الفصائل. ولكنَّ المصادر تُؤكِّد أنَّ رحمة وسراس كانا واجهة التنسيق الداخلي والخارجي للحاكمي الذي كان صاحب القرار والمشروع.

كان للحاكمي، ومن خلفه القيادي الإخواني هيثم رحمة، علاقات واسعة بجماعة الإخوان المسلمين؛ فقد كان رحمة الذي غادر سوريا عام 1984م لمعارضته نظام الأسد مُنظِّمًا قديمًا في الجماعة، غير أنَّ المصادر لا تشير إذا كان الحاكمي عضوًا في الجماعة أم لا. والثابت أنَّه استفاد من جماعة الإخوان المسلمين السورية، عن طريق أعضائها السياسيين والعسكريين الذين استقطبهم لمشروعه، وقد استفاد هؤلاء من شبكة العلاقات الدولية للجماعة.[3]

---

(1) المرجع السابق.

(2) فيلق الشام: استراتيجية الحياد ... والصمت الإيجابي، مرجع سابق.

(3) المرجع السابق.

طلب الحاكمي إلى جماعة الإخوان المسلمين تبنّي هيئة حماية المدنيين، من دون الاكتفاء بدعمها سياسيًّا وماليًّا، لكنَّ قيادة الجماعة رفضت مطلب الحاكمي، وشدَّدت على قرارها بعدم تشكيل فصيل يُمثِّل جناحًا عسكريًّا للجماعة في سوريا، وأنَّها مستمرة في تقديم المتاح من الدعم المادي والسياسي لفصائل المعارضة؛ ما سبَّب قطيعة بين الطرفين.[1]

شكَّل الحاكمي والقيادة السياسية والعسكرية العاملة معه فيلق الشام الذي ضمَّ ألوية وكتائب في الشمال السوري، وأحرز نجاحات ميدانية؛ ففي مطلع عام 2014م، قاتل فيلق الشام تنظيم داعش، وطرده من إدلب وحماة واللاذقية وحلب، ثم شُكِّل جيش الفتح الذي كان فيلق الشام أحد أكبر فصائله، وحافظ على علاقات جيدة مع الجماعات المسلحة في إدلب، ولم يصطدم بها بعد النجاح المظفر لجيش الفتح. وقد استمر فيلق الشام بضم الألوية والكتائب المحلية إليه، وكان بعضها مُقتنِعًا بمشروع الفيلق، وبعضها الآخر يطمع بالدعم ماليًّا وعسكريًّا، وركَّز الفيلق في ذلك على ضمِّ الضبّاط المنشقين، وتسليمهم مناصب قيادية حسّاسة.

أكَّد عبد الله الموسى تمدُّد فيلق الشام، وانضمام عشرات الكتائب إليه، ومشاركته الفاعلة في معارك إدلب وحلب. وقد لمست جماعة الإخوان المسلمين في سوريا "مكاسب سياسية يمكن جنيها عبر فيلق الشام، وعرضت جماعة الإخوان تبنّي الفيلق بالكامل، ليرد الحاكمي بالرفض، معتبرًا أنَّها محاولة مكشوفة لاستثمار تضحيات الفيلق سياسيًّا باسم الإخوان."[2]

ذكرت المصادر أنَّ الفيلق في هذه المرحلة تقرَّب إلى تركيا أكثر من تقرُّبه إلى جماعة الإخوان، ونجح الحاكمي بحكم علاقته المتينة بالمسؤولين الأتراك من المعنيين بالملف السوري مباشرة، بتقديم فصيله على أنَّه خيار مناسب وحليف قوي لتركيا في سوريا.[3]

الخلاصة:

بالنسة الى دور جماعة الإخوان المسلمين بدعم الثورة، واجهت الجماعة تحديًا كبيرًا في تعزيز مواقعها في الداخل السوري؛ نظرًا إلى غيابها الطويل عن المشهد السوري الذي

(1) المرجع السابق.

(2) فيلق الشام- الفريدة في العسكرة، مرجع سابق.

(3) المرجع السابق.

استمرَّ ثلاثين عامًا منذ أحداث حماة، وظهور جيل من الشباب قاد الحراك الثوري بعيدًا عن جماعة الإخوان المسلمين عقائديًّا وتنظيميًّا. ورغم محاولتها في كسب أعضاء جُدُد في الحراك الثوري، غير أنَّ تلك المحاولات لم تحقق ما يصبو إليه الإخوان، وظلَّت الجماعة تفتقر إلى القوة البشرية والسلطة داخل سوريا.

اما فيما يتعلق بدور جماعة الإخوان المسلمين في العمل السياسي، فقد حققت نجاحا ملحوظا في العمل السياسي من خارج سوريا، من دول المهجر في تركيا، وقطر، والسعودية، وألمانيا، وبريطانيا، فقد ركَّزت الجماعة جهودها على دعم الثورة السورية عن طريق المؤسسات التابعة لها، أو تلك التي أقامتها من أجل دعم الثورة. فقدمت الدعم في المجال الإعلامي من خلال إنشاء صفحة "فيسبوك"، أطلق عليها اسم الثورة السورية. وقد أسهمت هذه الصفحة في تنظيم عمل المتظاهرين، والتخطيط للمسيرات في مدن الثورة، ولا سيَّما أيام الجُمَع، وحظيت بإعجاب الكثيرين.

كما قدمت الدعم في المجالات السياسية والأجتماعية والإغاثية عن طريق رابطة العلماء السوريين، ورابطة أدباء الشام، ومؤسسة وطن وغيرها من المؤسسات.

أما حزب وعد (الحزب الوطني للعدالة والدستور) الذي شاركت جماعة الإخوان في تأسيسه في برنامجه الإصلاحي في سوريا، الذي جاء مُتناغِمًا مع مطالب الثورة السورية المُتمثِّلة في الحرية، والعدالة الدستورية، والنهوض بالبلاد اقتصاديًّا، وثقافيًّا، واجتماعيًّا.

وأسهمت جماعة الإخوان في تشكيل الهيئات السياسية للمعارضة خارج سوريا، وكان أبرزها المجلس الوطني السوري الذي كان للإخوان اليد الطولى فيه عن طريق عناصرها وحلفائها من الشخصيات اليسارية العلمانية،

ثم جاء إنشاء الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، وهو ائتلاف ضمَّ مجموعات المعارضة في الثورة السورية، ورغم محاولات تحجيم جماعة الإخوان من قبل أطراف عربية ودولية على رأسها أمريكا – تمكَّنت الجماعة من الاحتفاظ بنفوذ فاعل لها داخل هذا الائتلاف، فيما يتعلق في شؤون الداخلية الثورة، والعلاقات الدولية وما يخص المفاوضات

اتبعت الجماعة سياسة مُبهَمة في ما يخصُّ مشاركتها في عسكرة الانتفاضة؛ إذ أعلنت في بداية الثورة عن عدم وجود فصائل مسلحة لها في الثورة، وأنَّ دعمها للفصائل

المسلحة يقتصر فقط على الجوانب المالية واللوجستية، ولكنَّها كانت تسعى – في الوقت نفسه – إلى إعادة إحياء التنظيم في الداخل السوري، مُتذرِّعةً بالعمل الخيري. ولذلك حرص قادة الجماعة على عدم الإعلان صراحةً عن علاقة بالجماعات المسلحة، بسبب تجربة الجماعة مع النظام في ثمانينيات القرن الماضي، وما نتج منها من قتلٍ وسجنٍ وتشريدٍ للآلاف من أتباعها، وهو ما أدّى إلى حدوث شرخ كبير فيها، تمثَّل في الانقسامات الكبيرة داخلها، ثم إصابتها بالوهن والضعف، وعملها من خارج سوريا. ولهذا أعلن قادة الإخوان في أكثر من مناسبة أنَّ علاقة الإخوان المسلمين بالفصائل المسلحة تقوم فقط على الدعم اللوجستي على أساس التقارب العقائدي.

والحقيقة أنَّ كثير من المراجع اشارت الى علاقة الجماعة بالجماعات المسلحة مثل: هيئة حماية المدنيين، وهيئة دروع الثورة، وفيلق الشام، وذلك بالتنسيق مع حليفيها الرئيسين: تركيا، وقطر، اللذين قدَّما لها الدعم المالي والسياسي؛ ما مكَّنها من إيجاد موطئ قدم لها في الجماعات المسلحة المنتشرة على الأراضي السورية.

البيوغرافيا التاريخية لموحى أوحمو الزياني : من خلال كتاب فرانسو بيرجي (موحى أوحمو الزياني : مملكة معاصرة في المغرب (1877-1921))

المعطي بريان [1]

جامعة ابن طفيل كلية الآداب والعلوم الانسانية القنيطرة

ملخص :

تندرج هذه الدراسة ضمن البيوغرافيا التاريخية، التي تقضي كتابة تاريخ سيرة موحى أوحموا لزياني وفق التصور التاريخي الجديد، الذي يركز على الأعلام المهمشة واعتماد الفرد كمادة تاريخية، من أجل كتابة تاريخ شمولي انطلاقا من المحلي، ولا شك، أن شخصية موحى أوحموا الزياني لم تنل حقها من الاهتمام والكتابة، اللهم بعض الإشارات الواردة في ثنايا بعض المراجع، وهذا هو الدافع الرئيسي المفسر لاختيارنا لهذا الموضوع والتعرف على هذه الشخصية من خلال كتاب "فرانسو بيرجي : موحى أوحمو الزياني : مملكة معاصرة في المغرب (1877-1921)". فرغم ما يحمله من نفحة استعمارية وإيديولوجية صاحبه، إلا أن هذا العمل، يعد بحق محاولة جريئة لجمع متن السيرة الذاتية حول حياة ومسار موحى وحموا الزياني وعلاقته مع محيطه القبلي، ضمن التاريخ الجهوي والوطني.

الكلمات المفاتيح : البيوغرافيا- المغرب - موحى أوحمو- زيان- المخزن- الحرب- السياسة الفرنسية.

ABSTRACT:

This study falls within the historical biography, which requires writing the history of the biography of an inspired inspiration for Ziani according to the new historical conception, which focuses on the marginalized figures and the adoption of the individual as a historical subject, in order to write a comprehensive history based on the local, and there is no doubt that the character of Mohi Ohhama Al-Zayani did not attain its right Of interest and writing, God has some references in the folds of some references, and this is the main motivation that explains our choice of this topic and getting to know this character through the book "Francois Bergé: Inspired by Ohamo Al-Zayani: A Contemporary Kingdom in Morocco (1877-1921)". Despite the colonial and ideological flavor of its owner, this work is truly a bold attempt to

1 – طالب باحث في سلك الدكتوراه جامعة ابن طفيل كلية الاداب القنيطرة مختبر التراث الثقافي : التاريخ والذاكرة والانسان والمجال واستراتيجيات التنمية.

collect the body of the biography about a life and an inspired path and protect Al-Zayani and his relationship with his tribal surroundings, within the regional and national history.Keywords: Biography - Morocco - Moha Ohamou - Zaian - Makhzen - War - French politics.

تقديم :

تكتسي البيوغرافيا التاريخية[1] أهمية بالغة في حقل "التاريخ ميكرو-اجتماعي" لأنها نافذة يمكن من خلالها الإطلالة على المجتمع، والولوج إلى حياة الجماعة وعاداتها وممارستها. كما أنه يمكن قراءة التاريخ من خلال سيرة اجتماعية لزعماء وشخصيات مؤثرة.

1 – بخصوص مصطلح بيوغرافيا : فهناك من يقول بأنها من أصل يوناني مركبة من بيو Bio، بمعنى الحياة وGraphie التي تعني كتابة، حيث كان المؤرخ اليوناني بلوتارك من أوائل استعمال لفظ Bio. بينما يرى بول جال أنه لا يوجد لا في روما ولا في بلاد الإغريق مصطلح حقيقي للدلالة على البيوغرافيا؛ فالإغريق يقولون Bios، واللاتينيون Vita. أما مصطلح البيوغرافيا فلم يظهر في اللغة الفرنسية إلا مع بداية القرن 18. وعلى أية ومهما يكن أصل الكلمة فالكل يتفق على أنها تعني كتابة الحياة. وهي من الفنون الأدبية والتاريخية ذات الأهمية في حفظ أخبار حياة الأشخاص ومعالم زمانهم، فهي في جوهرها عملية تركيبية تقوم على إعادة بناء الحياة الفردية للشخص. كما تعني تاريخ الحياة؛ حيث تصف حياة الفرد كاملة، وتحلل شخصيته وطريقة سلوكه ومدى تأثره بعوامل البيئة المحيطة به. وتتضمن البيوغرافيا تاريخ الفرد منذ نشأته وكذا استجاباته المختلفة للمؤثرات التي مرت به منذ بداية حياته، والتي كان لها أثر تكوين قيمه واتجاهاته. كما تتضمن أيضا فلسفة الفرد في الحياة والخبرات التي اكتسبها وأنواع الأزمات النفسية والفكرية التي أثرت في بناء شخصيته. للمزيد من التفاصيل راجع كل من :

– الخرازي نعيم، "البيوغرافيا التاريخية"، مجلة أمل العدد **51** مطابع الرباط نت، 2018.

– طحطح خالد، البيوغرافيا والتاريخ، دار توبقال للنشر، ط 1، الدار البيضاء، 2014.

– طحطح خالد، السيرة لعبة الكتابة، كتاب المجلة العربية، الرياض 2012.

– جال بول؛ "البيوغرافيا والتاريخ في روما القديمة"، ترجمة عبد العزيز بلفايدة، مجلة أمل العدد **7**، 1996.

– بدري زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1978.

– Le Goff Jacques, **Comment écrire une biographie historique aujourd'hui?** Le Débat, Mars-Avril. 1989.

– Levi Giovanni, «Les usages de la biographie», **Les Annale ASC**, **novembre décembre**, **n° 6**, 1988.

ويلزم البيوغرافي[1] التوفر على مؤهلات، إلى جانب التقيد بعدة شروط لخوض غمار كتابة بيوغرافية تاريخية[2]، عابرا خطواتٍ في طريق شاق، مما يستدعي نفسا طويلا وصبرا وعزيمة قويين لمواجهة الإكراهات التي تعترضه.

يعتبر موضوع هذا المقال سيرة ذاتية لموحى أوحمو الزياني، إذ لم تفرد له –حسب علمنا- ترجمة وافية تحيط بظروف نشأته، إلا ما تناثر هنا وهناك في كتب التاريخ من شذرات متفرقة وقصيرة، باستثناء كتاب الفرنسي

1 – فالإلمام بتقنيات البحث الميداني، والتوفر على المهارة والصنعة في كتابة سيرة، أو سرد حياة شخص ما. فالبيوغرافي أشبه برسام البورتريه، ينبغي أن يكون رجلا نزيها يعرف جيدا تقنيات صنعته. ويشكل أسلوبه وطريقة كتابته علامة فارقة في إخراج سيرة غيرية بلمسة فنية ومواصفات تراعي الشروط والضوابط المطلوبة في إعادة بناء حياة الشخصية البيوغرافية. مما يميزها عن البيوغرافيات التي كتبها الأخرون من الأدباء والصحفيين والهواة وغيرهم. كما يمكن رسم طرق ومسارات متعددة للشخصية الواحدة، وكل بيوغرافية تظل فريد ومختلفة لا تقارن بغيرها، وهذا لا يعني أنها لا تتشابه وتتقاطع في أجزاء منها مع حياة الأخرين. للمزيد من التفاصيل يمكن العودة إلى :

- Tengour Habib, Biographie, « Autobiographie, Hagiograpie et histoire de vie», **In Biographie et histoire sociale Algérie 19-20 éme siècle**, 2004. P.64.

- Benjelloun (Abdelmajid), «Moha ou Hammou Ezzayani d'après le livre de Francois Berger, Moha ou Hammou le Zaiani, un royaume contemporain au Maroc (1877-1921)» **Séminaire scientifique sur la résistance armée et le mouvement national du Moyen Atlas (1904-1956)**. Publications Haut-Commissariat aux Anciens Résistants et Anciens Membres de l'Armée de Libération. Imprimerie Bani Yazan, 2001 PP.63-72.

2 – فالبيوغرافيا عمل متعدد الدلالات والأبعاد، وهو عمل مفتوح يحتمل تأويلات مختلفة وأحيانا متناقضة، إذ هناك فضاء عام لتعدد لا نهائي للتأويلات أثناء تناول حياة فرد معين، مما يفتح المجال أمام الكتاب لإنجاز أبحاث ودراسات مختلفة عن العديد من الشخصيات المشهورة والمغمورة انطلاقا من أبعاد مختلفة، فهناك من يركز على الطابع السيكولوجي، وهناك من يركز على الجانب السياسي. راجع بخصوص هذه النقطة :

– الخرازي نعيم، "البيوغرافيا التاريخية"، مجلة أمل العدد 51 الخاص بالبيوغرافيا والتاريخ، 2018. ص ص 25-40.

فرنسوا بيرجي[1] الموسوم بـ"**موحى أوحموا الزياني، مملكة معاصرة بالمغرب (1877-1921)**"[2]. الذي خصص ترجمة فريدة ومختلفة لا تقارن بغيرها، حيث تم رصد بعض المحطات الأساسية من حياة المقاوم.

غير أنه يجب التنبيه إلى وجود ثغرات يتعين ملؤها بالبحث في الرصيد الوثائقي لأسرة موحا وحمو الزياني، إلى جانب الأرشيف المخزني والأجنبي.

يأتي اختيار هذا الموضوع إيمانا منا، بالأهمية التي يستحقها صاحب البيوغرافيا باعتبار المؤلف من ضباط الحماية الفرنسية بالمغرب، كان يشغل منصب شؤون الضباط الأهليين وهو يتحدث في كتابه عن "كهف أو مكتب الاستعلامات"[3].

وقد استلهم هذا الباحث الفرنسي معلوماته عن المقاوم موحى أوحمو قائد المقاومة بالأطلس المتوسط معتمدا على وثائق جمعها رجل الترجمة المسمى بن داوود والذي يرجع له الفضل في غالبية المعلومات التي نعرفها عن خنيفرة. وهو يورد بعض الأبيات الشعرية لموحى أو حمو قائلا:

"الجبال عظامي أم الربيع حدي السهل مرتعي"[4].

وسأقسم موضوع هذه الورقة البحثية، إلى خمسة أجزاء تتعلق بـ:

1 – الأحكام النمطية:

2 – عائلة موحى أوحمو منذ منتصف القرن التاسع عشر.

3 – الحرب "المقدسة".

4 – سياسة اليوطي .

5- وفاة موحى أوحمو.

1 - <u>الأفكار النمطية :</u>

أ - الصور النمطية السلبية :

---

1 – يشير فرنسوا بيرجي في نهاية عمله بأن جزءا من الوثائق التي جمعها المجند والمترجم بن داوود شكلت المصادر الأولى للمعلومات" وأكثر صدقا تلك التي تم نشرها تحت إمضاء R و S في نشرت إفريقيا الشمالية عام 1917م.

2 - Berger François, **Moha ou Hamou le Zayani, un Royaume berbère contemporain au Maroc**, ed. de L'Atlas, Marrakech, 1929.P. 1-4.

3 - Id.,Ibid . , P.16

4 - Berger (François), op. cit. , P. 34.

من البديهي أن السيرة التي كتبها بيرجي عن موحى أوحمو تتناول الدور التاريخي المهم لهذا الرجل وقبيلته، وليس من الممكن فهم واحد منها بدون فهم الأخر، ولهذا لا يجب التعجب من وجود بعض التفضيلات سواء منها السلبية أو الإيجابية بخصوص سيرة الرجل وقبيلته، فبإمكاننا فهم المكونات الأساسية لشخصية موحى أوحمو الزياني من خلال دوره في أعمال المقاومة :

- لقد تم تمييز سكان زيان باعتبارهم رجالا يلبسون البرنوس[1].
- لقد كانوا يمارسون النهب[2].
- لقد كانوا (بخلاء – متوحشين – حمقى)[3].
- لقد كانوا دوما يعيشون "في فوضى عارمة ويحاربون بعضهم البعض طوال الوقت بخصوص المراعي والمناطق الاستراتيجية لنهب المسافرين والغرباء"[4].

ب- الصور النمطية الإيجابية :

ظاهريا نجد استخدام مصطلح المملكة البربرية لكن في الحقيقة فإن بيرجي يستخدم هذا المصطلح بشكل مزدوج. من حيث أنه يستخدم مصطلح "السيبة"[5].

---

1 – Id.,Ibid . , P. 11.

2 – Id.,Ibid . , P. 12.

3 – Id.,Ibid . , P. 14.

4 – Id.,Ibid . , P. 19.

5 – تعددت قراءة الباحثين المهتمين بالشأن التاريخي والأنثروبولوجيين والاقتصاديين لمفهوم السيبة في تاريخ المغرب، فمن الجانب الديني تدل على الخروج على السلطان أي إمارة المسلمين، ولذلك يجب محاربتهم ومعاقبتهم للعدول عن هذا الفعل، وبذلك فإن السيبة وجه آخر للفكر وقد تسرب مفعوله إلى جزء من "الأنا" فأصبحت "أنا آخر"، وفي هذه الحالة يجب إقناع السائبين بالرجوع إلى التقيد بالشرع بما في ذلك الطاعة الواجبة في حق السلطان بمقتضى البيعة الشرعية. أما بالنسبة لـ "هنري طيراس"، فإنه يعتبر السيبة ظاهرة نشأت منذ عهد المرينيين، وأخذت اتساقا مطردا إلى أن استقرت حدودها التي لم تشهد أي تغيير إلا خلال فترات قصيرة على إثر حركة سلطانية ما. فمنذ عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757–1790)، وبلاد السيبة تضم في نظره : الريف والقبائل المجاورة للحدود مع الجزائر والأطلس المتوسط المركزي (يقصد به الجزء الشمالي للأطلس الكبير)، ومنطقة زمور واتحادية آيت أومالو والواحات الصحراوية، ومن حسن حظ السلالة الحاكمة، يضيف هنري طيراس أن السيبة ظلت مقسمة ولم تقم بأية محاولة توحيدية "لم تكن تلك القبائل تحلم سوى بالاستقلال ضمن التجزئة، ونظرا لذلك، لم تشكل بلاد السيبة التي كانت خارجة عن سلطة المخزن وجبايته، أي تهديد كبير وطارئ على المخزن، بل ظلت مجرد مقاومة ونفي له". ويقسم طيراس القبائل السائبة إلى ثلاث أصناف : القبائل المستقرة والقبائل

المرتحلة والقبائل الصحراوية أو الشبه الصحراوية. "فالقبيلة لا تجتمع فعلا ولا تبرز إلا في المناسبات الكبرى كالمواسم والحفلات وخلال حالة الحرب كانت تظهر العلاقة القبلية أكثر متانة". كنتيجة طبيعية لاعتبار المغرب البلد المسلم الذي أبدا دولة بمعنى الكلمة، مؤسسة على وحدة سياسية ومعنوية إلا في عهدي المرابطين والموحدين ... ذلك أن التقاليد الأمازيغية والمؤسسات السياسية لم تلتحم في وحدة خلافة، بل غالبا ما كانت تتعايش فيما بينهما، فالإسلام لم يأت بما كان المغرب يحتاج إليه في عمقه، ولم يعطه الوحدة المعنوية الكفيلة بالدفع به إلى الوحدة السياسية.

إن ما نستخلصه من رأي طيراس هو أن السيبة تعني "الاستقلال والانفصال عن سلطة المخزن، وأن أساسها هي القبائل ودافعها الأساسي هو شغف هذه القبائل ذات التقاليد البربرية بالديمقراطية القبلية. وهذا الشغف غريزي في وجدان تلك القبائل لم يؤثر فيه اعتناقها الدين الإسلامي، والسيبة ظاهرة بربرية أساسا (معظم سكان بلاد السيبة من أصل أمازيغي". أما بالنسبة لبلاد المخزن، فلم تضم في نظر هنري طيراس- بعد وفاة السلطان مولاي الحسن الأول الذي كافح طوال حياته من أجل إخضاع العديد من المناطق السائبة- سوى ثلث مساحة البلاد ونصف سكانها. ولم تكن كتلة متراصة وقوة منسجمة، بل وعلى الخضوع السلبي للمحكومين، ولم تتوفر "بلاد المخزن" على الوحدة المعنوية والعزيمة المشتركة التي وحدها كانت ستمكنها من تحقيق الوحدة السياسية والاجتماعية للبلاد تحت قيادة السلاطين، وهكذا قام بين بلاد السيبة والمخزن التي عجزت عن إخضاع الأولى توازن تقليدي، لم تتغير إلا في جزئياته الإجرائية. ومن جهته قدم إدريس بنعلي مقاربة مبنية على دراسة نمط الإنتاج، فاعتبر أن المجتمع المغربي من القرن السادس عشر إلى التاسع عشر كان مكونا من نمطين إنتاجيين : الأول يسود في بلاد المخزن وهو ذو طبيعة فيودالية، والثاني يعم السيبة وهو ما سنتعرف عليه بتفصيل. كانت بلاد السيبة تضم المناطق الجبلية وأهم الممرات التجارية ومعظم سكان البادية من المتوسط إلى الصحراء ومن ناحية الرباط إلى الحدود الجزائرية، وقد حافظت هذه البلاد بفضل الايكولوجيا الجبلية على بنى بدائية للديمقراطية المباشرة ورفضت أية محاولة للتمركز.

وقد تحدث عن المميزات الأساسية لنمط إنتاج السيبة ابتداء من العنصر الأساسي لنمط الانتاج في بلاد السيبة (تقبيلت) كوحدة اجتماعية اقتصادية سياسية مركبة، فهي وحدة اقتصادية لأنها تمزج حسب قواعد محددة هياكل الانتاج وتوزيع واستهلاك المواد لتلبية حاجيات الأفراد. وانتهاء بانعدام وجود طبقات اجتماعية، إذ إنه تظافر كل من التنظيم الاجتماعي والمؤسساتي لـ (تاقبيلت) "الديمقراطية المباشرة" وقاعدتها المادية الضعيفة لإعاقة تطور الفوارق الاقتصادية والاجتماعية داخلها. إذ يحدد ادريس بنعلي طبيعة نمط الانتاج السائد في بلاد السيبة فيقول "ليس من مفهوم يحدد أفضل نمط إنتاج "بلاد السيبة" من مفهوم "المشاعية البدائية" الذي استعمله كار ماركس لتصنيف التشكيلات الاجتماعية السابقة للمجتمعات الطبقية". إذا كان تفوق نمط الانتاج الفيودالي السائد في بلاد المخزن على نتمط إنتاج بلاد السيبة واضحا، ويدل على التفاوت الحاصل في مستوى تطور قوى الإنتاج من جهة والاستقرار عبر التبادل التجاري الذي يستفيد منه الأول من جهة ثانية، فإن ذلك يؤدي إلى السيطرة السياسية لفائدته (أي النمط الفيودالي). وهذا راجع بالأساس يقول ادريس بنعلي إلى كون "النمط الفيودالي

المغربي يفتقد المقومات الإنتاجية الكافية لبسط سيطرته، والعامل الوحيد الذي يمكنه من تلك الهيبة، وبذلك وهو الإسلام كعنصر إيديولوجي، أصبح محط منافسة شديدة من طرف الزوايا. وبذلك نستخلص من رأي الأستاذ بنعلي ما يلي :

– أن أساس ظاهرة السيبة، يتجلى في تباين بين نمط إنتاجها (المشاعة البدائية) وبين نمط إنتاج بلاد المخزن (الفيودالية).

– أن السيبة ناتجة عن ضعف فائض إنتاج "بلاد السيبة"، ومن تم تضررها من الضرائب التي يفرضها عليها المخزن وعن عجز المخزن عن إخضاعها.

– أن ما ساعد على استقلال بلاد السيبة عن المخزن هو تصدع أحد أركان الهيمنة المخزنية "الزعامة الدينية"، إذ منذ القرن السادس عشر الميلادي أصبحت الزوايا تنافس السلاطين حول هذه الزعامة. أما بالنسبة للأستاذ عبد الله العروي، فإنه أقر بأن "ما يثير الانتباه في مغرب القرن التاسع عشر الميلادي، هو تنوع الوضعيات ووجود اختلافات جهوية تدل وحدها على أحداث كان لها صدى عام. فالفوضى كانت تعم أساسا المغرب الشرقي والغرب، والقبائل المخزنية كانت متواجدة بالخصوص في الحوز والدير وتافيلالت". وقد علل ذلك بأنه "تعمقت السيبة بعد سنة 1850م على إثر التفكك الذي صاحب انفتاح البلاد على التجارة الأوروبية، ولم تتخذ السيبة شكلا موحدا، ورغم أن سببها العام واحد، وهو تقلص قدرة المخزن الإدماجية". إن السيبة في القرن التاسع عشر الميلادي، ليست دفاع المستوى القبلي ضد المخزن، وإنما هي رد فعل عن الضعف الذي أصاب ذلك المستوى القبلي من جراء ضعف التجارة الأوربية، ليتخذ شكل نصف تعبئة للقوى المحلية ضمن إطار البنية الفوقية السياسية العسكرية. يركز عبد الله العروي خلاصته حول ظاهرة السيبة خلال الفترة الممتدة من القرن 18م إلى القرن 19م في النقط التالية :

– السيبة ليست مرتبطة بنيويا بالتنظيم القبلي؛

– أنها ليست النفي المطلق للمخزن، إذ عجزت دائما عن خوض الصراع ضد السلطان إلى النهاية، بل كانت تفرض وجود المخزن كقوة موازنة ضرورية لها؛

– السيبة لا تطبق على وضعية موحدة إذ نلاحظ تدرجا في ممارسة السلطة المركزية؛

– تتجدد السيبة بواسطة التمردات التي تعطينا عددا كبيرا من الحالات.

إن الدراسات الاستعمارية حول القبيلة والمخزن وكذا إبرازها لمجتمع تختزقه ثنائية المخزن/السيبة، قد فشلت في إدراك طبيعة الآليات التي تتحكم في المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر الميلادي. للتوسع أكثر في هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى الكتابات التالية :

– بورقية (رحمة)، الدولة والسلطة والمجتمع، دراسة في الثابت والمتحول علاقة الدولة بالقبائل في المغرب، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولى 1991.

– رشاد (مولود)، قبائل زمور في مواجهة الاحتلال الفرنسي 1911–1956 مدينة الخميسات وباديتها نموذجا، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 2017.

إنه يستحث فكرة السيبة، سواء في دائرة الضوء في الأدب والإستوغرافيا الاستعمارية الفرنسية للتاريخ في المغرب. الكل يعرف أن إحدى ذرائع المؤسسة الفرنسية في المغرب هي حالة الفوضى التي كانت بلادنا فيها آنذاك. وإلى جانب ذلك، يقول: لم يستطيع لا القرطاجيون ولا الرومان ولا العرب ولا سلاطين المغرب العظماء أن يحدوا منه :

- هو يقدر خصمه حتى يجعل من انتصاره العسكري أكثر أهمية.
- لديهم نظرة نسر[1].
- هم ليسوا متوحشين[2].
- هم محاربون مشهورون[3].

من الواضح أنه لتجنب الاستخدام المزدوج، سيتم ذكر الصور النمطية الأخرى ، سواء كانت مواتية أو غير مواتية لموحى أوحمو، له أدناه.

2 – عائلة موحى أوحمو منذ منتصف القرن التاسع عشر:

– التوفيق (أحمد)، مادة "السيبة"، معلمة المغرب الجزء الخامس عشر، الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة والنشر، مطابع سلا 1423 – 2002، ص ص 5205–5207.

– سعودي (نور الدين)، "ظاهرة السيبة في مغرب القرن التاسع عشر، أطروحات حول السيبة"، مجلة دار النيابة، السنة الثالثة، العدد التاسع 2006.

– حمير (عبد السلام)، "المغرب بين الأنا والآخر/الإسلام والحداثة"، مجلة المناهل، السنة 26، العدد 66–67، شتنبر 2002.

- Ben Ali (Driss), **Le Maroc précapitaliste**: **formation économique et sociale**, Collection Atlas Société Marocaine des Editeurs Réunis, 1983.

- Laroui (Abdellah), **Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain** (**1830–1912**), Maspero 1977.

- Aouchar (Amina), **Colonisation et transformation d'une société**, **l'Outat**, **Haute Moulouya**, Thèse de doctorat d'Etat, Histoire, Bordeaux 3, 1985.

- Doutté (Edmond), **Missions au Maroc En tribu**, Éditeur Librairie Paul Geuthner, Paris 1914.

Date d'édition : 1914

1 - Berger (François), op. cit. , P. 14.

2 - Id.,Ibid . , P. 14.

3 - Id.,Ibid . , P. 14.

يتطرق المؤلف في هذا الاطار إلى تاريخ عائلة موحى أو حمو[1] منذ سنة 1860 م. ويتعلق الأمر بقبيلة آيت حركات التي ينتمي إليها موحا أوحمو، ففي الستينات من القرن الماضي كانت مواقعها، توجد حول قرية البرج (على بعد 10 كلم في عالية نهر أم الربيع)، وكانت تمتهن، بالإضافة إلى النشاط الرعوي، التجارة حيث كانت تفترض على التجار والمنتجعين الذين يعبرون قنطرة البرج رسوم المرور[2]. وأصبحت –بفضل الموارد المتنوعة- القبيلة ذات النفوذ الواسع والثورة الكبيرة[3].

إن قبيلة أيت حركات التي يقودها موحى أوعقا والذي بذل جهدا ومالاً كثيرا من أجل السيطرة العسكرية على قبائل زيان. وقد فاجأته الموت قبل أن ينهي أعماله. وخلفه ابنه سعيد والذي ضم تحت قيادته اتحاد قبائل زيان وخلال إحدى المعارك قتل سعيد ليخلفه أخوه موحى أوحمو عام 1877م وقد كان في سن العشرين من عمره، وأصبح محاربا باسلا، وجريئا مقداما، مما جعل معاصريه يصفونه بالخصم العنيد والخطير في المعارك أمثال الضابط بيرجي الذي وصفه الميدان القتال[4] قائلا : "**لقد كان قويا، وفارسا لا يشق له غبارومن أحسن الرماة وقد تميز أيضا ببنية جسمانية قوية ورشيقة ونظرة ثاقبة مع لحية قصيرة**"[5].

---

1 – بالإضافة إلى هذه الخصال السياسية والعسكرية، يمكن تفسير تألق نجم موحا أوحمو على المسرح السياسي الزياني بانتمائه إلى أسرة إمحزان)فخذ من أيت حركات التي تعتبر قطب رحى مجموع زيان حيث تمثل حسب الرواية الشفهية الوجه الحقيقي، الجميل للقبائل الزيانية. وتستمد أصولها من أمحزون الكبير، عميد الأسرة الذي عاش أيام السلطان العلوي مولاي سليمان والذي كان مرتبطا بخدمة المخزن، ومنذ هذا التاريخ، وأفراد الأسرة يتعاقبون على قيادة زيان. أنظر :

– العلوي (التقي)، "أصول المغاربة، القسم البربري، اتحادية أيت إدراسن"، مجلة البحث العلمي، عدد **14** السنة 1975 ، ص 79.

2 – Berger (François), op. cit. , P. 24.

3 – يعرفها J. Le prévost في هذه العبارة أن : "قبيلة آيت حركات كانت ذا مكانة كبيرة في بلاد زيان، فهي قبيلة موحا أوحمو، فهي كذلك قبيلة الأعيان والنبلاء التي تعطي المحاربين الكبار، والتي تملك أجود الفرسان، وأكثر القطعان، وكل من لا يقتنع برخائها ولا يعترف بنفوذها، فقد يعرض نفسه للانتقام". للمزيد من التوسع في هذه النقطة راجع :

– Le Prévost (J), **jusqu à l'usure des sabres**, mannuscrit, P.40.

4 – تذكر بعض المصادر أنه تعلم فن القتال منذ صغر سنه، وقد ظهرت هذه الخصال الحربية أكثر، كما يشير إلى ذلك G.Bernié المعارك التي خاضها ضد الفرنسيين : "لقد أظهر موحا أوحمو شجاعته الأسطورية ضد الفرنسيين حيث كان خصمهم القاسي والعاتي، ولكنه كان أيضا خصمهم الشريف إلى النهاية". يمكن الرجوع إلى الكتاب التالي :

– Bernié (G), **Moha ou Hamou Guerrier berbère**, ed. Gautey, Casablanca, 1945, P.16.

5 – Berger (François), op. cit. ,P. 25.

وحسب بيرجي فقد استطاع موحى أوحمو عن طريق سيدي بن داوود بأبي الجعد الالتقاء بالسلطان مولاي الحسن الذي عينه قائدا على أيت يعقوب في زيان[1].

وحسب نفس المصدر فقد سمح المنصب الجديد لموحى أو حمو بالسيطرة على مناطق زيان حسب ما كتبه بيرجي : "**لقد ساعدت ثمانية سنوات من الصراع القوي والانتصارات وأعمال النهب موحى أوحمو على أن يصبح قائدا بلا منافس على اتحادية زيان**"[2].

وحسب نفس المصدر فقد زعم بيرجي أن السلطان المولى الحسن دعا موحى وحمو إلى مدينة فاس سنة 1886، "**حيث جلب معه التجاروالحرفيين ورجال الدين والقاضي**"[3]. مما ساعده على على تحويل خنيفرة إلى مركز اقتصادي[4] وسياسي وديني كبير بدعم من التجار والحرفيين والعلماء والقضاة الذين رافقوه من فاس.

وقد أشار بيرجي إلى أن وفاة المولى الحسن الأول شكل حدثا جعل موحى وحمو "يعلن أن ساعة الاستقلال والمغامرة الكبيرة قد حانت"[5].

---

1 - Id.,Ibid . , P. 27.

2 - Id.,Ibid . , P. 30.

3 - Id.,Ibid . , P. 33.

4 - "لقد استطاع الزياني تحويل خنيفرة من قصبة إلى عاصمة ومركز تجاري يتوفر على قيسارية وحي الدباغين وسوف يقام مرتين في الأسبوع بدون فرض أي نوع من الضرائب".

5 - Id.,Ibid . , P. 51.

وحسب رأي السلطان الجديد المولى عبد العزيز[1]، قد أرغم منافسه القديم (أقبلي) [2] إلى النزول ضد موحى أوحمو[3]. غير أن مولاي حفيظ قد شمل برعايته موحى أو حمو وعين ابنه حوسى باشا على عاصمة فاس، بطلب من السلطان السالف الذكر[4].

لكن بعد إلحاح من والده حوسى غادر العاصمة بسرعة والتحق بمدينة خنيفرة، وذلك من أجل تفادي المؤامرات داخل البلاط[5]. ويضيف بيرجي مدققا : "**كانت هذه الحادثة إعلانا عن نهاية العلاقات ما بين موحى أوحمو والمخزن ولم تكن هناك من إمكانية سوى الثورة المفتوحة ومهاجمة مكناس وفاس وإعلان الحرب على السلطان والشرفاء العلويين. وقد أضيف إلى هذا عامل آخر هو وصول الفرنسيين إلى المغرب وبدئهم من منطقة الشاوية، وهكذا وجد موحى أوحمو نفسه في مواجهة مفتوحة مع الجميع سواء مع المخزن الحفيظي أو السلطات الفرنسية، وكان هذا بداية لنهاية جيشه الذي لا يهزم**"[6].

وهنا نجد توحدا في نفس النص لتلك الهواجس الكولونيالية الفرنسية.

- حالة السيبة الشاملة التي كانت تسيطر على المغرب عموما.

---

1 – إن حاجة السلطان الجديد إلى التحالف مع الزياني، أملتها ظروف الاستيلاء على السلطة بفاس، انطلاقا من الشاوية عبر الرباط حيث تتمركز القوات العزيزية. وإن مشاركة الزياني في جهاد الشاوية، ستقنع السلطان بتحويل الاتجاه نحو الأطلس –طريق السلاطين– تحت الحماية الخاصة للزياني الذي أصبح جزءا من الحركة الحفظية إن على مستوى البرنامج السياسي – الجهاد ضد القوات الفرنسية– أو على مستوى المشاركة في السلطة– تعيين أحد أبنائه باشا على فاس بعد غزوها. لكن تخلي عبد الحفيظ عن الجهاد لصالح استقرار السلطة، وتفكك مختلف التحالفات التي أوصلته إلى العاصمة، عجل بالقطيعة النهائية وعودة الزياني إلى متابعة الجهاد بالأطلس ضمن تحالف كبير– في غياب الأمير– يضم جيرانه : الشريف على أومهاوش بنواحي آيت سخمان، موحى أوسعيد بآيت ويرا، ثم محمد أقبلي الذي يسيطر على مريرت وأزرو وولماس. أنظر :

– Berger (François), op. cit. , P.53.

2 – لقد استبدل السلطان سياسة المواجهة بسياسة الاحتواء عبر استدعاء الزياني إلى فاس وتسليمه القيادة. وبعد عودة الزياني إلى الأطلس عمل استمر التوافق إلى حدود وفاة السلطان 1894، لتبدأ القطيعة بين الزياني والمخزن العزيزي : الأول يهدد بقوته مكناس والثاني يلعب ورقة الزعيم المنافس محمد أقبلي.

3 – Berger (François), op. cit. ,P. 53.

4 – Id.,Ibid . , P. 56.

5 – Id.,Ibid . , P. 58.

6 – Id.,Ibid . , P. 58.

- دور السلطات الفرنسية في إنقاذ المخزن من حال السيبة.

كما أشارت إليها المصادر التاريخية للاستعمار الفرنسي، من حيث كونُها ذريعة في دخول المستعمر الفرنسي إلى المغرب.

ويثير بيرجي مسألة أن يكون موحى أوحمو قد قاوم الاحتلال الفرنسي، وقد جعل منه بيرجي قائداً متسلطا على قبائل زيان: "**لقد تميزت قيادته لقبيلته بالقوة و انعدام الرحمة بحيث لم يكن شيء يقف أمامه لدرجة جعلته يحكم طوال 37 سنة بقبضة من حديد**"[1].

ويكاد بيرجي يكون سوداويا يتعارض مع الأفكار التي تقول أن "**الشرع لم يكن حاضرا عند البربر**"[2]. وكل هذه الاتهامات تتقاطع مع المصادر المغربية التي قد تؤكدها أو تضيف إليها شيئا من المعلومات. ولكن أؤكد أن اتهامات وتأكيدات بيرجي كانت مقصودة، حيث كانت تغذيها النزعة الإمبريالية.

3 – الحرب "المقدسة":

إنه نفس المصطلح الذي استخدمه بيرجي من أجل الاشارة إلى المقاومة المسلحة التي قادها موحى أوحمو ضد الفرنسيين[3]. ويشير بيرجي إلى إعلان موحى أوحمو "الحرب المقدسة" ضد الفرنسيين عام 1908م، حيث أسس في منطقة الأطلس المتوسط "**كونفيدرالية قوية لصد الهجوم الفرنسي نحو الجبال وتوحيد عمليات المقاومة المشتتة في السهول ودفع المستعمر نحو البحر**"[4].

وقد شكلت تدخلاته الأولى دعم قبائل الشاوية من أجل مواجهة الجيوش الفرنسية[5] وفي 11 يونيو 1914 "**تدخلت فرقة عسكرية في وادي أم الربيع مما أعاق مقاومة موحى أوحمو وجعله يتخلى عن مدينة خنيفرة حيث عبر النهر ولجأ إلى الجبل**"[6].

وبطبيعة الحال فإن موحى أوحمو لم يتنازل عن المقاومة ولكنه فضل الانتظار إلى حين تنظيم هجوم معاكس ، وهذا الهجوم هو ما وصفه بيرجي بأنه يوم رهيب من أيام نونبر على جنود الكولونيل "لافيردول" مع اتحاد قبائل زيان. وهذا ما تعكسه حالة أولاد زيان الذين تجاوبوا مع الحركة الاستعمارية، وبخصوص معركة الهري يتحدث بيرجي قائلا : "**لقد انهزم الكل أمام قوة محاربي زيان وخصوصا قوات القائد التي سقطت**

1 – Id.,Ibid . , P. 61.

2 – Id.,Ibid . , P. 66.

3 – Id.,Ibid . , P. 85.

4 – Id.,Ibid . , P. 85.

5 – Id.,Ibid . , P. 85.

6 – Id.,Ibid . , P. 86.

وانهزمت، وتعني كلمة الهري المخزن أو المطمورة، وقد قام مقاتلو زيان بالنزول من الجبال والاحاطة بالفرنسيين من كل النواحي، وتم تدميروحدتين من جيش الإنقاذ وتم نقل الجرحى إلى مدينة خنيفرة وقد أدت هذه المعركة إلى مقتل 160 شخص مجندا و60 رقيبا في الجيش"[1].

ويضيف بيرجي وهو يحكي عن هذه المعركة "إن هذه المعركة تبين بوضوح مرحلة من مراحل حرب العصابات التي يقوم بها محاربو زيان وكذا العراقيل والأخطار التي تميز الحرب في المناطق الجبلية وقد قام موحى أوحمو بتنفيذ هجومين على جيشنا الذي اتجه إلى تادلة ومكناس بالرغم من أن قوات موحى لم تستفد الكثير خصوصا بالنظر إلى حجم الخسائر التي تكبدتها. لكن في منطقة الهري كان الحزن هو السائد، واكتفى موحى أوحمو بعد ذلك بالقيام بعمليات مباغتة ضد جنودنا وذلك من خلال مقاتليه الذين تسببوا لنا في الكثير من الخسائر وأخرت تقدمنا خصوصا على مستوى إنشاء الطرق وغيرها. وقد تابع هذا المقاوم مجهوداته بدون كلل"[2].

4- سياسة اليوطي:

إن التاريخ الكولونيالي الفرنسي يعترف بأن الحروب الاستعمارية الفرنسية بالمغرب جعلت ليوطي يؤسس لسياسته المعروفة بـ"سياسة الاستقطاب" تجاه القبائل وخصوصا تلك المعارضة عسكريا للوجود الفرنسي بالمغرب.

يلخص بيرجي هذه السياسة للمقيم العام الفرنسي بالمغرب بجملة واحدة "مواجهة هذا الحاجز الذي شكله زيان في منطقة الجبال، بدأت حرب طويلة سياسية من أجل إضعاف موحى أوحمو وجلبه إلى السلطات الفرنسية"[3].

وتبعا لهذا، وبعد ثلاث سنوات من الانتصار الكبير الذي حققه موحى أوحمو في معركة الهري عام 1914م. بدأ الفرنسيون يقطفون ثمار سياسة اليوطي بالمغرب. يقول بيرجي: "منذ صيف 1917م فوق الأرض التي أعددناها وبقرب السوق الذي يأتي إليه سكان الجبال وصلت أول طائرة إلى مدينة خنيفرة ولم يعبر أي واحد ممن رأى الطائرة عن اهتمام كبير بهذا الأمر. وفي الخريف قامت التجريدة العسكرية بالتزود

1 - Id.,Ibid . , P. 88.

2 - Id.,Ibid . , P P. 88-89.

3 - Id.,Ibid . , P. 93.

بالمؤونة ومتابعة طريقها حتى مدينة خنيفرة، وقامت الشاحنات بحمل معدات مخيم الطيران. وبعد شهرين تحدث معنا أبناء زيان"[1].

يلاحظ من خلال ما سبق بأن سكان الجبل من زيان قد أُرغِموا على قبول الانتصار العسكري الفرنسي ويضيف بيرجي بعض المعلومات بخصوص سياسة اليوطي: "**التفرقة من أجل الحكم، وذلك من خلال وضع أراضي زيان ما بين أيدي سكان المدينة والقرويين والرحل والمزارعين والرعاة المتنقلون**"[2].

5 – وفاة موحى أوحمو:

يبدوا من المهم التطرق إلى الفصل القصير الذي يحكي فيه وفاة موحى أوحمو: "**هو العجوز، لقد بقي وحده في الخيمة الكبيرة داخل الجبل مع بعض من الخدم. لقد أنهى حياته و أنهى مهمته وجلس** ينتظر صوت البارود وعندها جاءت اللحظة. ويضيف بيرجي : " **لقد كان موحى أوحمو مسلما ومع معرفته بقرب موته لبس موحى أوحمو أحسن ما عنده حسب شهادة المحليين به**"[3].

في يوم جميل عام 1921م في أعياد الفصح عندما غادر خيمته بالجبل وركب على فرسه مع بعض الأتباع وذهب في جولة إلى المراعي والسواقي والغابة التي شكلت كل حياته وما أن وصل إلى أرض المعركة وقف فوق فرسه وتناول بندقيته وملأها بالبارود، وفجأة أصابته رصاصة في عنقه، فسقط. وتوقفت المعركة. وجاء الكل يجري لإيقافه، لقد مات القائد، وتم حمله إلى المخيم لتجهيز رفاته. أما في الدواوير فقد كانت النساء تندب وجوههن وتطلق صيحات الحزن. أما في الجبال فقد تم إيقاد النار التي حملها الرجال حتى الواحات الصحراوية معلنين عن وفاة موحى أوحمو. وكان دخانها الرقيق يتبخر في السماء الباهتة. فوق الأطلس العجائبي ومعها يتبخر الحلم البربري وحرية سكان زيان"[4].

والجدير بالذكر أن أبناء موحى أوحمو كانوا من بين الأعداء عند موته في سياسة المعركة كما يشير إلى ذلك الباحث بيرجي، وهنا يعقد مقارنة بين الكاهنة وموحى أو حمو باعتبار أنهما قد تم خيانته من طرف أبنائهم الذين كانوا عربا في حالة الكاهنة وفرنسيين في الحالة الثانية[5].

---

1 - Id.,Ibid . , P P. 100-102.

2 - Id.,Ibid . , P P. 102-105.

3- Id.,Ibid . , P. 133.

4 - Id.,Ibid . , P. 135-136.

5 - Id.,Ibid . , P. 141.

ولهزم المسيحيين الذين كانوا بوضوح، مثل العرب في القرن الأول الهجري، غزاة هدفهم سلب حرية البرابرة الذين كانوا يكرهون مبادئ النظام والسلم[1]. وبشكل موازٍ فإن هذا الكاتب الكولونيالي لم يضيع أية فرصة لتوضيح العداوة ما بين العرب والبربر، وليس هناك أي تعبير بخصوص وطنية البطل، حيث أن بيرجي لم يجعل منه (أي موحى أوحمو) سوى محارب غير قادر على تجاوز مستوى قبيلته وهو خاطئ في هذا الأمر[2].

خاتمة :

قصارى القول، وبالنظر إلى شساعة الموضوع وتعدد عوائق كتابة البيوغرافيا التاريخية، لا يراهن المقال على رسم صورة شاملة لحياة موحى أوحمو الزياني، لأننا لم نستطيع البحث بعمق في تاريخ زيان وعلاقتهم بالمخزن ومقارنة المعلومات الواردة في ثنايا مختلف المادة المصدرية الأخرى، بما ورد في كتاب بيرجي، بقدر ما ترنو هذه السطور إلى محاولة تسليط الضوء على شخصية صنفت ضمن رموز رجالات المخزن والمقاومة المسلحة التي تستحق كل التقدير نظرا لكونها شخصية رائدة.

وبالتالي فإن مسألة الصلاحية المرتبطة بما كتبه بيرجي تتمحور أساسا على موحى أوحمو والذي تغيرت علاقاته بمختلف القوى السياسية والعسكرية بكونها علاقة غير واضحة. ويبدو أن هذه الكتابات التاريخية لا تتضمن إلا جزءا من الحقيقة التاريخية المختصرة وبالتالي، فليس بإمكاننا سوى طرح التساؤل بخصوص فاعلية التواصل المبني أصلا على ما هو مكتوب من طرف كاتب كولونيالي فرنسي بخصوص بيوغرافية موحى أوحمو، وهو التواصل الذي كان جزئيا ومحفوفا بالمخاطر.

تبقى مثل هذه الكتابات مهمة ليس فقط لكونها تعرض الحقيقة التاريخية، ولكن لكونها تحتوي جزءا من هذه الحقيقة التاريخية، والتي تم تعديلها وهو ما جعل بيرجي يشتغل على أرشيفات موحى أوحمو نفسه والتي ابتعد عنها المستعمرون الفرنسيون بعد وفاته، كما أن هذه البيوغرافية التاريخية ليست نهائية، فمن الممكن أن تكتب مرة ثانية، وبشكل مغاير تماما، ومن طرف نفس البيوغرافي أحيانا بعد ظهور واكتشاف وثائق جديدة.

1 - Id.,Ibid . , P. 139.

2 - Id.,Ibid . , P. 144.

علاقة التاريخ بالجغرافيا

من خلال افكار وقراءات قدمت خلال انعقاد المؤتمر الدولي الذي عقده الاتحاد الدولي للمؤرخين مع عدد من الشركاء، فضلا عن الندوة التي عقدها الاتحاد الدولي للمؤرخين تحت عنوان الجغرافية توجه التاريخ، خلصنا الى وصف العلاقة بيت التاريخ والجغرافية وفق ما يلي:

معلوم أن علم الجغرافيا يهتم بدراسة العلاقة التفاعلية بين الإنسان وبين المجال، عبر صيرورة الزمن. وغير ذي شك أن المجال بخصائصه الطبيعية ومقدراته الاقتصادية، وتغيراته المناخية والبشرية، يعتبر من المفاهيم الأساس المهيكلة للدراسات التاريخية. ذلك؛ كون التاريخ يعنى حقيقة بدراسة ماضي الإنسان، وبتطوراته التاريخية والحضارية في سائر الفضاءات العمومية والمجالات الجغرافيا. ومن ثم، يرتبط علم التاريخ بعلم الجغرافيا، ارتباطا علميا حقيقيا. سيما إذا علمنا على سبيل المثال، أن الخصائص الطبيعية والطبوغرافية للمجالات الجغرافية، تتدخل بشكل فعال في صنع الأحداث التاريخية.

وحسبك، ما لعبته هذه الخصائص الجغرافية عبر التاريخ البشري من أدوار أساس في نشوء الحضارات والدول، واختيار مواضع المأوى والقرار، والرغبة في الاستقلال أو الانفصال، وفي تفسير الهزيمة أو الانتصار. وتأسيسا على ذلك، بديهي أن ينحت في الوجود البشري مصطلح الجغرافيا التاريخية، وأن يجد له مكانة أساس بين العلوم الإنسانية، لاهتمامه بدراسة تأثير البيئة الجغرافية في مجرى الحوادث التاريخية. تماما مثلما تحظى خرائط الجغرافيا بأهمية كبرى في الدراسات التاريخية، على أساس أن التاريخ يعنى أيضا برصد ودراسة الظواهر التاريخية المرتبطة بالعلاقة التفاعلية فيما بين الإنسان والمجال في سائر الأزمان.

لذلك، ركز البحث على تبيان أهمية توظيف الخرائط الجغرافية في الدراسات التاريخية، بل وعلى ضرورة استثمارها من قبل المؤرخ، باعتبارها وثيقة أساس تبرز خصائص المجال في علاقته بالأحداث والوقائع المدروسة، بشكل علمي ومبسط. وفي ضوء ذلك، خلص المؤتمر إلى أن علم الجغرافيا، لا يعد من العلوم المساعدة لعلم التاريخ فحسب، بل والضرورية له، إذ لا يمكن للمؤرخ أن يستغني عنه، وعن خرائطه المتنوعة، أداة للبحث والتعريف والتفسير. وعليه، نرى أنه لا ينبغي للمؤرخ أن يقتصر على معرفة المبادئ العامة لهذا العلم، بل يجب عليه أن يواكب تطوراته العلمية والتكنولوجية، للرقي بعمله وبالدراسات التاريخية، شأن ما قام به بعض رواد التاريخ الجديد، أمثال لوسيان فيفر ومارك بلوك وفرنان بردويل وغيرهم.

وقد اظهر جوردن ايست في كتابه الجغرافية توجه التاريخ ارتباطا علميا دقيقا بين الدراسات الجغرافية والدراسات التاريخية، وأن كلاهما يستطيع التماس الضوء من الاخر ، فالجغرافي الذي يدرس الحاضر يجد نفسه دائما أمام مشاكل التاريخ وحده قد يملك حلها. بالمقابل، فإن التاريخ ليس استقصاءً لامور واحداث

عفى عليها الزمن، بل إنها تتعلق بمشاكل حاضرة في يدِ الماضي مفاتيحها. ويؤكد (أن دارس التاريخ يجب أن يغادر مكتبه وفي يده خريطة ليفهم العالم المحيط به) فهنالك علاقة تبادلية بين الجغرافية والتاريخ .

والأرض ومظاهرها تعد مسرحا للأحداث لابد المؤرخ ان يعرفها فالجغرافية تحدد الأماكن التي وقعت عليها الأحداث . وللموقع الجغرافي اهمية في تمركز الحضارة ومعرفة الكثير من مظاهرها ، زيادة على ذلك ان المناخ كعنصر متغير في البيئة اكد أهميته في التأثير على حياة البشر، وهذا ما يفيد الذين يبحثون في مخابئ التاريخ القديم وخزائنه، إذ أن الظروف المناخية قد تحمل في طياتها الضوء الذي يفسر ما غمض من أعمال الإنسان في تاريخه القديم.

وهناك أهمية للظروف الطبيعية في تحديد الطرق، والايحاء للانسان بإنشائها، واستخدامها، وقد استدعى الانتباه إلى بقاء الكثير من الطرق القديمة في العصور الغابرة إلى أهميتها، وإعادة إحيائها في عصر كطرق للتجارة العالمية.

فالجغرافية التي تهتم بانشاء المدن ودراسة مراكز المدن وعلاقاتها مع تخومها تعطي تفسيرا لاسباب قيام المدن وتطورها، وتقدم الفرضيات الدقيقة للمؤرخ. فالحدود التي فرضتها الطبيعة تؤثر بشكل حتمي على الثقافات بحكم الاتصال الجغرافي والسياسي. وان طرق معيشة الإنسان، وحركته، التي أثبت بأنها ليست وليدة الظروف الطبيعية التي تُمليها، بل، لأن أفكار الإنسان، وعاداته، وحاجاته، ونزعاته، هي جميعا توجهه، وهذا لا ينكر من أن الظرف الطبيعية تتيح للانسان أن يتسع مجال أعماله المختلفة. وبالتالي فان للجغرافية تاثير في تطور العلاقات وانتقال التجارة وفي تطور مظاهر نشاط الانسان، فضلا عن اهميته في تفسير الحوادث التاريخية.

جميع الحقوق محفوظة

للاتحاد الدولي للمؤرخين

2021

ISSN:2707-8183
ISSN:2707-8191

INTERNATIONAL JOURNAL OF HISTORICAL AND SOCIAL STUDIES

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية مجلة علمية محكمة تصدر عن الاتحاد الدولي للمؤرخين، وتعد منصة للكتاب والباحثين لنشر المقالات الفكرية العلمية الرصينة، تشرف عليها نخبة من المؤرخين والعلماء من دول مختلفة، وتسعى الى نشر العلوم والمعرفة، وتعتمد الاليات والمعايير العلمية التي تجعل منها مجلة رصينة تمتلك كل الشروط التي تجعل منها تحظى بالاعتماد والقبول والتميز.

Historical.magazine2015@gmail.com
WWW.INT-HISTORIANS.COM